

الكتاب الموضي

زوجات الرسول



للشيخ

طهور و اطهار

ابو عمار

مكتبة الصفا

طبع في مصر

للاطفال

**أمهات
المؤمنين**

زوجات الرسول ﷺ

للأطفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

٢٠١١ - ٥١٤٣٢ م

رقم الإيداع: ٢٠١١/٣٧٨



مَكَتبَةُ الصَّفَافِ
للنشر والتوزيع

فَلَكُمُ الْجَنَاحُ عَوْنَسُونَ يَضْلِلُ

٢٠١١ تَعْدَى اِلْأَوْسَطُ اِنْدَامُ اِيجِنْ اِلْأَرْضُ رَاجِعَتْ ٢٠١٤٣٢
الطبعة الأولى طبع في بيروت - لبنان - ٢٠١١ م - مكتبة الصفاف

أحكامات الدلوتين

زوجات الرسول
للأطفال

للشيخ
مُحَمَّد أَمْرُهُ
أبو عمار

مَكَانِيَةُ الصَّفَّى لِلْإِنْشَادِ وَالتَّوْزِيعِ

لـ ٢٠١٤٧٣٦ - تـ ١٤٣٥

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة في الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضئ بنوره، مخلصة في عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابذة كل منهج من المنهاج الأرضية المخالفة له.

والآباء أمانة في أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير في تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبننة التي يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفي

مقدمة الناشر

الأسرة الكريمة الراشدة التي تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائين المحبة واللوعة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى - ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع - يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه في سلوكه الاجتماعي المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها في توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائمًا، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «المحمود المصري». نقدم اليوم درة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب «أمهات المؤمنين للأطفال» لفضيلة الداعية محمود المصري. استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة.

يعلمهم فيه أصول دينهم.

وسترى أخي القارئ الكريم مدى السلامة والسهولة

مقدمة الناشر

التي تميزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول
رجال المستقبل.

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى
كافه المجالات، التي نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها منا
قبولاً حسناً وأن يتفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله مِنَاراً لخدمة العلم والدين

بين يدي الكتاب

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
تَعَالَى مِنْ شَرِّ رُورِ أَنفُسِنَا وَسَيَّاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا
مُضْلِلٌ لَهُ، وَمِنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِيٌ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَلَا تَمُرُّنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نُفُسٍّ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ
مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
عَنِ الْأَرْحَامِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٣). يُصلحُ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَرْزًا
عَظِيمًا﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران: الآية: (٢١).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيات: (٧٠، ٧١).

اما بعد:

حياتي الحلوين: كنت قد تشرفت بكتابه مجموعه من الكتب القصصية الهدافه التي جعل الله لها القبول في قلوبكم وكان من بينها: كتاب حكايات عموم محمود (الجزء الاول والثانى) - قصص القرآن للأطفال - قصص الرسول للأطفال - قصص الانبياء للأطفال - سيرة الرسول للأطفال - أخلاق الرسول للأطفال - أصحاب الرسول للأطفال - تفسير جزء عم للأطفال... . وها أنا اليوم أقدم لكم كتاب: أمهات المؤمنين للأطفال... . لتعرف من خلاله على أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين زوجاته) حتى تستفيد من سيرتهن العطرة ونعرف كيف عشن مع النبي ﷺ وكيف كانت حياتهن وزهدهن وعبادتهن فنقتدى بهن . فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة أمهات المؤمنين . وصلى الله تعالى علينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

عمو / محمود المصري

أبو عماد

خدیجه بنت خویلد

رضی اللہ عنہا

خديجة بنت خويلد

حبايب الحلوين:

و مع أول كوكبة من كواكب المجموعة النبوية نلتقي مع
رمز الطُّهر والعفاف والستُّرفة ... مع الزهرة التي فاح
أريجها وعبيرها فملاً أرجاء الكون كله بعبير الإيمان
والتضحيَّة والبذل والقداء.

مع أول من آمنت بالله - من النساء - ... وأول من
صَلَّت مع رسول الله ﷺ ... وأول من رُزِق منها
الأولاد ... وأول من بشرَّها بالجنة من أزواجها ... وأول
من أقرَّ لها السلام ... وأول صِدِيقَةٍ من المؤمنات
وأول زوجات النبي ﷺ وفاة ... وأول قبر نزل فيه
النبي الكريم ﷺ بمكة ... آمنت به حين كفر به الناس
وصدقه حين كذبه الناس وواسته بمالها حين بخل الناس
ورزقه الله منها الولد.

إنها العاقلة الليبية المصونة الكريمة التي كانت تُدعى

في الجاهلية «الطاهرة» فكيف بها في ظل الإسلام؟!
 إنها سكن النبي ﷺ التي آزرته ووقفت بجواره ليبلغ دعوة ربه (جل وعلا) وهيأت للحبيب ﷺ كل أسباب السعادة والنعم. وساندته في أحلك أوقات المحن حتى استحقت بكل جدارة أن يأتيها السلام من عند السلام (جل وعلا) من فوق سبع سماوات بل وتأتيها البشري بيته في الجنة من قصب لا صَخْب فيه ولا نَصْب.

إنها سيدة نساء العالمين وزوجة سيد الأولين والآخرين ﷺ . . . إنها خديجة ظافرها التي سطع نجمها في عالم الإيمان والطهر والعفاف والنبل والعطاء والوفاء.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع أعظم أم في الكون كله لتعلم قدرها ومكانتها ومتزلفتها عند الله وعند رسول الله ﷺ ولنسعد بسيرتها العطرة التي نقدم من خلالها أعظم قدوة لنسائنا وبناتنا وأخواتنا بل وأمهاتنا.
 فهيا لنعطر قلوبنا بسيرتها المباركة ^(١).



^(١) صحابيات حول الرسول ﷺ للمنصف (ص: ١٥-١٦).

من هنا نبدأ..

ولدت خديجة في مكة قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة تقريباً... ونعلم أن النبي ﷺ قد ولد في عام الفيل وبذلك تكون خديجة قد ولدت قبله بخمس عشرة سنة.

والدها خويلد بن أسد، رجل من أشراف قريش، ومن كبار رجالها، بل ومن وجهائها المعروفيين، وقد استشهد المؤرخون على مكانته ووجاهته بأنه كان في الوفد الذي أرسلته قريش إلى اليمن ليهنىء ملكها العربي سيف ابن ذي يزن، عندما طرد الأحباش من بلاده وببلاد العرب في اليمن، وانتصر عليهم، وكان ذلك بعد عام الفيل بعامين، وقد تكون وفداً قريشاً من عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ، وأمية بن عبد شمس، وخويلد بن أسد والد خديجة في عدد من وجوه قريش من أهل مكة، فأتوه بصنعاء في قصر له، يقال له: غمدان^(١).

* وفي حرب الفجار التي دارت بين قريش وبين قبيلة أخرى تسمى (قيس عيلان) مات خويلد بن أسد والد خديجة، وسميت تلك الحرب بحرب الفجار لأنها كانت في

(١) أخبار مكة / للأزرق (١٤٩ / ١).

الأشهر الحرم ولأنهم استحلوا فيها الكثير من حرمات مكة التي كانت مقدمة عند العرب.

* وكادت (قيس عيلان) أن تُهزم هزيمة منكرة لو لا أنه تدخل بعض الناس للصلح بينهم على أن يُحصوا عدد القتلى من الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية العدد الزائد من القتلى، فكان لقيس زيادة في القتلى فأخذوا ديتها من قريش.

* وكان النبي ﷺ في تلك الحرب قد بلغ العشرين من عمره.. ولم يقاتل فيها بل كان يجمع النبال التي يرميها أعداؤهم ثم يعطيها لأعمامه.

* ولم يقاتل النبي ﷺ لأنها كانت حرب فجأة وكانتوا كفاراً ولم يأذن الله لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا.

* أما أمها فهي فاطمة بنت زائدة بن الأصم، يمتد نسبها إلى لؤي بن غالب الذي تتسبّب إليه قريش، وبه تلقى ينسب النبي ﷺ.

وقد تزوجت خديجة قبل أن تشرف بالزواج بالرسول ﷺ.

ذكريات مؤلمة

كانت سيدة نساء قريش خديجة ابنة خويلد رضي الله عنها
تطوف مع النساء، وتبتهل إلى رب البيت العتيق أن يبارك
لها في تجاراتها... وفي مالها.

كانت خديجة راضية النفس، راضية القلب بما حفقته
من نجاح في تجاراتها، فقد باتت قافتلتها إلى الشام تعدل
قوافل قريش... كانت سعيدة بما بلغته في دنيا التجارة،
وكان مسرورة بما وصلت إليه في سلطان المال، وفي
سلطان الجاه... .

ويبدو أن فكرة اعترضت في ذهن خديجة وهي في
طواوفها، برزت الفكرة ^{بشكل} واضح، ونقلتها إلى ظلال
الماضي القريب، إلى ذكريات أخذت مساحة واسعة من ذهnya.
صحيح أنها سعيدة - الآن - في تجاراتها إلا أن
سعادتها في حياتها الزوجية قد تعثرت وتنزقت أكثر من
مرة، ولم تعرف إلى قلبها الكبير سبيلاً، بل ضلت السبيل
منذ بدايتها... . كان قلب خديجة يرنو إلى حياة زوجية
رفيعة، فيها سمو وبذل وتضحية وكفاح في سبيل تحقيق

غاية سامية نبيلة.

تزوجت أبا هالة بن زرارة التميمي ولم تبلغ ريعتها الخامس عشر، راحت تجاهد ليكون زوجها سيداً بين السادسة من الرجال، ليكون من رجال قريش المعدودين في الجاه والشرف والسيادة... ولكن الموت لم يترك لاحلامها مجالاً، فقد اختطف زوجها أبا هالة قبل أن يصبح شيئاً مذكوراً وقبل أن يسلك طريق المجد ويرتقى سلم الشهرة.

قضى زمن على موت زوجها أبا هالة بن زرارة التميمي، فتقدم لها أحد أشراف قريش وهو عتيق بن عابد ابن عبد الله المخزومي. فتزوجت وأنجبت، ولكن هذا الزواج لم يدم طويلاً. أصبحت خديجة سيدة نساء قريش بلا زوج أيضاً، وقبل أن تبلغ من عمرها الخامسة والعشرين^(١).

وخللت هكذا بلا زوج حتى بلغت الأربعين من عمرها فتزوجها النبي ﷺ.



^(١) نساء أهل البيت / أ. أحمد عليل جمعة - حفظه الله - (من: ١٥ - ١٦).

وها هي ترفض الزواج وتنشغل بالتجارة

وبعد أن اشتد عود الآباء، وجدت الكثير من رجال قريش وأشرافها يتقدمون الواحد تلو الآخر خطبتها، وكلهم كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، وقد طلبواها وبذلوا الأموال لها^(١)، لشرفها وجمالها وماليها؛ وقابلت ذلك كله بالرفض والعزوف عن الزواج، وكأنها كانت قد استقبلت إلهاماً من الله عز وجل أن تردد كل هؤلاء الذين جاؤوا خطبتها، وتعرضن عنهم، لشرف بعد ذلك بالزواج من النبي صلوات الله عليه وسلم.

وقد شغلت نفسها عن كل هذا بالنظر إلى ماليها، وقررت أن تستثمره وتُسمّيه بالعدل والحلال وذلك من خلال مهنة التجارة التي دأبت قريش على الامتهان بها، حتى انتظمت من أجل هذه المهنة رحلتين: إحداهما تتجه صوب الشمال إلى بلاد الشام وسميت بـرحلة الصيف، والأخرى تتجه صوب الجنوب وسميت بـرحلة الشتاء، كما جاء في قول الله عز وجل: «إيلاف قريش»^(٢) إيلافهم رحلة الشتاء والصيف^(٣) فليعبدوا رب هذا البيت^(٤) الذي أطعهم من

^(١) سبل الرشاد في سيرة خير العباد ٢٢٣ / ٢

جُرْعٌ وَأَمْتِهْمٌ مِنْ خَوْفٍ).^(١)

ولعل هذه المهنة تناسب الرجال دون النساء، فلم يكن في استطاعة خديجة أن تخرج على رأس تجارتها ومالها، ولكنها كانت تستعين بالرجال لكي يعملوا في تجارتها، فستأجرهم لهذا الغرض.

وكان النبي ﷺ في تلك الفترة غارقاً في حياة التفكير والتأمل مع قليل من العمل في رعي الغنم، ولكن ليست هذه بالحياة التي تُدر على صاحبها الرزق، أو نفتح أمامه أبواب اليسر والمال، إلا أن محمدًا ﷺ ما كان يهتم لذلك أو يعني به، وقد ظل طوال حياته أشد الناس زهدًا في المادة ورغبة فيها.

وكان أبو طالب رغماً ما كان لقبيلته وأهله من بني هاشم من المجد والسؤدد، ورغم ما كان لأبيه عبد المطلب من مكانة ومجد، إلا أنه كان رجلاً قليلاً المال، يعمل في التجارة ليكسب رزقه ورزق أولاده، ولكن فقره لم يمنعه من رعاية ابن أخيه محمد، ولم يمنعه أيضاً من أن يكون سيداً في بني هاشم مطاعاً بينهم، يكن له أهل مكة

^(١) سورة فريش.

الاحترام والإجلال، في الوقت الذي ضعفت فيه رئاسة بنى هاشم، وخاصة بعد وفاة عبد المطلب جد النبي ﷺ^(١).

النبي ﷺ يرعى الغنم

وكان النبي ﷺ ينظر إلى حال عمه أبي طالب الذي كان فقيراً صاحب عيالٍ فأراد أن يساعدوه ويخفف عنهم الحمل الثقيل... فقرر أن يبحث عن عملٍ ليساعد به عمه، وبيداً النبي ﷺ في رعي الأغنام ليساعد عمه وليرد إليه شيئاً من المعروف الذي أسداه إليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم».

فقال أصحابه: وأنت؟

قال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»^(٢).

قصة بحيرا الراهب

لقد كان أبو طالب يحب النبي ﷺ أكثر من حبه لأولاده وكان لا يُطيق فراقه لحظة واحدة.

(١) أزواج النبي ﷺ / ١. عبد المنعم الهاشمي - حفظه الله - (ص: ٢٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٢٦٢) كتاب الإجارة.

وفي يوم من الأيام أراد أبو طالب أن يخرج إلى الشام في تجارة له فلم يستطع أن يسافر وحده ويترك محمداً عليه السلام ... فأخذه معه في رحلته إلى الشام.

وكان في الطريق تنتشر صوامع الرهبان الذين كانوا يعرفون صفة النبي آخر الزمان فقد قرءوا صفتة في التوراة والإنجيل.

وكان من بين هؤلاء الرهبان رجل اسمه (بحيرا) وكان رجلاً صالحًا يعرف صفة النبي عليه السلام .

ونظر بحيرا إلى القافلة التي قدم فيها أبو طالب ومحمد عليهما السلام فإذا به يرى غمامة ^(١) في السماء تُظلل محمدًا عليه السلام وتَسِير معه أينما سار، وهذه علامه من علامات النبي آخر الزمان، وأراد «بحيرا» التأكد من هذا النبي، والنظر في وجهه، فصنع طعاماً، ودعا القافلة جمِيعاً للأكل، فقالوا:

- يا بحيرا كنا نمر عليك فلم تصنع لنا طعاماً، فلماذا هذه المرة؟!

- قال: بل أنتم ضيوفى، فلتأتوا جمِيعاً ولا يختلف منكم أحد.

^(١) سحابة.

وجاءوا جمِيعاً إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَظَرَ بِحِيرَةٍ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَقَالَ: هَلْ جَتَتْ جَمِيعاً؟

قالوا: نَعَمْ، إِلَّا غُلَامًا صَغِيرًا، اسْمُهُ مُحَمَّدٌ جَعَلْنَاهُ فِي

فَقَالَ: إِذْنٌ، لِيَذْهَبَ أَحَدُكُمْ وَلِيَأْتِنِي بِهِ.

وَحَضَرَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَلَسَ لِلطَّعَامِ مَعَ قَوْمِهِ فَلَمَّا فَرَغَ النَّاسُ مِنَ الطَّعَامِ، وَبَقِيَ بِحِيرَةٌ وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْدَهُمَا.

قال بحیرا: يَا غَلامُ أَسْتَحْلِفُ بِاللَّاتِ وَالْعَزِيزِ، أَنْ تُجِيبَنِي عَمَّا أَسْأَلُكُ عَنْهُ قَالَ: لَا تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعَزِيزِ شَيْئاً، فَوَاللهِ إِنِّي لَا كَرَهْهُمَا.

فَقَالَ: إِذْنٌ أَسْأَلُكُ بِاللهِ.

قَالَ: اسْأَلْ عَمَّا بَدَأْتَكَ.

فَرَأَيَ بِحِيرَةٍ يَسْأَلُهُ عَنْ أُمُورِ نُومِهِ، وَطَعَامِهِ، حَتَّى كَشَفَ عَنْهُ كَتْفَهُ؛ فَرَأَى خَاتِمَ النُّبُوَّةِ عَلَى كَتْفِهِ، وَهُرَ بَعْضُ شَعَرَاتِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال بحيراً لابي طالب: من هذا الغلام؟ فقال: ابني.

قال بحيراً: لا، ما هو بابنك، ولكن ينبغي أن يكون أبواه قد ماتا.

قال أبو طالب: نعم، مات أبوه وأمه حبلى^(١)، وماتت أمه.

قال بحيراً: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلدك، واحذر عليه اليهود، فلو عرفوه ليقتلونه. وعاد أبو طالب إلى مكة.

وقد تأكد أن لابن أخيه شأنًا بين الناس جمِيعًا، وما زالت كلمات بحيراً في أذنه: «احذر عليه اليهود»^(٢).

رؤيا تورانية

رأى الطاهر خديجة في منامها أن شمساً قد سقطت في دارها، فأضاءتها وأضاءت ما حولها، ولم تستطع تفسير هذه الرؤيا: أهى بشرى بتسم لها، وتعذر بها، أم

(١) حبلى: أي حامل.

(٢) حياة محمد ﷺ للأطفال / أ. حامد أحمد (ص: ٤٠ - ٣٨).

هي زيادة في الحيرة، واستدامة للقلق والاضطراب؟ .
 نظرت حولها فإذا الليل لا يزال يُرْخى أستاره على
 مكة، فلم تستطع أن تخرج في هذا الليل البهيم إلى حيث
 دار ابن عمها ورقة بن نوفل - الذي كان قد هجر عبادة
 الأصنام، ودخل في دين النصرانية - فانتظرت حتى أشرق
 الفجر، وسطع نوره على طرقات مكة، فحزمت أمرها،
 وخرجت مسرعة إلى دار ابن عمها .

وطرقت بابه فلما عرف صوتها عجب من سعيها إليه
 في هذا الوقت الباكر من الصباح وأدرك أن أمراً خطيراً قد
 جاء بالطاهرة .

وما إن قصَّتْ عليه رؤياها حتى أشرق وجهه وأضاءته
 ابتسامة عريضة، وقال لها: أبشرى يا خديجة، إنها النبوة
 ستشرق من بيتك فتضيء العالم كله!
 خرجت الطاهرة من بيت ابن عمها هادئة النفس
 مطمئنة القلب، تمشي إلى دارها في خطى بطيئة، وذهنها
 مزدحم بالأفكار: أين هي من النبوة؟ إن ورقة كثيراً ما
 حدثها عمما يجده في كتبه من أن نبياً من العرب سيُبعث

وأن أوانه قد جاء، ولكن أين هي من ذلك كله؟ وما شأنها بهذا النبي العربي الذي أظل العالم زمانه؟^(١)

وتتأكد تلك الرواية في قلبها

وفي يوم من الأيام كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه عند الحرم، وفي أحد الأعياد، خرجت خديجة من بيتها نحو الكعبة، ثم طافت بالبيت العتيق، وراحت تبتهل إلى الله وتدعوه في صدق أن يتحقق لها حلمها، ثم انطلقت نحو نسوة كن بالقرب من الكعبة، وجلست معهن يتجاذبن أطراف الحديث، وطرائف الأخبار.

في تلك الساعة، قطع أصوات النسوة صوت صارخ وقف بالقرب منهن، كان هذا الصارخ من اليهود، وقف بالقرب من النسوة وصرخ: يا معاشر نساء قريش، ... فالتفتت النسوة إليه وأصخن السمع فقال: يا معاشر نساء قريش، إنه يوشك أن يظهر نبي آخر الزمان، فما يتكلن استطاعت أن تكون زوجة له فلتفعل.

ويبدو أن نسوة قريش، حسبته يهذى، فرمي بعضهن

(١) خديجة بنت خويلد / د. علي عبد المنعم (ص: ٣ - ٤). ط. مكتبة منير.

بالخصباء، وألقى عليه أخریات منهن سیلاً من الشتائم والسباب، وطردته من ذلك المکان.

أما خديجة ابنة خويلد ففقد خفق قلبها في شدة، ف الحديث هذا اليهودي أعاد إلى ذاكرتها شريط حلمها الذي ليس هو بعيد، إنه أعاد إلى ذهنها حلمها الذي رأته، وذلك الحديث الشجي العذب الذي دار بينها وبين ابن عمها ورقة بن نوفل، حول خاتم الأنبياء.

إن ذلك اليهودي ليس يهدي، وليس مجحون، إنه يعني ما يقول، فقد أعلن على الملا أن نبيا قد اقترب ظهوره، وهو يدعو من استطاعت من نسوة قريش أن تكون زوجا له، و خديجة قد رأت في منامها أن الشمس هبطت من سماء مكة لتسقى دارها، أشياء كثيرة ازدحمت في ذهن خديجة.. أفكار تصارعت في مخيلتها تساءلت: أيكون ذلك كله عبثا؟ كلا ورب هذا البيت.

خدیجة تتمنى أن یخرج النبی ﷺ فی تجارتھا

كانت خديجة ابنة خويلد تعرف محمد بن عبد الله عليه السلام حق المعرفة، فعمته صفية بنت عبد المطلب زوجة

أخيها العوام بن خويلد، وقد ترامت إليها سيرته العطرة وأخباره المباركة، فودّت لو أنه عمل لها في تجاراتها، ولكنها كانت تعتقد أن في تجارةبني هاشم منفّساً له، وما علمت أن كثرة العيال قد ذهبت بتجارة أبي طالب، وأن حمزة بن عبد المطلب قد شغل بالقنص والصيد والفتوا عن التجارة، وأن العباس بن عبد المطلب يخرج هو في تجاراته، وأن أبا لهب قد انغمس في الفجور واللهو والشراب والعريدة والمقامرة.

ويبدو أن أبا طالب عم النبي ﷺ قد رغب إلى ابن أخيه محمد ﷺ أن يعرض نفسه على خديجة بعد أن ذكر له قلة ماله، وأن الزمان قد اشتد عليه، ونصحه أن يتاجر بمال خديجة فلعل الله أن يسوق له رزقاً حسناً من مال خديجة المدود^(١).

وها هي تعرّض عليه الخروج في تجاراتها

* كانت الطاهرة خديجة مثلاً رائعاً بين نساء مكة في المكانة والشرف والمال، ولها تجارة واسعة، وتستأجر من

^(١) نساء أهل البيت (ص: ٢١ - ٢٩) بتصريف.

الرجال في مالها من ثق بهم ليتجرروا لها، وتتفق معهم على نصيب من الأجر تدفعه لهم.

في تلك الأثناء كانت الطاهرة خديجة تعرف الفتى الأمين محمد بن عبد الله الذي يلتقي نسبه مع نسبها في قصى بن كلاب^(١). وعُرف عن خديجة أنها صاحبة نظرة ثاقبة، وفراسة صحيحة، فكانت ترى محمداً وتسمع أخباره العطرة من الغادي والرائع.

* وكانت أخلاق النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وصفاته الجميلة تعطر الدنيا وتدخل القلوب على اختلاف أصحابها، ولهذا رغبت في أن يتاجر لها بمالها، فأرسلت إليه وقالت: إنه دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظيم امانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك.

فقبل النبي عليه السلام منها ذلك، وما سمع أبو طالب بأعطيه الطاهرة خديجة، قال لرسول الله عليه السلام: «هذا رزق ساقه الله إليك»^(٢).

(١) قال الحافظ ابن حجر عن الطاهرة خديجة: وهي من أقرب نساء عليه السلام إليه في النسب.

(٢) نسأء مبشرات بالجنة/ أحمد خليل جمعة (ص: ١٩).

زواج النبي ﷺ من خديجة بنت خويلد

كان النبي ﷺ قد عرف في مكة بأنه الصادق الأمين . . حتى أنه كان كثيراً من سادة قريش يضعون أموالهم وأماناتهم عند النبي ﷺ ومنهم من كان يعطيه ماله ليتاجر به ويعطيه على ذلك جزءاً من الربح . . فكان النبي ﷺ يأخذ الربح ليساعد به عممه أبا طالب .

* وكانت خديجة بنت خويلد امرأة غنية تاجر بمالها . . فقد كانت تزوجت قبل ذلك برجلٍ غنيٍ فمات فترك لها مالاً كثيراً ثم تزوجت برجلٍ آخر فمات وترك لها مالاً وفيراً . . فكانت تستأجر الرجال للعمل في تجارةٍ لها . . ومن المعلوم أنهم كانوا يعيشون في فترة جاهلية شديدة . . فمن المؤكد أنها قد تعرضت للسرقة أكثر من مرة .

* فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالٍ لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلامٍ لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها

ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.
 فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من
 صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة،
 فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟
 قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال
 له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلانبي .
 ثم باع رسول الله ﷺ سمعته التي خرج بها،
 واشتري ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه
 ميسرة، فكان ميسرة إذا اشتد الحر يرى ملكين يُظلانه من
 الشمس، وهو يسير على بعيده، فلما قدم مكة على خديجة
 بمالها باعت البضاعة التي جاء بها من الشام فأصبح ربيحها
 مضاعفًا... ولم يحدث في أي رحلة تجارية أن ربحت
 خديجة مثل هذا الربح فسألت غلامها ميسرة فأخذ يحدثها
 عن أخلاق النبي ﷺ وصدقه وأمانته.
 بل أخذ يحدثها عن قول الراهب وعما كان يرى من
 إغلال الملائكة إياه.

* فذهبت خديجة إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل)
 وكان نصراوياً قدقرأ كتاب أهل الكتاب وعرف صفات النبي

آخر الزمان... فبشرها بأن هذه هي صفاته وأنه سيكون
نبي آخر الزمان.

* اجتمعت الدلائل عند خديجة أن محمدًا سيكون
نبي آخر الزمان فباتت ترجو أن يكون زوجاً لها...
ولكن كيف ذلك وهو في الخامسة والعشرين من عمره
وهي في الأربعين من عمرها.

ومع ذلك لم تيأس لأنها كانت غنية وجميلة وكان
كثير من الرجال يرغبون في الزواج منها ولكنها كانت
ترفض لأنها كانت ترى حرصهم على مالها... وفي نفس
الوقت لم تجد الرجل المناسب الذي ترضي أخلاقه
ورجولته.

لكنها لما رأت محمدًا عليه السلام عرفت أنها لن تجد مثله أبداً.
* وجلست في حيرة تفكّر كيف تفوز بزواجهما من

محمد عليه السلام.
وفي غمرة الحيرة والاضطراب تدخل عليها صديقتها
(نيسة بنت منبه)، وتجلس معها تبادلها أطراف الحديث
حتى استطاعت أن تكشف السر الكامن المرتسم على
مُحياتها وفي نبرات حديثها.

وهذا نفیسه من روع خدیجۃ وطمأنیت خواطیرها،
وذکرها بأنها ذات الحسب والنسب والمال والجمال،
واستدللت على صدق قولها بكثرة الطالبين لها من أشراف
الرجال.

وما إن خرجت نفیسه من عند خدیجۃ حتى انطلقت
إلى النبي ﷺ وكلمته أن يتزوج الطاهرة خدیجۃ،
وقالت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج.

فقال - عليه الصلاة والسلام - «ما يبدي ما أتزوج به».

قالت: فإن كفيت ودعيت إلى المال والجمال والشرف
والكفاءة فهل تخيب؟

فردَّ سائلًا: «ومن؟».

قالت على الفور: خدیجۃ بنت خویلہ.

قال: «إن وافقت فقد قبلت».

وانطلقت نفیسه لترزف البشري إلى خدیجۃ، . . .
وأخبر - عليه الصلاة والسلام - أعمامه برغبتهم في الزواج
من خدیجۃ، فذهب أبو طالب وحمزة وغيرهما إلى عم
خدیجۃ (عمرو بن أسد)، وخطبوا إليه ابنة أخيه، وساقوا
إليه الصداق.

فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ الْلَّطِيفِ، قَامَ أَبُو طَالِبٍ يُخْطِبُ،
وَلَمَّا تَمَّ الْعَقْدُ تُحْرَتُ الذِّبَابُ، وَوُزِعَتْ عَلَى الْفَقَرَاءِ،
وَفُتُحَتْ دَارُ خَدِيجَةَ لِلأَهْلِ وَالْأَقْرَبِ،
* وَانْتَشَرَ الْخَبَرُ فِي مَكَّةَ كُلُّهَا أَنَّ الصَّادِقَ الْأَمِينَ قَدْ
تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ.

حُكْمُهَا وَرِجْاهَةُ عَقْلِهَا

وَلِيُّسْ شَيْءٌ أَدْلَى عَلَى حُكْمِهَا وَكِيَاسِتِهَا وَرِجْاهَةِ
عَقْلِهَا مِنْ أَنَّهَا قَدْ اخْتَارَتِ النَّبِيَّ ﷺ زَوْجًا رَغْمَ كُونِهِ إِذَا
ذَاكَ فَقِيرًا وَهِيَ غَنِيَّةٌ ثُرِيَّةٌ يَتَلَطَّلُ إِلَيْهَا أَثْرِيَاءُ قَوْمِهَا
وَأَشْرَافُهُمْ فَتَابِيَّ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَا قَدْ عَرَفَتْ بِحُكْمِهَا
وَكَمَالِ عَقْلِهَا أَنَّ كَمَالَ الرِّجْلَةِ، وَشَرْفَ الْمَرْوَةِ، وَسَلَامَةَ
الْطَّبِيعِ أَفْضَلُ مِنَ الْغَنِيَّ الْمَادِيِّ، وَالْعَرْضِ الزَّائِلِ.

إِنَّهَا تَبْحَثُ عَنْ نُوْعٍ آخَرَ مِنَ الْغَنِيَّ وَالثَّرَاءِ!

إِنَّهَا غَنِيَّ النَّفْسِ، وَثَرَاءُ الصَّمِيرِ، وَدَمَاثَةُ الْخَلْقِ! وَأَيْنَ
تَجِدُ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ فِي غَيْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَإِذَا كَانَ بَعْضُ الْكُتُبَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الَّذِي دَفَعَهَا إِلَى
الْاقْتَرَانِ بِالنَّبِيِّ ﷺ هُوَ مَا ذُكِرَ لَهَا مِنْ حَسْنٍ تَعَاطَيهِ.

للتجارة ببعا وشراء، وما اتصف به في تجارتة من صدق وأمانة وغير ذلك.

غير أننا إذا بحثنا عن السبب الحقيقي في زواج هذه المرأة بمحمد عليهما السلام، وهي في سن الأربعين أي: في اكتمال عقلها ورشدها فليس بالفتاة الطائشة، ولا العجوز الخرفاء... السبب الحقيقي هو بحثها عن الزوجة الكاملة... الزوجة بكل معانيها من حُلُق ومرودة وفتوة وإيثار وكرم خصال.

وما كان محمد عليهما السلام ليقبل زواج خديجة ولو كانت تملك مال الأرض كله، ولو كانت أيهـى نساء الدنيا جمالاً، لولا ما رأـه عليهما السلام فيها من رجاحة العقل وكياسته وما شهد به قومها لها من شريف الخصال، ومحمـيد الفعال، وسلامـة الجوهر، وعراقة المـنـبـت وعفتها وصدقها وأمانتها.

هـذـا هـو الصـادـق الـأـمـيـن

ولقد كانت أمـنا خـديـجة بـنـتـها تـعلـمـ أـخـلـاقـ النـبـيـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ جـيـداـ وـتـسـمـعـ عـنـ مـكـارـمـهـ وـفـضـائـلـهـ مـاـ يـمـلـأـ القـلـبـ

بهجة وسروراً... بل كانت تعلم مكانته بين قومه الذين كانوا يُلقبونه بالصادق الأمين وكانوا يستعينون به لحل أعنى المشاكل التي كانت تحدث بينهم.

فها هي قبائل قريش قد اجتمعت لتعيد بناء الكعبة المشرفة فلقد كانت الكعبة قد أوشكت على الانهيار قيل: بحريق أصابها، وقيل: بسيل جارف، وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات على الراجح، فلم تجد قريش بدأ من إعادة بنائها ^(١).

فاضطررت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها، واتفقوا على أن لا يدخلوا في بنائها إلا طيباً، فلا يدخلوا فيها مهر بغيٌّ، ولا بيع ربياً، ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يهابون هدمها، فابتداً بها الوليد بن المغيرة المخزومي وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يُصبه شيء، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء، فجزأوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها، فجمعت كل قبيلة حجارة على حده وأخذوا يبنونها، وتولى البناء بناءً رومي اسمه (باقوم)، وما بلغ

(١) صحابيات حول الرسول / للمصنف (ص: ٢٥ - ٤٦).

البيان موضع الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمر التزاع أربع ليالٍ أو خمساً، واشتد حتى كاد أن يتحول إلى حربٍ ضرورة في أرض الحرم، إلا أن أبي أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يُحَكِّموا فيما شجر بينهم أول داخلٍ عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله عليه السلام فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداءً، فوضع الحجر وسطه، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلاوه إلى موضعه أخذه بيده، فوضعه في مكانه (١).

السعادة ترفرف بأجنبتها على أعظم بيت

رفرت السعادة بأجنبتها على بيت خديجة رضي الله عنها، فقد وجدت الطاهرة خديجة في الأمين محمد خير الأزواج، فهو لطيف المعاشر، ساقع العطف، يحيط به كل إنسان وكل حي، وكل شيء، فأخلاق محمد عليه السلام

(١) الرحيق المختوم (ص: ٥٩).

كانت تبع من فطرته بِنَسْبٍ متفقة متکاملة، فصبره مثل شجاعته، وشجاعته مثل كرمه، وكرمه مثل حلمه، وحلمه مثل رحمته، ورحمته مثل مروعته، وخصائصه عليهم السلام كثيرة في الفضل.

بل إنه من وفاته عليهم السلام لم ينس أبداً تلكم المرأة العظيمة التي كانت له أمّاً بعد أمّه - أم أيمن رضي الله عنها - فأخذها معه لما انتقل إلى دار الزوجية، وأكرمها وغمرها بحنانه وفاض قلبه الكبير رقة مُسْتَ قلوب أبناء خديجة، فكان (هند) ابن خديجة عند أمّه بعد زواجهما من محمد عليهم السلام، فكان ربيب النبي سعيداً غاية السعادة أن يَشُبُّ وينشاً في كف أصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وأكرمهم عشرة.

لقد وَسَعَ حُبُّ محمد عليهم السلام زيد بن حارثة، ذلك الفتى الذي اشتراه حكيم بن حزام من سوق عكاظ، ووهبه لعمته خديجة، وقد تعلق محمد عليهم السلام بزيد، وأحب زيد مهداً حباً لم يحب أحداً مثله من قبل. وقد فضلت خديجة إلى هذا الحب الأبوى، فوهرت زيداً لزوجها فأعنته، ولم يكتف بأن ردَّ إليه حريرته السليمة، بل

شرفه ورقاه بأن تسبه إلى نفسه فكان زيد بن محمد،
أحبَّ خديجة زوجها محمداً ﷺ حباً ملِك
عليها كل مشاعرها، حب الزوجة لزوجها الكريم الذي
تمثلت فيه مكارم الأخلاق ومعالي المكارم، فقد كانت على
مر الأيام وطول العشرة، تزداد يقيناً بأن الرجل الذي
اختارته لنفسها هو أصلح أهل الأرض لأداء رسالته،
والنهوض بأمته.

كانت خديجة تهبه لرسول الله ﷺ كل أسباب
الراحة وكل أطراف النعيم، إذا أشار لبيت إشارته متلهلة
النفس، رضية القلب، كريمة اليد، فما كانت تبخل
بأموالها أيضاً، وكانت سخية بعواطفها ومشاعرها وأموالها،
بل لم تكن تبخل بحبها على من يحب زوجها، وكانت
تكرم من يحبه إكراماً يملأ النفس رضى وسروراً ^(١).

صاحبة القلب الرحيم

في جلسة غمرتها أنوار ربانية كان محمد ﷺ
يتحدث مع خديجة، فكان صوته يمس أوتار فؤادها

(١) نساء أهل البيت (ص: ٣٠ - ٣١) بتصرف.

وتلك الحكمة المتداقة من بين شفتيه تغمر روحها بسعادة عارمة مجذحة تسمو بها فوق وجودها الملحوظ، وتعيش في أفق نوراني.

في تلك اللحظات جاءت مولاة خديجة رقالت: مولاتي :
 إن حليمة السعدية تود الدخول ، ولما سمع رسول الله ﷺ بحليمة السعدية ، خفق قلبـه الشريف حناناً ، وراحـت الذكريـات الحـبـيـة والـحـانـيـة الدـافـتـة تـطـفوـ عـلـى سـطـح ذـهـنـه ، . . . ذـكـرـيات حـبـيـة إـلـى نـفـسـه ، . . . تـذـكـرـ بيـدـاء بـنـى سـعـد وـرـضـاعـتـه هـنـالـكـ ، كـانـت لـحظـة مـفـعـمـة بـالـشـاعـر النـاعـمـة ، لـحظـة أـحـيـتـ - فـي مـثـل لـمحـ البـصـر أو أـسـرعـ - أـيـام طـفـولـته ، وـأـيـام نـشـائـه بـيـن ذـرـاعـيـ حـلـيمـة ، وـفـي أـحـضـانـها .
 قـامـت خـدـيـجـة خـوشـيـة لـتـدـخـلـ حـلـيمـة ، فـطـالـما حـدـثـها عنـها حـدـيـثـا يـقـطـرـ حـبـا وـرـحـمـة وـدـفـا وـكـرـامـة ، وـعـنـدـما وـقـعـ بـصـرـه الشـرـيفـ عـلـيـهـا ، مـسـ سـمـعـ خـدـيـجـة صـوـتـهـ الـلـطـيفـ وـهـوـ يـنـادـيـ فـيـ لـهـفـةـ وـحـنـانـ «أـمـيـ ، أـمـيـ» .

نظرـت خـدـيـجـة إـلـى رـسـولـ الله ﷺ فـوـجـدـتـهـ قـدـ فـرـشـ لهاـ رـدـاءـهـ ، وـمـرـرـ يـدـهـ عـلـيـهـاـ فـيـ حـنـانـ دـافـقـ ، وـقـدـ تـرـقـرتـ فـيـ وـجـهـهـ سـعـادـةـ عـارـمـةـ ، وـتـنـالـقـ فـيـ عـيـنـيهـ فـرـحـ فـيـاضـ ،

لکائنا کان يحتوى في أحضانه أمه آمنة بنت وہب، وقد
بعثت من مرقدھا.

وفي غمرة اللقاء الحار بين رسول الله ﷺ وحليمة،
سالها عن حالها، فراحت تشکو إليه قسوة الحياة والجذب
الذى نزل ببادية بنى سعد، ثم شكت ضيق العيش،
ومراة الفقر، فأفاضن عليها من كرمه.

وبعد ذلك حدث النبي ﷺ زوجه خديجة في تأثر
واضح بما ألم بمرضعته حليمة من ضيق، وما حاق بها
ويقومها من كرب، فتدفقت كنوز فؤاد خديجة بالعاطفة
والرحمة، وأعطتها عن طيب خاطر أربعين رأساً من
الغنم، كما وهبتها بغيراً يحمل الماء، وزودتها بما تحتاجه
في رجوعها إلى باديتها، وكانت خديجة رض متأهبة على
الدوان لتجود بكل أموالها، إرضاء لزوجها محمد ﷺ،
فشكراً لها كرمها، ثم انطلق ليضع بين يدي مرضعته ما
جادت به خديجة ^(١).



^(١) نساء أهل البيت (ص: ٣٢ - ٣١).

في رحاب الذرية المباركة

وهكذا كان هذا البيت المبارك قائماً على المودة والرحمة والحب فلم تكن خديجة رضي الله عنها تدخر جهداً في أن تدخل السعادة والسرور على قلب الحبيب عليه السلام ، وفي يوم من الأيام عاد النبي صلوات الله عليه وسلم إلى البيت وكانت زوجه الخنون تحمل له بشري عظيمة فلقد أخبرته بأنها حامل فاهتز قلب الحبيب عليه السلام فرحاً بذلك البشري الغالية.

وكانت خديجة في غاية البهجة والسعادة والسرور لأنها تشعر بل وتتوقع بأن زوجها عليه السلام سيكون له شأن عظيم فكانت تمنى أن يرزقها الله منه بالولد وجاءت اللحظة السعيدة التي ولدت فيها خديجة أول مولود للحبيب عليه السلام وهو القاسم - الذي كان يُكَفَّى به الحبيب عليه السلام - ثم تبعت بعد ذلك الذرية المباركة فولدت له بعد ذلك زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وكان ذلك قبل النبوة ثم ولدت له بعد النبوة عبد الله - الذي كان يُسمى بالطيب والطاهر - .

وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أولاد رسول الله عليه السلام من

الطاہرہ الولود خدیجۃ فقال: ولدت خدیجۃ لرسول اللہ
علیہ السلام غلامین وأربع نسوة، القاسم وعبد اللہ، وفاطمة
 وأم کلثوم وزینب ورقیۃ^(۱). أما إبراهیم فهو من ماریة
 القبطیة رضی اللہ عنہا... ومات بنوه کلهم في صغیرهم. أما بناته
 فکلهم أدرکن الإسلام فأسلمن وهاجرن، فرقیۃ وأم کلثوم
 تزوجتا عثمان بن عفان رضی اللہ عنہ... وزینب زوجة أبي
 العاص بن الربيع وفاطمة زوجة علی بن أبي طالب رضی
 اللہ عنہم أجمعین^(۲).

وقد أدرکتهن الوفاة في حیاة النبی علیہ السلام إلا ابنته
 فاطمة فقد توفیت بعده بستة أشهر.

وكان النبی علیہ السلام ينظر إلى أسرته المباركة بصدر
 منشرح، فقد كانوا جمیعاً يعيشون حیاة هادئة جميلة في
 غایة الصفاء والسعادة.

فخدیجۃ رضی اللہ عنہا زوجة مثالیة علمت كيف تدخل السعادة
 على قلب زوجها علیہ السلام وأولادها وكانت كلما طالت
 عثرتها مع الحب علیہ السلام ازدادت حباً له وإعجاباً به فهو

(۱) دلائل النبوة للبیهقی (۲ / ۷).

(۲) تهذیب الاسماء واللغات (۱ / ۲۶).

العبد الزاهد الذى تعلق قلبه وتعلقت جوارحه بالله (جل وعلا) ومن هذا البيت المبارك خرجت فاطمة التى أصبحت فيما بعد سيدة نساء أهل الجنة وأم الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة وزوجة واحد من العشرة المبشرين بالجنة . . . فيها له من بيت مبارك نثر البركة وعبر الإيمان على الكون كله.

كرم وإيثار

ولقد كانت خديجة رضي الله عنها في غاية الكرم والجود وكانت تحب كل ما يحبه زوجها صلوات الله عليه وتضحي بكل ما تملك من أجل إسعاد زوجها عليه السلام فلما كفل الحبيب عليه السلام ابن عمها على بن أبي طالب وجد في بيت الطاهرة الرحيمة (خديجة) قلبًا حانياً وأمًا عطوفًا جعلته يشعر أنه مع أمه التي ولدته فكانت تُحسن إليه غاية الإحسان.

* وكذلك لما أحسست خديجة رضي الله عنها بأن الحبيب عليه السلام يحب مولاها زيد بن حارثة وهبته له فازدادت بذلك منزلتها في نفس النبي صلوات الله عليه.



ما أنا بالذی اختار عليك أحداً أبداً

ولقد رأت خديجة من حب زيد للحبيب عليه السلام موقفاً
لا توازيه الدنيا بكل ما فيها من متع زائل .
فإنما كان (زيد) خرج مع أمه وهو صغير في زيارة
لقومها فأغارت عليهم الخيل فاحتملوا زيداً وباعوه في
سوق عكاظ فاشترىهم حكيم بن حزام لعمته خديجة
بأربعمائة درهم فظل أبوه يبحث عنه في مشارق الأرض
ومغاربها حتى تفطر قلبه حزناً عليه وأخذ يصوغ حنينه إليه
شعرًا حزينًا تتفطر له الأكباد .

* وفي موسم من مواسم الحج ^(١) قصد البيت الحرام
نفر من قوم زيد، وفيما كانوا يطوفون بالبيت العتيق، إذا
هم بزيد وجهاً لوجه، فعرفوه وعرفتهم وسألوه وسائلهم ،
ولما قصوا مناسكهم وعادوا إلى ديارهم أخبروا حارثة بما
رأوا وحدثوا بما سمعوا .

فما أسرع أن أعد حارثة راحلته، وحمل من المال ما
يغدو به فلذة الكبد، وقرة العين؛ وصاحب معه أخيه

^(١) كان ذلك في الحادية .

كعباً، وانطلقا معاً نحو مكة، فسألوا عن النبي ﷺ فقيل: هو في المسجد فدخلوا عليه فقالا: يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، أنت أهل حرم الله وجيرانه، تفكرون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابنتنا عندك فامن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فإننا سترفع لك في الفداء.

قال: «ما هو؟» قالوا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «فهلا غير ذلك؟» قالوا: ما هو؟ قال: «أدعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحداً»، . . . قالوا: قد أكرمتنا وأحسنت إلينا.

فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» قال: نعم، هذا أبي وهذا عمى، قال: «فأنا من قد علمت، ورأيت محبي لك فاخترتني أو اخترهما»، فقال زيد: ما أنا بالذى أختار عليك أحداً، أنت مني بمنزلة الآب والعم. فقال: ويحك يا زيد أتخيار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك، وأهل بيتك؟ قال: نعم. إنني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذى أختار عليه أحداً أبداً. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: «يا من حضر

اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه...» فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا.

فدعى زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام، فزوجه رسول الله صلوات الله عليه وسلم زينب بنت جحش فلما طلقها تزوجها النبي صلوات الله عليه وسلم فتكلم المنافقون في ذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه فنزل: «مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ»^(١) الآية وقال: «ادعوهم لآباءِهم»^(٢) فدعى يومئذ زيد بن حارثة^(٣).

شمس النبوة تشرق على أرض الجزيرة

وفي تلك الفترة التي كانت قبل البعثة كان النبي صلوات الله عليه وسلم يعبد ربه على دين إبراهيم (عليه السلام). ولما اقترب من سن الأربعين حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فكان يذهب إلى غار حراء في جبال مكة وكان يمكث شهراً رمضان في ذلك الغار يتبعده ويتذكر في بديع خلق الله (جل وعلا).

* وفي هذا الوقت حدثت أشياء عجيبة... فقد كانت

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥).

(٣) صحابيات حول الرسول (من: ٢٧ - ٣٣).

الشياطين تتجسس وتسمع أخبار السماء... ولكنها الآن لا تستطيع ذلك فـان النجوم والشُّهُب تطارد كل شيطان يحاول أن يقترب ليعرف أخبار السماء فتحرّقه وتقتله.

* وبدأ النبي ﷺ يحكى خديجة أنه يرى ضوءاً
ويسمع صوتاً فكانت خديجة تسأله ابن عمها ورقة بن
 نوفل فيقول لها: إن يكن صادقاً فإن هذا الوحي الذي كان
 يأتي موسى (عليه السلام). . فإن بُعث وأنا حي سأنصره
 وأؤمن به.

* وكان النبي عليه السلام في تلك الفترة يرى الرؤيا الصادقة في النوم.

وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .
فكان يتزود بالطعام والشراب ويذهب إلى الغار ليتعبد
ثم يعود بعد فترة ليتزود مرة أخرى .

* وبدأت أيام شهر رمضان المبارك تُطل على أهل مكة وخرج النبي ﷺ كعادته إلى غار حراء ليتعبد لربه (جل ععلا) ويتأنما في بديع خلق الله.

وبينما كان النبي ﷺ في تلك الحالة الإيمانية الفريدة
وإذا به فجأة ييري مخلوقاً لم ير مثله قبل ذلك أبداً.

وبداً يقترب من النبي شيئاً فشيئاً حتى جذبه بشدة
وضمه بقوه وقال له: «اقرأ».

قال له النبي ﷺ: «ما أنا بقاري»... فقد كان النبي
عَلَيْهِ السَّلَامُ أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

فحذبه الملك وضمه بقوه مرة أخرى وقال له: «اقرأ».

قال النبي ﷺ: «ما أنا بقاري».

ثم جذبه الملك للمرة الثالثة وضمه بقوه حتى تعب
النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ من ذلك تعباً شديداً فقال له الملك: «اقرأ
باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) أقرأ وربك
الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥)».

ثم تركه الملك وعاد إلى السماء مرة أخرى بعد أن ترك
النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ خائفاً مرجوحاً قد تصيب العرق على جبينه
وجسده.

* **فأسرع النبي ﷺ** عائداً إلى خديجة وهو يقول:
«زمليونى زملونى» (٦).

* فقامت خديجة لتعطية وتهادي من روعه.

(١) سورة العلق: الآيات: (١-٢).

(٢) أي: غطرونى.

وبدأت خديجة تسأله عمما حذر... فأخبرها النبي ﷺ بما حذر ثم قال لها: «القد خشيت على نفسي».
فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنت لتصل الرحيم، وتحمل الكل^(١)، وتكتب المعدوم^(٢)، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق^(٣)، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى (ابن عم خديجة)، وكان امراً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عمى اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى: فقال له ورقة: هذا الناموس - أى: جبريل أو الوحي - الذي نزل الله على موسى ، ياليتني أكون شاباً قوياً عندما يُخرجك قومك .

(١) تحمل الكل: تفتق على الصعب والبيم والبعال، والكل: أصله التقل والإعياء.

(٢) تكتب المعدوم: تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك من ثقافات الفوارق ومكانة الأخلاق.

(٣) تعين على نوائب الحق: أى: إنت لا يصيبك مكروه لما جعل الله فسيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل.

فتعجب النبي ﷺ وقال: «وهل سيخرجنى قومى؟».
قال له ورقه: ما جاء رجل بمثل ما جئت به إلا عاداه
قومه وأخرجوه ولو كنت قوياً فى ذلك الوقت لأنصرناك
نصرًا قويًا (١).

وعاد النبي ﷺ إلى بيته يفكر فيما قاله ورقه ابن
نوفل فعلم أن الأيام تُخبئ له أحداً عظيمة... ولكنَّه كان
على يقين وثقة أن الله لا يخذله.

حزن النبي ﷺ لفتور الوحي

عاد النبي ﷺ بعد ذلك إلى غار حراء لعله يرى
الملك الذي نزل عليه قبل ذلك وقال له: اقرأ... لكنَّه
الملك لم يأتي إليه مرة أخرى... ويمر اليوم وراء
اليوم... والنبي ﷺ يتضرع والملك لا يأتي.

فحزن النبي ﷺ على فتور الوحي وعدم نزول
جبريل وخشي ألا ينزل عليه مرة أخرى.

وبينما هو عائد من الغار وإذا به يرى جبريل (عليه
السلام) جالساً على كرسيه بين السماء والأرض فخاف

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤) كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

منه النبي ﷺ وامتناع قلبه رعباً من هول المنظر . . .
وأسرع بالعودة إلى خديجة وهو يقول: «زملوني
زملوني . . .» فجاءه جبريل مرة أخرى وهو يقرأ عليه: ﴿يَا
أَيُّهَا الْمُدَّثِرُ ﴾١﴿ قُمْ فَانذِرْ ﴾٢﴿ وَرِبْكَ فَكَبِرْ ﴾٣﴿ وَثِبَابَكَ فَطَهِرْ ﴾٤﴿
وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ﴾٥﴾.

* ففزع النبي ﷺ وقام من نومه فقالت له خديجة:
نِمْ يَا مُحَمَّدَ واسْتَرِحْ .
قال لها: «الْقَدْ مَضَى عَهْدُ النَّوْمِ يَا خَدِيجَةَ».

الدعوة السرية

لما نزل على النبي ﷺ قول الله (جل وعلا): ﴿يَا
أَيُّهَا الْمُدَّثِرُ ﴾١﴿ قُمْ فَانذِرْ﴾٦﴾ .

علم النبي ﷺ أنه تتحمل مهمته شاقة ومسؤولية
كبيرة: وهي أنه لابد أن يقوم بيدعو الناس جميعاً إلى
عبادة الله (جل وعلا) وإلى ترك عبادة الأصنام.

* وبدأت الدعوة إلى الإسلام سراً.
وكان من الطبيعي أن يعرض الرسول ﷺ الإسلام

(١) سورة المدثر: الآيات: (٥-٦).

أولاً على الصدق الناس به وآل بيته، وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسّم فيه خيراً من يعرفهم ويعرفونه.

وفي مقدمتهم زوجة النبي ﷺ أم المؤمنين خديجة بنت خویلد، ومولاه زيد بن حارثة، وابن عمه على بن أبي طالب - وكان صبياً يعيش في كفالة الرسول ﷺ .

* دعا صديقه الذي هو موضع ثقته وأمين سره **﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾**^(١). أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلم يتردد وكان أول داعية في الإسلام، وكان يبركة إسلامه ودعوته ثلاثة مباركة دخلت في الدين وكانت من السابقين الأولين وكان لها في الإسلام أعظم بذل وبلاء، فرضى الله عنهم أجمعين... منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ذو التورين، والزبير بن العوام وهو حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص خال المصطفى صلوات الله عليه وسلم، وطلحة بن عبيد الله، وكل هؤلاء

(١) الرحيق المختوم (ص: ٧٢).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤).

الذين دخلوا الإسلام على يد أبي بكر من العشرة المبشرين رضي الله عنهم أجمعين^(١).

* فكان أول من أسلم من النساء خديجة بنت خويلد.

وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وأول من أسلم من الصبيان على بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة رضي الله عنه.

* وببدأ النبي ﷺ يتبع دعوته شيئاً فشيئاً حتى لا تعلم قريش بذلك فتبدأ في إيذاء المؤمنين.

* ولما زاد عدد الذين أسلموا على الثلاثين اختار لهم الرسول ﷺ دار أحدهم (وهو الأرقم بن أبي الأرقم) ليلاقي بهم في تلك الدار فيعلمهم ويرشدتهم.

* واستمرت هذه المرحلة السرية قرابة ثلاثة سنوات.

ثم نزل الوحي يكلف النبي ﷺ بأن يجهز بدعوته.

وفد قريش إلى أبي طالب

بدأ النبي ﷺ دعوته العلنية... وأخذ يعلم الناس أن تلك الأصنام التي يعبدونها لا تفع ولا تضر...

^(١) وقفات تربوية / د. أحمد فريد (ص: ٦٧).

وأخذ يتضرر قدوة العرب إلى موسم الحج ليدعوهم إلى
الإسلام ويقول لهم: «قولوا لا إله إلا الله تفحلوا».

* وهنا بدأ المشركون يشعرون بخطر دعوة النبي صلوات الله عليه وسلم
التي تحرم عليهم تجارة الأصنام وعبادتها... وتُسوّى بين
السادة والعبد وبين الغنى والفقير... فالناس في ظل هذا
الدين سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالتسقى -«إنَّ
أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ»^(١) فلا فضل لأحد على أحد بالمال
أو الجاه أو السلطان أو القوة.

* وهنا قرر المشركون أن يواجهوا النبي صلوات الله عليه وسلم
و أصحابه.

فذهبوا أولاً إلى عمه أبي طالب وقالوا له:
يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعب
ديتنا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإذا ما انكشف عننا،
وإذا ما انْتَخلَّ بيتنا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من
خلافه، فقال لهم أبو طالب قوله صلوات الله عليه وسلم على ما هو عليه
فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله صلوات الله عليه وسلم على ما هو عليه
يُظهر دين الله، فذهب الوفد مرة أخرى إلى أبي طالب،

^(١) سورة الحجرات: الآية: (١٢).

فقالوا له: يا أبو طالب: إن لك سناً وشرقاً ومنزلةً فينا، وإننا قد استهيناك عن ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنما والله لا نصبر على هذا من شتم آياتنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آهتنا، حتى تكتفه عنا، أو ننرا له وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين... ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بتسليم رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه، فدعا أبو طالب رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخي: إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا فأبقي على نفسي، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»، ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي، فاقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحبت فوالله لا أسلنك لشيء أبداً^(١).



(١) سيرة ابن هشام (١/٢٩٩).

موقف جليل لأبي طالب وقومه

قال ابن إسحاق: ثُمَّ إِنْ قَرِيشًا حِينَ عَرَفُوا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ
قد أَبْيَ خَذْلَانَ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِسْلَامَهُ، وَإِجْمَاعَهُ
لِفَرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ وَعَدَوَتِهِمْ، مَشَوْا إِلَيْهِ بَعْمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ
ابْنِ الْمُغَيْرَةِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ، هَذَا عُمَارَةُ بْنِ الْوَلِيدِ،
أَشَدُّ فَتَّى فِي قَرِيشٍ وَأَجْمَلُهُمْ، فَخَذَهُ فَلَكَ عَقْلَهُ وَنَصْرَهُ،
وَاتَّخَذَهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ، وَأَسْلَمَ إِلَيْنَا ابْنَ أَخِيكَ هَذَا الَّذِي قَدْ
خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ، وَفَرَقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ، وَسَفَهَ
أَحَلَامَهُمْ، فَنَقْتَلَهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بَرْجُلٍ؛ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَيَشَاءُ
مَا تَكْلِفُونِي أَتَعْطُونِي ابْنَكُمْ أَغْدُوهُ لَكُمْ، وَأَعْطِيَكُمْ ابْنَيِ
تَقْتَلُونَهُ؟ هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ أَبْدًا.

النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستمر في دعوته

* قَامَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ
وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ . . . وَكَانَتْ زَوْجَهُ خَدِيجَةُ تَعِينَهُ وَتَثْبِتَهُ
وَتَخْفَفُ عَنْهُ الْآلَمَ وَالْأَحْزَانَ وَتَسْاعِدُهُ بِمَا لَهَا . . .
وَكَانَ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ يُؤَازِّرُهُ وَيُنَصِّرُهُ وَيُحْمِيهُ رَغْمَ أَنَّهُ

كان مشركاً ولم يؤمن . . لكنه كان يحب رسول الله ﷺ حباً جماً .

* وأوحى الله إلى نبيه ﷺ : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين » (١) .

فقام النبي ﷺ يبذل أقصى جهده في الدعوة إلى الله وهو يعلم أن الله قد تعهد بحفظه من كيد المشركين وإيذائهم . . فضل في دعوته هذه حتى آخر لحظة في حياته ﷺ .

أول من صلت مع النبي ﷺ

ذكر رواة السيرة النبوية أن الله عز وجل فرض على رسوله ﷺ صلاة أول ما أوحى إليه ، وكان خديجة رضوان الله عليها فضيلة السبق إلى الصلاة ، وامتثال أمر الله عز وجل فكانت أول من صلت مع النبي ﷺ .

ذكر بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له

(١) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين فتوضاً جبريل
ورسول الله ﷺ ينظر ليريه كيف الظهور للصلوة، ثم
تواضاً رسول الله ﷺ كما رأى جبريل يتوضأ، ثم قام
جبريل فصلى به، وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم
انصرف جبريل.

فجاء رسول الله ﷺ خديجة فتوضاً لها ليريها كيف
الظهور للصلوة، كما أراه جبريل، فتوضات كما توضأ لها
رسول الله ﷺ، ثم صلى بها رسول الله، كما صلى
به جبريل فصلت بصلاته^(١).

صبرٌ واحتساب

وكانت خديجة رضي الله عنها ترى ما كان يتعرض له الحبيب
عليه السلام من الإيذاء والسخرية فتساوشه وتثبته وتحتفظ عنه
وتُهون عليه أمر الناس . . فكانت بذلك مثلاً عظيمًا وفريداً
بل وقدوة لكل أخت مسلمة زوجها داعية إلى الله تعالى
لتحتفظ عنه ما يراه من الابتلاءات التي تجعل الخليم
حيراً.

^(١) نساء أهل البيت (ص: ٥٦).

لقد حارب الرجال والنساء في مكة دعوة الإسلام والسلام التي يدعو إليها الحبيب المصطفى محمد ﷺ . وكان بعض من رجال بنى أمية ونسائهم وبعض من رجال بنى مخزوم ونسائهم قد اشتهروا في عداوتهم لرسول الله ﷺ .

كانت أم جميل بنت حرب حمالة الخطب زوج أبي لهب من ألد أعداء نبي الإسلام، فقد سخرت زوجها أبو لهب لكي يصد عن سبيل الله وما نزل من الحق، حتى نزلت في حقهما سورة كاملة تندد بهما وتندerroها بنار ذات لهب.

ومن المتوقع أن تكون أم جميل قد صبت نار غضبها على خديجة رضي الله عنها وحاولت أن تضع العوائق العديدة لمنع سير رسالة الإسلام وطلبت من ولديها أن يفسخا زواجهما من ابتي رسول الله ﷺ لإرهاق الدعوة الربانية، وإرهاق محمد ﷺ وخديجة عليها سحائب الرضوان، وكذلك إرهاق ابنتي النبي ﷺ .

لكن الله عز وجل قد أكرم ابنتي رسول الله ﷺ ، وصانهما عن بيت أبي لهب وزوجه الحاقدة أم جميل، وتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية ابنة الرسول رضي الله عنها فلما تُوفيت تزوج اختها أم كلثوم فسمى بدئي النورين.

الهجرة إلى الحبشة.... وفرق مؤلم

ولما كان إيذاء المشركين للموحدين يزداد يوماً بعد يوم
أذن النبي ﷺ ل أصحابه بالهجرة إلى الحبشة.
ففقد كانت بداية الأضطهادات في أواسط أو أواخر
السنة الرابعة من النبوة بدأت ضعيفة، ثم لم تزل يوماً
فيوماً وشهراً فشهرًا حتى اشتدت وتفاقمت في أواسط
السنة الخامسة، حتى اضطروا إلى أن يفكروا في حيلة
تجيهم من هذا العذاب الاليم، وفي هذه الساعة الضنكـة
الحالكة نزلت سورة الكهف، رُدوًّا على أسئلة أدلـى بها
المشركون إلى النبي ﷺ ولكنها اشتملت على ثلاث
قصص فيها إشارات بلـغة من الله تعالى إلى عباده
المؤمنين، فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من
مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين،
متوكلاً على الله: «إِذَا اعْتَرَضُوهُمْ وَمَا يَعْدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(١).
وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري ولا

(١) سورة الكهف: الآية: (١٦).

تتجزأ حسب الظاهر دائمًا، بل ربما يكون الأمر على عكس كامل بالنسبة إلى الظاهر، ففيها إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستتعكس تماماً، وسيُهزم هؤلاء الطغاة المشركون - إن لم يؤمنوا - أمام هؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين.

وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء، وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده - بين آونة وأخرى - من يقوم بالنجاء الضعفاء وأن الأحق بميراث الأرض إنما هو عباد الله الصالحون.

ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١)
وكان رسول الله ﷺ قد علم أن أصحمة النجاشي ملك الحبشة ملك عادل لا يُظلم عنده أحد، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فراراً بدینهم من الفتن^(٢).

(١) سورة الزمر: الآية: (١٠).

(٢) ابن هشام (١ / ٢١٣).

وفي رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة، كان مكوناً من اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة... وكان رئيسهم عثمان بن عفان، ومعه السيدة رقية بنت رسول الله عليهما السلام وقد قال النبي عليهما السلام: «إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط - عليهما السلام»^(١).

ووقفت أمها خديجة بنت خويلد مع رسول الله عليهما السلام تودع ابنتهما رقية وروجهما عثمان بن عفان ودموعها تقطر على وجهيها... ولكنها مع كل هذا تصبر وتحتسب لأنها كانت تتمنى من أعماق قلبها أن تضحي بكل شيء في سبيل نصرة هذا الدين العظيم مهما كان الثمن. فكل شيء يهون ما دام في طلب مرضاته لله^(٢).

الصحيحة الظالمة والمقاطعة العامة

فلما رأت فريش^{*} أمر رسول الله عليهما السلام يعلو، والأمور تتزايد، أجمعوا على أن يتعاقدوا على بنى هاشم، وبينى

(١) قال الهيثمي في المجمع (٩/٨٤): رواه الطبراني في الكبير وفي الحسن ابن زياد البرجمي ولم أعرفه وبقيه رجاله ثقات.

(٢) رحمة للعلميين (١/٦١) نقلًا من الرحيق المختوم ص: (٩١-٩٢).

عبد المطلب، وبني عبد مناف، أن لا يُبَايِعُوهُمْ، ولا يُنَاكِحُوهُمْ، ولا يُكَلِّمُوهُمْ، ولا يُجَالِسُوهُمْ حتى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً، وَعَلَقُوهَا فِي سَقْفِ الْكَعْبَةِ.

وَانْحَازَ بْنُو هَاشِمٍ وَبْنُو الْمَطَّلِبِ (مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ) إِلَّا أَبَا لَهَبَ فِي إِنَاءِ وَقْفٍ فِي صَفِّ كَفَّارِ قُرَيْشٍ فِي عَدَوَتِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَحُبِسَ النَّبِيُّ ﷺ وَمِنْ مَعِهِ فِي شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ فَقَدْ مَنَعَ الْمُشْرِكُونَ عَنْهُمُ الطَّعَامَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا وَرْقُ الشَّجَرِ حَتَّى تَقْرَحَتْ أَشْدَاقُهُمْ وَيَلْعَبُ بِهِمُ الْجَهَدُ مَبْلَغًا شَدِيدًا حَتَّى كَانَ النَّاسُ يَسْمَعُونَ صَوْتَ بَكَاءِ الْأَطْفَالِ وَصَرَاخِ النِّسَاءِ مِنْ وَرَاءِ الشَّعْبِ.

وَكَانَ الصَّحَابَةُ إِذَا قَدِمْتُمْ عَيْرَ إِلَى مَكَّةَ، يَأْتِي أَحَدُهُمْ السُّوقَ لِيُشْتَرِي شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ فَوْتًا لِعِبَالِهِ فَيَقُولُ أَبُو لَهَبٍ فَيَقُولُ: يَا مَعْشِرَ التَّجَارِ غَالِلُوا عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى لَا يَدْرِكُوا مَعَكُمْ شَيْئًا. وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالِي وَوَفَاءَ ذَمَّتِي فَإِنَّا ضَامِنٌ لَا خَسَارَ عَلَيْكُمْ، فَيُزِيدُونَ عَلَيْهِمْ فِي السَّلْعَةِ قِيمَتَهَا أَضْعَافًا حَتَّى يَرْجِعَ أَحَدُهُمْ إِلَى أَهْفَالِهِ وَهُمْ

يصرخون من الجوع . وليس من يده شيء يطعمهم به .
ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما اشتروا من
الطعام واللباس حتى تعب المؤمنون ومن معهم من شدة
الجوع والعري .

نقض الصحيفة الظالمة

وكانت قريش بين راضٍ وكاره لهذه المقاطعة . . . وقد
أحزنت تلك الآلام التي حدثت لل المسلمين بعض ذوى
الرحمة من قريش فكان أحدهم يحمل الزاد والطعام على
ظهر البعير ثم يضرره في الخباء الشعب ليصل إلى
المحصوريين فيخفف عنهم شيئاً من الفقر والجوع والحرمان .
* ثم سعى بعض الناس من قريش في نقض هذه
الصحيفة وكان القائم بهذا السعى هشام بن عمرو بن
ربيعة . . فقد ذهب إلى مطعم بن عدى وجماعة من
قريش فوافقوا على ذلك .

ولكن أمر الله كان قد سبقهم . . فقد أخبرهم النبي
عليه السلام بأن الله قد سلط على الصحيفة حشرة «الأرضة»
فأكلت كل الشروط الظالمة من الصحيفة ولم يبق منها إلا

كلمة واحدة: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ».

* ثم رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة... وحصل
الصالح بالرغم من أنف أبي جهل.

وظللت الطاهرة أمّنا خديجة رضوان الله عليها من وراء
رسول الله ﷺ تشد أزره، وتشاركه في حمل الأذى
من قومه بنفسٍ راضية صابرة محتببة، حتى قضى الله
تعالى قضاءه في هذه المقاطعة الفالمة المريمة.

* انتهت الحصار، وخرجت الطاهرة خديجة أم
المؤمنين عليها السلام من الحصار ظافرة بشمرة صبرها لتنابع مع
رسول الله ﷺ سيرها في الحياة زوجة أمينة مستظللة
بظل الوفاء وصدق الإيمان وحسن الصبر،... وفي ثبات
المسلمين على هذه الشدة الرهيبة جعلهم الله من أصحاب
المقام الرفيع في الآخرة، وجعلهم سادة الأرض في الدنيا،
وذاك جزاء الصابرين، وأجر الشاكرين.

الله سبحانه يقرئ خديجة السلام

عن أنس قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعنده
خديجة فقال: «إن الله يُقرئ خديجة السلام» فقلت: إن

الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته^(١).

فيا لها من أُمٌّ فقيهة ذكية تعلمت الأدب كلها وتعاشت
معه في بيت النبي عليهما السلام الذي جمع الله له كل الفضائل
والمناقب والمكارم فقال (جل وعلا): «إِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ
عَظِيمٍ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي عليهما السلام
فقال: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معاها إناه فيه
إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من
ربها ومني، وبشرها بيته في الجنة من قصب^(٣) لا صَبَبَ
فيه ولا نَصَبَ^(٤).

عام الحزن

وما إن خرج النبي عليهما السلام وأصحابه من شعب أبي
طالب حتى تابعت عليه المحن والأحزان... فقد مات

(١) رواه النسائي في فضائل الصحابة (٢٥٤)؛ وإسناده حسن.

(٢) سورة القلم: الآية: (٤).

(٣) القصب: هو اللول المحوف.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢٠) كتاب المناقب، وسلم (٢٤٣٢) كتاب
فضائل الصحابة.

عمه أبو طالب الذي كان يدافع عنه وينصره... ولم تكن المصيبة في موته فحسب بل كانت المصيبة في أنه مات كافراً مع أن النبي ﷺ كان يتبعه بالدعوة حتى آخر لحظة في عمره.

* **عن المسيب** قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة. فقال رسول الله ﷺ : يا عم قل لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله»^(١).

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! ترحب عن ملة عبد المطلب! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم، هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

قال رسول الله ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ أَكْبَرُ لَا سَتَغْفِرُنَّ لَكُم مَا لَمْ أَنْهَ عَنْكُمْ» فأنزل الله تعالى: «مَا كَانَ لِلَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا قَبْلَنَّ لَهُمْ أَنْهُمْ

(١) **مسند عليه**: رواه البخاري (١٣٦٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان.

أصحاب الجحيم^(١) وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال
لرسول الله ﷺ : «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي
من يشاء وهو أعلم بالمهتددين»^(٢).

* وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : قال للنبي ﷺ :
ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟
قال : «هو في صاحب من نار، ولو لا أنا لكان في الدرك
الأسفل^(٣) من النار»^(٤).

ولما مات أبو طالب وجدت قريش فرصة كبيرة لإيذاء
النبي ﷺ فقد مات الذي كان يدافع عنه... فقام
واحد من سفهاء قريش وألقى التراب على رأس النبي
ﷺ... حتى قال النبي ﷺ : «ما نالت مني قريش
شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»^(٥).

* وكانت وفاة أبي طالب في رجب سنة عشر من
البعثة بعد الخروج من الشّعب بستة أشهر.

(١) سورة التوبة: الآية: (١١٣).

(٢) سورة القصص: الآية: (٥٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٤) كتاب الثاقب، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان.

(٤) الدرك الأسفل: قعر النار.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٣) كتاب الثاقب، ومسلم (٢٠٩) كتاب الإيمان.

(٦) ضعيف: ضعفة العلامة الألباني رحمة الله في تخريج فقه السيرة (ص ١١٥).

* وما كاد النبي ﷺ يخلع ثوب الحزن على عمه حتى فُجع بموت زوجته وشريكة عمره خديجة رضي الله عنها التي آزرته ونصرته وبذلت نفسها ومالها لُنْصُرَةِ هَذَا الدِّين . . . وكانت نعم الزوجة .

وكانت وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوة، ولها خمس وستون سنة على أشهر الأقوال، ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره . وحزن النبي ﷺ لموتها حزناً شديداً فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التي آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نُصْرَةِ هَذَا الدِّين كل غالٍ ونفيس فلم يستطع النبي ﷺ أن ينساها أبداً وكان يحمل لها وفاء يعجز القلم عن وصفه .

فَهَا هُوَ الْجَيْبُ ﷺ يُثْنِي عَلَيْهَا وَيَقُولُ: «كَمْلُ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكُمِلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةٌ فَرْعَوْنُ وَمَرِيمٌ بَنْتُ عُمَرَانَ - وَخَدِيجَةُ بَنْتُ خَوَيلَدَ - وَإِنْ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفْضُلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائرِ الطَّعَامِ»^(١) .

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤١١) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٤٣١) كتاب فضائل الصحابة.

* وقد علق أحد العلماء الأفضل على هذا الحديث تعليقاً لطيفاً فقال: من المواقف اللطيفة التي جمعت الثلاث في نسق واحد أن كل واحدة منهم كفلت نبياً مُرسلاً، وأحسنت صحبته وأمنت به، فأسيا ربَّت موسى، وأحسنت إليه، وصدقته به حين بُعث، ومريم كفلت عيسى وربته، وصدقته به حين أُرسَل، وخدیجة رغبت في النبي وواسته ب نفسها ومالها، وأحسنت صحبته، وكانت أول من صدَّقه حين نزل عليه الوحي.

ولم يتزوج النبي ﷺ امرأة قبلها أبداً.. بل ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَ: لَمْ يَتَزَوَّجْ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى خدیجة حتى ماتت ^(١).

* **وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ:** حَسِبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرِيمَ ابْنَةَ عُمَرَانَ وَخَدِيجَةَ بَنْتَ خَوَيْلَدَ وَفَاطِمَةَ بَنْتَ مُحَمَّدَ وَآسِيَةَ امْرَأَةَ فَرْعَوْنَ ^(٢).

وَعَنْ أَبْنِ عَبَّاسِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «سَيِّدَاتُ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٧٨) كتاب المذاهب، وصححه العلامة الآلبانى رحمة الله تعالى به صحيح الجامع (٣١٤٣).

نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة و خديجة وأسمية
امرأة فرعون^(١).

هكذا يكون الوفاء

وحزن النبي ﷺ لموتها حزنًا شديداً فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التي آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نصرة هذا الدين كل غال ونفيس فلم يستطع النبي ﷺ أن ينساها أبداً وكان يحمل لها وفاءً يعجز القلم عن وصفه.

* ومن الدلائل الرائعة على وفاته ﷺ للطاهرة خديجة، ما حديث في غزوة بدر الكبرى، إذ أسر أبو العاص بن الربيع صهر الرسول الحبيب ﷺ وزوج ابنته زينب ابنة زوجه الوفية الكريمة خديجة، فأرسلت الوفية زينب قداءً لزوجها أبي العاص؛ ومن ضمن الفداء قلادة كانت قدّتها بها والدتها المعطاء خديجة رضي الله عنها ليلة زفافها، فلما رأها رسول الله ﷺ رقّ لها رقة شديدة، وتذكر

(١) صحّح: رواه الطبراني في الكبير (٤١٥/١١)، رقم (١٤١٧٩)، وفي الأوسط (٢٣/٢)، رقم (١١٧)، وصحّحه العلامة الألباني رحمه الله في السنة الصحيحة (١٤٢٤).

زوجته المباركة الوفية خديجة، وقال لأصحابه: «إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسييرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا»^(١).
 فما كان من أصحابه الكرام رضوان الله عليهم إلا أن سارعوا بالاستجابة للنبي الكريم صلوات الله عليه وسلم الذي حرکته مشاعر الذکری للصَّدِيقَةِ الْوَفِيَّةِ الطَّاهِرَةِ - رضوان الله عليها - خديجة أم المؤمنين! فلله هذه الطاهرة المعطاء أمنا خديجة التي لها دین كبير في عنق كل مسلم ومسلمة، رضى الله عنها وأرضهاها^(٢).

غيرة عائشة من خديجة رضي الله عنها

وبعد وفاة خديجة رضي الله عنها تزوج رسول الله صلوات الله عليه وسلم سودة بنت زمعة ثم تزوج عائشة رضي الله عنها فكانت أمنا عائشة تشعر بشيء من الغيرة لكثره ثناء النبي صلوات الله عليه وسلم على خديجة وذكره إياها - وذلك لفطر محبة أمنا عائشة لرسول الله صلوات الله عليه وسلم.
عن عائشة قالت: ما غرت على نساء النبي صلوات الله عليه وسلم إلا على خديجة وإنى لم أدر كها قالت وكان رسول الله

(١) صحيح رواه أبو داود (٢٦٩٢) كتاب الجهاد، وحده العلامة الالبانى رحمه الله في صحيح أبي داود.

(٢) نساء مبشرات بناجحة (ص: ٣١).

عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ
خَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَغْضَبَتْهُ يَوْمًا فَقَلَتْ: خَدِيجَةُ! فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنِّي قَدْ رُزِّقْتُ حِبَّهَا»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة للنبي
عَلَيْهِ السَّلَامُ ما غرت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجني لما
كنت أسمعه يذكرها وأمره الله أن يبشرها بيبيت من
قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدى في خلالتها منها ما
يسعهن^(٢).

وفي رواية للبخاري^(٣) .. وربما ذبح الشاة ثم يقطعها
أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له: كأنه
لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: إنها كانت
وكان لها منها ولد».

وعن عائشة قالت: كان رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا ذكر
خديجة أثنتي فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة وأخرجه البخاري
مختصر (٥٢٢٩).

(٢) سبق عليه: رواه البخاري (٣٨١٦) كتاب المناق. ومسلم (٢٤٣٥) كتاب
فضائل الصحابة والترمذى (٣٨٧٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٨١٨) كتاب المناق.

أكثر ما تذكر حمراء الشدقين، قد أبدلک الله خيراً منها؟
قال: «أبدلني الله خيراً منها!! قد آمنت بي إذ كفر بي
الناس، وصدقتنى إذ كذبَنِي الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى
الناس، ورزقنى الله أولادها، وحرمنى أولاد الناس».^(١)

* وفي بيت عائشة كرامات أخرى للطاهرة خديجة،
فقد جاءت النبي ﷺ ذات يوم امرأة عجوز من
صويحبات الطاهرة خديجة فأحسن لقاءها، وأكرم
مثواها، ويسقط لها رداءه فاجلسها عليه، وصار يسأل عن
أحوالها وما صارت إليه، فقالت عائشة لما خرجت: يا
رسول الله، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال! فقال:
«إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حُسن العهد من
الإيمان».^(٢)

وداعاً أمّنا الفاتحة

وهكذا صعدت تلك النفس المطمئنة إلى ربها حين جاء
أجلها المحروم بعد أن ضربت مثالاً رائعاً في الدعوة إلى
الله والجهاد في سبيله، وقد عاشت مع الرسول الكريم

(١) قال البهيس في المجمع (١٥٢٨١) رواه أحمد وإسناده حسن.

(٢) رواه أحمد وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات، السیر (٢/ ٦٥).

خمساً وعشرين سنة كانت فيها الزوجة الحكيمة العاقلة التي لم تبخّل بشيء في مرضها الله ورسوله، وقد استحقت أن تُبَشَّرَ بالجنة.

هكذا رحلت أمّنا الغالية خديجة زوجها التي لا يتهيأ أبداً عبير سيرتها... فلو استطردنا في الكلام عنها لنجد العمر قبل أن نذكر نبذة يسيرة من مكرارها وفضائلها التي فاح عبيرها فعلاً الكون كله.

وتالله إن لامنا خديجة زوجها فضلاً كبيراً على كل مسلم ومسلمة إلى قيام الساعة. فمهى التي آزرت الحبيب عليه السلام في دعوته وساندته في محنته وواسته في كربلاته وأسته في وحشه.

وأخيراً فلا أملك ونوح نودع أمّنا الغالية إلا أن أقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿ۚ﴾.

فرضى الله عنها وأرضها وجعل جنة الفردوس مثواها^(١).



(١) سورة القمر: الآيات: (٥٥-٥٤).

(٢) صحابيات حول الرسول (ص: ٦٣ - ٦٤).

سودة بنت زمعة رضي الله عنها

سودة بنت زمعة رضي الله عنها

حبيبي الخلوبين:

وما زلنا نعيش في بستان الخير والبركة والعفاف
والتفاني... ففي كل يوم نرى زهرة جديدة فاح عبيرها
على الكون كله.

ونحن اليوم على موعد مع صاحبىة جليلة مباركة
كانت تبذل كل ما تستطيع لتدخل السعادة والسرور
والبهجة على قلب النبي صلوات الله عليه وسلم.

إنها من السابقات إلى الإسلام... إنها صاحبة
الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة... إنها التي
أثرت رضى رسول الله صلوات الله عليه وسلم على حظوظ نفسها...
إنها التي قالت عنها أم المؤمنين عائشة: «ما رأيت امرأة
أحبَّ إِلَيَّ أن أكون في ملاخها من سودة بنت زمعة».
* إنها أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

فتعالوا بنا لتعيش بقلوبنا مع سيرتها العطرة التي
تطيب بسماعها القلوب فهيا إلى تلك الواحة المباركة.

من ظلمات الشرك والكفران

إلى أنوار التوحيد والإيمان

لقد كانت البشرية تعيش في جاهلية وشرّ فجاء الحبيب
عليه السلام بهذا الدين العظيم ليُنقل البشرية من أوحال الشرك
والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان فاستجاب لدعوته
 أصحاب الفطر والقلوب النقيّة فخلعوا ثوب الجاهلية
على عتبة الأرقم ابن أبي الأرقم ولبسوا ثوب الإسلام
فانقادت قلوبهم وجوارحهم لطاعة الله وخدمة دين الله
عز وجل.

إن هؤلاء الصحابة الكرام الذين استجابوا لهذه الدعوة
المباركة في مهدها هم الذين حملوا هم هذا الدين ونشروا هذه
الرسالة إلى أرجاء الكون على أشلائهم ولحومهم ودمائهم.

* وكان أول من أسلم من النساء خديجة رضي الله عنها التي
كانت تؤازر الحبيب عليه السلام في أعتى المواقف وتعينه على
أمر الدعوة.

* وكان أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق
الذي لم يتردد لحظة واحدة عن قبول الدعوة فما إن
عرض عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته حتى وجده يقول: أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وما إن أسلم أبو بكر تَعَالَى تَحْمِلُهُ حتى حمل أمانة الدين
على عنقه وخرج يدعو الناس إلى دين الله - جل وعلا
- فأسلم على يديه ستة من العشرة الذين يشّرّهم النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة فيما بعد.

فيأتي الصديق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيمة وهو في ميزان
حساته.

بل وأسلم على يديه خلق كثير غير هؤلاء الأطهار
الأبرار.

وهكذا يجب أن يكون الداعية... يحمل هم الناس
من حوله ويخشى عليهم من عذاب الله ويأخذ بأيديهم
إلى مرضاه الله وجنته^(١).



^(١) أصحاب الرسول / المصنف (١/٥٨ - ٥٩).

والسابقون الأولون

وكان من بين السابقين الذين استجابوا لدعوة الحق من أول وهلة - السكران بن عمرو آخر الصحابي الجليل سهيل بن عمرو - فلقد أسلم السكران رضي الله عنه ولا مس الإيمان شغاف قلبه . . . بل وأسلمت معه زوجه وابنته عمه سودة بنت زمعة رضي الله عنهما وعاشا سوية في رحاب التوحيد والإيمان أجمل لحظات العمر.

نعم والله إن الحياة في ظل الإيمان هي الحياة الطيبة كما قال تعالى: «من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحييه حياة طيبة ولنجزئهم أجورهم بأحسن ما كانوا يعملون» ^(١).

وهكذا كانوا من السابقين الذين أسلما قلوبهم وجوارحهم لله - جل وعلا - فكانوا من الذين كتب الله لهم السعادة في الدنيا والآخرة فقد قال تعالى: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهر خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم» ^(٢).

(١) سورة التحليل الآية: (٩٧).

(٢) سورة التوبه الآية: (١ - ١).

صبر واحتساب

وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَاتٌ مُعْدُودَةٌ حَتَّىٰ شَاعَ خَبْرُ إِسْلَامِهِ
 تَبَّأْلَهُ وَإِذَا بَهْلَاءَ الَّذِينَ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي عَقُولِهِمْ، فَظَنُوا
 أَنَّهُمْ هُمُ السَّادَةُ مَعَ أَنَّهُمْ عَبْدٌ لِشَهَوَاتِ بَطْوَنِهِمْ
 وَفِرْوَاجِهِمْ... يَعْرُفُونَ خَبْرَ إِسْلَامِ السَّكَرَانَ بْنِ عُمَرَ وَ
 يَرْجِعُونَ فِي صَبَوْنَ عَلَيْهِ العَذَابَ صَبًّا.

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنِ الْبَلَاءِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنِ الْعَافِيَةِ، لِمَ كَانَهُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَمَّهُ
 أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعَهُمْ وَيَحْمِلَهُمْ مَا هُمْ
 فِيهِ مِنْ الْبَلَاءِ، قَالَ لَهُمْ: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ، فَإِنَّ
 بِهَا مَلَكًا لَا يُظْلِمُ عَنْهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضٌ صَدِيقٌ، حَتَّىٰ يَجْعَلَ
 اللَّهُ لَكُمْ فَرْجًا مَا أَنْتُمْ فِيهِ»^(١). فَخَرَجَ عَنْ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ
 مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ، مُخَافَةً
 لِلْفَتْنَةِ، وَفِرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ، فَكَانَتْ أُولَئِكَ الْهِجْرَةُ كَانَتْ
 فِي الْإِسْلَامِ.

﴿ وَهَاجَرَتْ سُودَةُ بْنَتُ زَمْعَةَ مَعَ زَوْجِهِ يَهُشَّى وَعَاشَا فِي رَحَابِ

(١) **صَحِحٌ**: رواه البيهقي (٤١٩) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في
 السلسلة الصحيحة (٣١٩٠).

النجاشي - ذلكم الملك العادل - أطيب حياة في ظل الإيمان والتوحيد.

وبعد ذلك عادا إلى مكة المكرمة ليتعما بصحبة الحبيب ﷺ ... فإن المؤمن يستعبد العذاب في جوار رسول الله ﷺ عن الراحة والنعيم بعيداً عن الحبيب ﷺ . فلما عادا إلى مكة وجدوا أن قريشاً ما زالت تعلن العداء لدعوة النبي ﷺ وتسلط على أصحابه من العذاب ألواناً ولكن النبي ﷺ كان يُطمئن قلوبهم بأن نصر الله قريب وأن العزة ستكون لأولئك والخزي سبكون لآدائه^(١).

الرؤيا المباركة

وفي يوم من الأيام رأت سودة بنت زمعة رؤيا عجيبة فقالت لزوجها السكران بن عمرو: لقد رأيت الليلة في منامي كان رسول الله قد وطى عنقى، فما تفسير ذلك، فقال السكران بن عمرو (زوج سودة بنت زمعة): إن صدقت رؤياك يا سودة، فسوف أموت أنا ويتزوجك رسول الله.

^(١) صحابيات حول الرسول / للعنسي (ص: ٦٥ - ٦٩).

دُهشت سودة من تأويل زوجها السكران بن عمرو لرؤياها، وأنكرت نفسها هذا التفسير، واستبعدته من الذاكرة تماماً، ولم ينل ذلك على قول زوجها بشيء، ومن ثم لم تُلقي بالاً بعد ذلك إلى ما رأت في منامها، إذ جال بخاطرها أن ذلك شيء بعيد، أو هو شيء مستحيل، فأتى لسودة بنت زمعة أن تقرن نفسها برسول الله عليهما السلام وهي المهاجرة مع زوجها إلى الحبشة فراراً من اضطهاد المشركين للمسلمين بمحنة أن تعود إليها لتتزوج من رسول الله عليهما السلام زوج خديجة سيدة نساء قريش كما فسرت الرؤيا من زوجها.

وهل يعقل أن يتزوج محمد عليهما السلام و خديجة على قيد الحياة أم أولاده وبيناته؟؟

مضت الأيام، وقريش تحارب الإسلام والمسلمين فيما كان المسلمون متمسكين بدينهم، ومرّ عامٌ عامٌ ومرض السكران بن عمرو، وفيما كانت زوجته سودة تُمرضه وتقضى له حاجاته، قالت: يا ابن العم، لقد رأيت الليلة في منامي كأن القمر قد انقضى علىَّ من السماء وأنا مضطجعة، وسكتت سودة لحظة ثم واصلت حديثها

فقالت: فما تفسير ذلك يا ترى . . . ؟

وصاحت السكران ببرهة يفكرا في تأويل رؤيا زوجته،
ويتأمل في تفسير معناها، وقد مرت بخاطره الرؤيا التي
قصتها عليه زوجته سودة منذ أمد بعيد ثم قال: يا سودة،
لا أبالي حتى أموت ويتزوجك رسول الله ﷺ .
مرة أخرى دهشت سودة من تأويل زوجها لرؤيابها،
فأنكرت في نفسها هذا التأويل وهذا التفسير، وقد وُثِّب
إلى ذهنها ما كان من تفسير زوجها لرؤيابها التي قصتها
عليه قبل ذلك بوقت طويل، ولم تُعلق سودة على قول
زوجها بشيء ولم تُلْقِي بالاً إلَيْهِ^(١).

فارق مؤلم

وتمر الأيام وما زال الزوجان يتعايشان في كل لحظة مع
كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ إلى أن جاءت اللحظة
التي نام فيها السكران على فراش الموت وفاضت روحه
إلى بارتها - جل وعلا - فماتت في مكة فحزنت عليه
سودة حزناً شديداً.

^(١) أزواج النبي ﷺ / ١. عبد المنعم الهاشمي (ص: ١١٠ - ١١١).

وأصبحت سودة رضي الله عنها وحيدة في هذه الدنيا ولكنها صبرت صبراً جميلاً ورضيت بقضاء الله لأنها تعلم يقيناً أن الله - جل وعلا - أرحم بعبيده من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

وأن العبد إذا صبر واحتسب فإن الله يعوضه خيراً ولكنها لم يكن يخطر ببالها أبداً أنها ستكون في يوم من الأيام أمّا للمؤمنين وزوجة لسيد الأولين والآخرين محمد ابن عبد الله صلوات الله عليهما.

وكان من أهم الأحداث التي وقعت في تلك الفترة من الوقت أيضاً وفاة أبي طالب عم رسول الله عليهم السلام الذي كفله صغيراً وأزره كبيراً، وناصره على دعوته، وحماه من أذى المشركين.

وتبع وفاة أبي طالب، وفاة خديجة زوج رسول الله عليهم السلام التي صدقه وأمنت به، بل كانت أول من آمن به، وكانت له وزیر صدق طوال سنوات کفاحه وجهاده.



موعد مع السعادة

وكان النبي ﷺ في تلك الأيام حزيناً لموت خديجة
رضي الله عنها التي كانت أحب الناس إلى قلب الحبيب ﷺ .
فقد كانت خديجة رضي الله عنها هي الزوجة والخبيبة والصديقية
وزيرة الصدق وأم أولاده... ففقد النبي ﷺ كل ذلك
في لحظة واحدة.

* وفي ظل هذه الظروف الصعبة لسير الرسالة
الحمدية من هى المرأة التي تستطيع أن تولا الفراغ الذى
تركته أمناً الغالية خديجة رضي الله عنها .

اعتقد أن مكان خديجة لا يملؤه إلا خديجة، وأن
مكانها ومكانتها في قلب رسول الله ﷺ سيسقى لها
وحدها، لا تشاركها واحدة من نساء الآخريات فيما
بعد ^(٣).

* ولكن سودة رضي الله عنها كانت على موعد مع سعادة الدنيا
والآخرة فلقد شاء الملك (جل وعلا) أن يتزوجها الحبيب
ﷺ ... ولكن كيف كان ذلك؟

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع هذا الحدث المهيب.

^(٣) نساء أهل البيت (ص: ٨٠ - ٨١).

هكذا أصبحت أمًا للمؤمنين وزوجة لسيد الأولين والآخرين عليه السلام

لقد كان أصحاب الحبيب عليه السلام يعرفون قدر خديجة رضي الله عنها عند النبي عليه السلام فعندما ماتت كانوا يرجون أن يرزقها الله عز وجل من يخفف عنده من آلامه وأحزانه... ولكن لم يكن أى واحد منهم يجرؤ أبداً أن يكلم النبي عليه السلام في أمر الزواج... فشاء الحق - جل وعلا - أن تجري واحدة من فضليات نساء الصحابة ألا وهي خولة بنت حكيم لتعرض هذا الأمر على رسول الله عليه السلام من أجل إدخال الفرح والسرور على قلبه المحزون.

* وها هي أمينا عائشة رضي الله عنها تحكى لنا كيف استطاعت خولة رضي الله عنها أن تعرض هذا الأمر على رسول الله عليه السلام.

عن عائشة قالت: لما توفيت خديجة، قالت خولة بنت حكيم - امرأة عثمان بن مظعون، وذلك بمكة - : يا رسول الله ألا تتزوج؟ قال: «من؟» قالت: إن شئت بكرًا^(١) وإن شئت ثيبًا^(٢)? قال: « فمن البكر؟» قالت:

(١) البكر: هي الفتاة التي لم يسبق لها الزواج.

(٢) الثيب: هي المرأة التي تزوجت قبل ذلك.

ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر .

قال: «فمن الثيب؟»^(١)

قالت: سودة بنت زمعة، آمنت بك، واتبعتك على ما
أنت عليه .

قال: «فاذهبي فاذكريهما على»^(٢)

قالت: فذهبت إلى سودة وأبيها زمعة - وكان شيخاً
كبيراً - فقلت: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟
فقالت سودة في دهشة: وما ذاك يا خولة؟

قلت: أرسلني رسول الله ﷺ إليك لأخطبك عليه .
غمر سودة سرور عميق، واستشعرت دموع الفرج
تبلي وجهها وروحها، وتذكرت ما رأت في نومها منذ
فتررة، وها هي رؤياها قد جعلها ربه حقاً، وما كانت
تطمع في أن تكون زوجاً لرسول الله ﷺ بعد أن نالت
منها السنون وكبرت في السن، وإنه لشرف عظيم لا يدانيه
شرف أن تصبح أم المؤمنين...، ثم توجهت إلى خولة
وقالت لها والفرح يملأ وجهها: وددت ذلك ولكن ادخلني

^(١) قال البيهقي في المجمع (١٥٢٨٥) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير
محمد بن عمرو بن علقة وهو حسن الحديث .

على أبي فاذكري له ذلك.

قالت خولة: فدخلت على أبي سودة، وحيثه بتحية
أهل الجاهلية قلت: ألمْ عمْ صباحاً.

فقال: من أنت يا هذه؟

فقلت: خولة ابنة حكيم زوج عثمان بن مظعون.

قالت خولة: فرَحِبَ بي والد سودة، وقال ما شاء الله
أن يقول، فقد كان على علم بأنى خرجت عن آلهة
قومي، وأمنت وهاجرت إلى الحبشة، ثم عُدت إلى مكة،
وسألني عن حاجتي وقال: ما شأْنِك؟!

فقلت: إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يذكر
ابنتك سودة.

قال: إن محمداً كُفَّاءٌ كريماً، ولكن ما تقول صاحبتك
سودة؟

قلت: هي تحب ذلك.

قال: إذن ادعيها إلىَّ.

فذهبتُ ودعوتها؛ فقال لسودة: أى بُنْيةٍ، إن خولة ابنة
حكيم تزعم أن محمد بن عبد الله قد أرسل يخطبك،
وهو كفَّاءٌ كريماً، أتخبين أن أزوجك منه؟

فقالت سودة في صوت يفصح عن رغبتها: نعم إن
أحبيت.

فالثفت زمعة إلى خولة وقال لها: قولى محمد فليأتنا.

قالت خولة: فجاء رسول الله ﷺ وعقد عليها
وملكها فزوجه إياها بعد أن أصدقها أربعمائة درهم.
وكان لام المؤمنين سودة أخ يدعى عبد الله بن زمعة لا
يزال على دين قريش، وكان خارج مكة، فلما قدم مكة،
وجد أن أخته سودة قد تزوجها محمد ﷺ، فتملكه
الغيط، وركبته حمى الجاهلية، وحثا بالتراب على رأسه
أسفاً وحزناً على هذا الزواج، ودخل على أبيه يتوعّد
ويهدّد.

ولما فتح الله عز وجل بصيرته وبصره على محسن
نور الإسلام وأمن بالله، وبمحمد رسولاً ونبياً، قال
مُحدّثنا عن نفسه: إنّي لسفهٍ يوم أحيث التراب على
رأسى، أن تزوج النبي ﷺ سودة ^(١).



^(١) قال الهيثمي في المجمع (١٥٣٤ـ) رواه الطبراني ورجاله ثقات.

في رحاب بيت النبوة

ولقد كانت سودة رضي الله عنها أول من تزوج بها النبي صلوات الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة رضي الله عنها ومكثت عنده وحدها نحوًا من ثلاثة سنوات حتى تزوج عائشة رضي الله عنها.

وكانَت تعلم يقينًا أنها لن تستطيع أن تملأ الفراغ الذي تركته خديجة رضي الله عنها لكنها كانت تحاول قدر طاقتها أن تملأ هذا البيت المبارك راحة وسعادة وسرورًا فكانت تخفف عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم ما كان يلقاه من اضطهاد المشركين وكانت تحدثه عن ذكرياتها في بلاد الحبشة وتُكثر من أخبار ابنته رقية وزوجها عثمان رضي الله عنها لأنها تعلم أن النبي صلوات الله عليه وسلم كان يحب أن يعرف أخبارهما ويطمئن عليهم ويُسعد بسيرتهم... هكذا كانت تبحث عن أي شيء يُدخل السعادة والسرور على قلب النبي صلوات الله عليه وسلم.

سعادة دائمة

وظللت سودة رضي الله عنها ملازمًا للحبيب صلوات الله عليه وسلم تقتبس من هديه وأخلاقه وعلمه وحلمه حتى أصبحت السعادة لا تفارق قلبها لحظة واحدة وحق لها أن تسعد بجوار رسول

الله عَزَّلَهُ فَوَاللهِ إِنَّ الْواحِدَ مَنَا يَتَمَنَّى أَنْ يَرَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةٍ فِي مَنَامِهِ فَكَيْفَ بِمَنْ يَعِيشُ مَعَهُ وَيَكْلِمُهُ فِي يَقْظَتِهِ؟

وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُرْ بِيَالِ سُودَةَ زَوْجِهِ أَنْ تَصْبِحَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَمَّا لِلْمُؤْمِنِينَ وَزَوْجَةِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ وَلَكِنْ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَهُ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

واستيقظت الذكريات

وَفِي الْبَيْتِ النَّبُوِيِّ، كَانَ لِسُودَةَ زَوْجِهِ مُوَاقِفٌ وَخَيْثَةٌ، فَقَدْ قَدِمَتْ مَكَّةَ رَقِيَّةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَوْجَهَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ مِنْ هَجْرَتِهِمْ مِنَ الْجَبَشَةِ، وَوَقَعَتْ عَيْنَاهَا عَلَى الدَّارِ الْغَالِيَةِ، دَارِ أَمَّهَا الطَّاهِرَةِ خَدِيجَةَ زَوْجِهِ، تَلَكَ الدَّارُ الَّتِي شَهَدَتْ رَقِيَّةَ فِيهَا أَحَلَى أَيَّامِ عُمْرِهَا، . . . دَارُ الْوَحْىِ وَالإِيمَانِ، وَدارُ الصَّدْقِ وَالْوَفَاءِ فَثَارَتْ بِدَاخْلِهَا مُشَاعِرٌ مُتَبَاينةٌ كَانَتْ مُزِيَّجًا مِنَ اللَّهْفَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَالْفَرَحِ وَالْحَزْنِ، وَالْقُلُقِ، وَالْهَدْوَءِ.

وَطَرَقَتِ الْبَابُ، فَانْتَشَرَ خَبْرُ قُدُومِ رَقِيَّةِ وَعُثْمَانَ، وَرَاحَتْ أُمُّ كَلْثُومَ وَفَاطِمَةَ وَمَنْ كَانَ هُنَاكَ يَسْتَبِقُونَ إِلَيْهَا، وَتَعَانَقَتِ الْأَخْوَاتِ، وَسَالَتِ الْعَبَرَاتِ، وَاسْتِيقَظَتِ

الذكريات، وأحسَّ جميعهم غياب الأم الحنون، فسالت
دموعها من البكاء.

وجاءت سودة بنت زمعة ثقيلة في خطواتها، وراحت
ترحب هي الأخرى برقية وعثمان رضي الله عنهما، وفي مثل لمح
البصر، هبَّت ذكريات سودة عن هجرتها إلى الحبشة مع
المهاجرين، وأخذت تسألهما رقية وعثمان، عمن تركا
خلفهما في الحبشة، فقد كانت سودة تقضي أغلب أوقاتها
مع رقية وخولة بنت حكيم وبعض النساء يتذاكرن أمر
الإسلام، وأمر رسول الله صلوات الله عليه وسلم.

وبلغ الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلم أن رقية وعثمان رضي الله عنهما قد
رجعا من الحبشة، فإذا بوجهه الشريف مسفر ضاحكاً
مستبشر، وإذا بالحنان يتدفق من قلبه الشريف، وضم
رسول الله صلوات الله عليه وسلم ابنته رقية رضي الله عنها إليه، وغمراها بعطفه،
وأخذ عثمان بين ذراعيه، ثم جلسوا يصغون إلى رقية
وعثمان وهو يرويان حديث الهجرة والحبشة وال المسلمين
والنجاشي، وربما شاركت سودة رضي الله عنها في الحديث عن
الذكريات في أرض الحبشة ^(١).

^(١) نساء أهل البيت (ص: ٨٩ - ٩٠) بتصرف.

الهجرة إلى المدينة المنورة

ولما اشتد إيداء المشركين بأصحاب الحبيب ﷺ أذن لهم بالهجرة إلى المدينة حيث نزلوا في رحاب الانتصار الذين قال الله تعالى عنهم : «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(١)

ثم هاجر النبي ﷺ بعد ذلك إلى المدينة ليقيم للإسلام دولة تكون منارة للكون كله . . . ولما استقر النبي ﷺ بالمدينة بعث زيداً، وبعث معه أبو رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين، وخمس مائة درهم. فخرجوا جميعاً. وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة، وأم كلثوم، وبسودة بنت زمعة، وبأم أيمن، وأسامي بنته^(٢).



(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

(٢) ابن سعد (١ / ٢٣٧ - ٢٣٨).

وتواترت البركات

واستقرت سودة في بيت النبي ﷺ ... وبعد ذلك
بفترة يسيرة دخل النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها وكانت تحب
سودة رضي الله عنها حباً شديداً وكان لها معها أخبار مشرقة.
ثم تواترت الحيات والبركات وتزوج النبي ﷺ بسارة
أمها المؤمنين رضي الله عنها ليكتمل هذا العقد الفريد.
إنه بيت كريم مبارك أذهب الله عن أهله الرجس وطهره
تطهيراً وأفاض عليه البركات والخيرات ليكون البيت وأهله
شمساً تضيء للناس جميعاً طريقهم إلى الله عز وجل.

ويؤثرون على أنفسهم

ولقد كانت سودة رضي الله عنها تحجج به قدر طاقتها لارضاء
الحبيب ﷺ حتى ولو كان ذلك على حساب
سعادتها ... وكانت تعلم يقيناً أن أحب نسائه إليه هي
عائشة رضي الله عنها فأرادت أن تدخل السعادة على قلب الحبيب
ﷺ فوهبت يومها لعائشة تبتغى بذلك مرضاة رسول
الله ﷺ .

(١) صحابيات حول الرسول / للمصنف (ص: ٧١ - ٧٧).

إن سودة لم تكن في وقت ما تتطلع إلى أن تناول من عواطف الرسول أكثر مما تناول الآن.. فحينما دخلت بيت الرسول ﷺ كانت تعلم علم اليقين أنها لن تملأ من دار محمد ﷺ شيئاً من مكان خديجة، وكانت تعلم كل العلم أنها لن تأخذ من قلب محمد ﷺ ولا من نفسه شيئاً يشبه ما كان في قلبه ونفسه خديجة.. بل كان حسبها أن تكون زوجة لرسول الله ﷺ وحسبها أن تقوم على خدمته وتسهر على راحته.

تقدم العمر بسودة، وثقلت عن الحركة، وشاركتها في قلب الرسول، وفي نفسه زوجات آخريات - لا تطمع أن تناول من قلبه، ولا من نفسه أكثر مما كانت تناول من قبل، فحسبها أنها زوجة نبي الأمة، وكفافها أنها قرينة لرسول الله ﷺ ^(١).

* ولكنها في لحظة حاسمة في حياتها خافت أن يُطلقها النبي ﷺ فما كان منها إلا أن أثرت أن تكون زوجة للنبي ﷺ في الجنة مقابل أن تتنازل عن بعض حقوقها في الدنيا ومن أجل ذلك وهبت يومها لعائشة

^(١) أزواج النبي (ص: ١١٨).

... ورضي النبي ﷺ منها ذلك فكان يقسم لكل زوجة يوماً ويقسم لعائشة يومين.

عائشة تشتى عليها

وهذا الموقف العظيم من الإشار الذي يندر وجوده في دنيا النساء جعل عائشة ظريفة في غاية الدهشة حتى أنها أثبتت عليها ثناءً يعجز القلم عن وصفه.

عن عائشة قالت: ما رأيت امرأة أحبت إلى أن أكون في مさらحتها من سودة بنت زمعة^(١).

موقف طريف

ولقد كانت الألفة والمحبة التي بين سودة وعائشة ظريفة سبباً في حدوث بعض المواقف الطريفة... ففي إحدى الجلسات كان هذا الموقف الطريف.

عن عائشة قالت: أتيت النبي ﷺ بخُزيرة^(٢) قد طبختها له فقلت لسودة - والنبي ﷺ بيني وبينها - كُلِّي. فأبَت فقلت: لتأكلن أو لأُلْطِخَنَ وجهك، فأبَت...

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٣) كتاب الرضاع.

(٢) الخزيرة: نوع من الطعام.

فوضعت يدي في الخزيرة فطلبت وجهها، فضحك النبي ﷺ فوضع يده لها وقال لها: «الطخي وجهها»، فضحك النبي ﷺ فمرّ عمر فقال: يا عبد الله يا عبد الله فظن أنه سيدخل فقال: «قوما فاغسلا وجوهكم». فقالت عائشة: «فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ».

مودة ورحمة

قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْواجًا لَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُؤْدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»^(١).

ولقد كانت المودة والرحمة في بيت الحبيب ﷺ قد بلغت ذروتها فكان البيت قائماً على المودة والرحمة وكان النبي ﷺ يداعب أزواجها أحياناً ويمزح معهن ولكن كان لا يقول إلا حقاً وصادقاً.

وكانت سودة جوثة تمازحه كثيراً وتضحكه وتدخل عليه البهجة والسعادة والسرور.

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٤٩ / ٧) وإسأده حسن وصححه العلامي الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣١٣١).

(٢) سورة الروم: الآية: (٢١).

قالت سودة: يا رسول الله، صليت خلفك البارحة، فركعت بي، حتى أمسكت بأفني مخافة أن يقطر الدم، فضحك.

فاستبقوالخيرات

ولقد كانت سودة رضي الله عنها تسارع دائمًا إلى كل طاعة... فقد كانت هذه الخصلة المباركة متصلة في قلوب الصحابة والصحابيات جميعاً... الكل يتسابق إلى مرضاة الله بهم يعلمون أن الدنيا مزرعة للأخرة وأن من زرع هنا فسوف يحصد هناك.

وحيثما خرج رسول الله عليه السلام بزوجاته جميعاً إلى مكة في حجة الوداع، وحيثما حان وقت رمي الجمرات يمنى استأذنت سودة رسول الله عليه السلام أن يسمح لها لثقل جسمها وبطء حركتها، أن ترمي بجمراتها قبل زحمة الناس فآذن لها... تقول عائشة رضي الله عنها: استأذنت سودة ليلة المزدفة، أن تدفع قبل حطمة الناس، وكانت امرأة ثبطة - أي ثقيلة - فآذن لها، فدفعت قبل حطمة الناس، وأقمنا حتى أصبحنا نحن، ثم دفعنا بدفعه، فلأن أكون

استآذنت رسول الله ﷺ كما استآذنته سودة أحب إلى
من مفروج به^(١).

عاشت أم المؤمنين سودة بعد وفاة الرسول الكريم حتى
سنة ثلات وعشرين من الهجرة وكانت قد لزمت بيتها
حتى إنها لم تخرج للحج، لأنها قالت بعد حجة الوداع
مع النبي ﷺ: «هذه الحجة، ثم ظهور الخُصُرُ» أى لزوم
البيت لا خروج منه.

وكانَتْ تقولُ: «حججتْ واعتبرتْ فلَا أَقْرُّ فِي بَيْتٍ
كَمَا أَمْرَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَا تَحْرِكْنِي دَابَّةً بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ». *

كرم وسخاء

ولقد كانت ~~مُوشِّحة~~ كريمة سخية لا تميل نفسها إلى
حطام الدنيا ومتاعها الزائل بل كلما جاءها مالٌ تؤثر به من
حولها رغبة فيما عند الله من نعيم لا يفنى ولا يزول.

* ففى يوم من الأيام يرسل لها أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ~~مُوشِّحة~~ غرارة مملوءة بالدراهم فلما ذهبوا بها إليها

(١) أخرجه البخاري (١٦٨١) كتاب الحج، ومسلم (١٢٩٠) كتاب الحج، وأحمد (١٦٤/٦).

قالت: ما هذه. قالوا لها هذه دراهم.

قالت وهي في غاية الدهشة: دراهم في غرارة كبيرة مثل التمر !!! ثم نادت على جاريتها وفتحت الغرارة وزعّتها على الفقراء واليتامى والمساكين.

يأتيها إذن من فوق سبع سماوات

وها هي تقع في موقف يسبب لها حرجاً فترجع إلى النبي ﷺ لتخبره وإذا بالوحى ينزل على النبي ﷺ من فوق سبع سماوات ليرفع عنها وعن غيرها الخرج بعد هذا اليوم.

* عن عائشة قالت: خرجت سودة بنت زمعة ليلاً فرأها عمر فعرفها فقال: إنك والله يا سودة ما تخفين علينا، فرجعت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له وهو في حجرتى يتعشى، وإن فى يده لعرقاً، فأنزل الله عليه فرخ عنده وهو يقول: «قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٣٧) كتاب النكاح، ومسلم (٢١٧٠) كتاب السلام.

وحان وقت الرحيل

وطلت سودة رضي الله عنها تعايش مع كتاب الله وسنة رسول الله صلوات الله عليه وسلم بقلبه وجوارحها فكانت السعادة ترفرف على سمائها والسكينة تنزل على قلبها - ولكن دوام الحال من الحال - .

فلقد جاء اليوم الذي دخل فيه الحزن قلبها وسكن فيه،
فلقد مات رسول الله صلوات الله عليه وسلم وهو صاحب القلب الرحيم
الذي عمرها برحمته وموته وحناته وعلمه وأخلاقه...
فها هي تفقد كل ذلك في لحظة واحدة.
فحزنت لموته حزناً كاد أن يمزق قلبها ولكنها احتسبته
عند الله لتنال ثواب الصابرين.

وحسبياً أن النبي صلوات الله عليه وسلم مات وهو راضٍ عنها... بل
وحسبياً أنها ستكون زوجته أيضاً في جنة الرحمن التي
فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر.

وطلت سودة رضي الله عنها على العهد الذي تركها عليه رسول الله صلوات الله عليه وسلم عابدة صائمة قائمة لله - جل وعلا - .

وامتدت بها الخيبة إلى خلافة عمر بن الخطاب فكان أبو بكر
وعمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم يعلمون قدرها ومكانتها
ويُحسنون إليها غاية الإحسان.

وفي آخر خلافة عمر نامت أمها سودة على فراش
الموت وفاقت روحها الظاهرة إلى بارتها - جل وعلا -.
 وإن كانت سيرتها العطرة قد انتهت عند هذا اليوم إلا
أن عبير سيرتها مازال يملأ الدنيا كلها فهى قدوة لنسائنا
وبناتنا وأخواتنا عبر العصور والأزمان.
فرضى الله عنها وأرضها وجعل جنة الفردوس
مثواها.



عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها



عائشة بنت أبي بكر

حبايى الحلوين:

وها نحن نفتح صفحة جديدة مباركة نتعرف من خلالها على أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها .

* إنها الزهرة النقيبة التي نبتت في حقل الإسلام، وسُقيت بماء الوحي .. إنها الفتاة التي رضعت الصدق والتقوى والوفاء والزهد والورع من أبويها .. إنها الطاهرة المطهرة التي أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات .

إنها أحب الناس إلى قلب رسول الله علیه السلام .

* فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرتها العطرة .

في رحاب المكارم

و قبل أن تعايش مع قصتها المباركة تعالوا بنا لنقف
وقفة مع المكارم التي أحاطت بها من كل جانب.

* فزوجها هو سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد
الله عليهما السلام الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

* وأبوها هو أبو بكر الصديق عليهما السلام الذي لم تطلع
الشمس على بشرٍ بعد الأنبياء والمرسلين أفضل منه...
إنه ثانى اثنين... إنه أحب الناس إلى قلب رسول الله
عليه السلام.

* وأمها هي الصحابية الجليلة أم رومان بنت عامر
تلكم الصحابية الجليلة التي قدمت الكثير والكثير لخدمة
هذا الدين العظيم.

* وأختها لابيها أسماء بنت أبي بكر - ذات النطافين
عليها السلام.

* وزوج اختها هو حواري رسول الله عليهما السلام وابن
عمته وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من ملأ سيفاً في
سبيل الله... إنه الزبير بن العوام عليهما السلام.

- * وجدُها لابيها - أبو قحافة - الذي أسلم ونال شرف صحبة النبي ﷺ.
- * وجدتها لابيها - أم الخير - سلمى بنت صخر التي أسلمت ونالت شرف الصحابة.
- * وأما عماتها الثلاث - من الصحابيات - وهن: أم عامر وفريدة وأم فروة - بنات أبي قحافة -.
- * وأما شقيقها - عبد الرحمن - فهو من الشجعان والرماء المذكورين.
- * فتلك هي الشجرة المباركة التي خرجت عائشة من جذورها وعاشت بين أغصانها فكانت زهرة نادرة في دنيا الناس ^(١).

من هنا تبدأ

وإذا أردنا أن نتعايش مع سيرة أمنا الغالية عائشة ^{رضي الله عنها}
فلا بد أن نعلم أن سيرتها العطرة لا بد أن تبدأ من أبيها
الذي كان أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ .
إنه الرجل الذي نصر رسول الله ﷺ يوم خذله

(١) صحابيات حول الرسول / للمصنف (ص: ٨٤-٨٥).

الناس... وآمن به يوم كفر به الناس... وصدقه يوم كذبه الناس.

إنه أفضل الصحابة بلا خلاف... ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على رجلٍ خير منه... إنه أول من آمن من الرجال على الصحيح... إنه من وزن إيمانه بإيمان الأمة فرجح إيمانه.

إنه الورع الحبي... الحازم الرحيم... التاجر الكريم... صاحب الفطرة السليمة من أدران الظلام والجاهلية... كان شبيهاً بالرسول ﷺ... وأنعم به من شبهه... * إنه الرجل الذي بذل نفسه وماله لخدمة الإسلام والمسلمين.

* إنه الرجل الذي اختاره النبي ﷺ ليكون صاحبه في أعظم حدث في العالم كله... لا وهو الهجرة من مكة إلى المدينة.

* إنه الرجل الذي أعاد الأمة إلى الإسلام بعد أن ارتد أكثر العرب بعد موت النبي ﷺ.

* إنه الرجل الذي انتشر الإسلام في عهده في أكثر بقاع الأرض.

* إنه أول من جمع القرآن كله في مصحف واحد.

* إنه الزاهد العابد، الخاشع المتواضع للمجاهد الكريم.

* إنه أبو بكر الصديق رحمة الله تعالى.

ميلاده ونشأته وأخلاقه قبل الإسلام

ولُدَّ أبو بكر الصديق بعد عام الفيل بعامين في قبيلة
بَكْة تُسمى (تيم). فهو أصغر من النبي عليه السلام بعامين
لأن النبي عليه السلام ولد عام الفيل.

وكان أبو بكر قد تربى على مكارم الأخلاق منذ صغره
فكان حسن الخلق وكان يُحسن الكتابة والقراءة وكان أعلم
أهل قريش بآنساب العرب... لم يعرف اللهو أبداً ولم
يقع في المعاصي التي كان أكثر الناس يقعون فيها.

وها هو عليه تراه قد حرم على نفسه الخمر في
الجاهلية فلم يشربها قط لا في الجاهلية، ولا في الإسلام،
وذلك أنه منْ وهو في الجاهلية بـرجل سكران يضع يده في
العدرة - العانط - يدئها من فيه، فإذا وجد ريحها صدف
عنها، فحرمها أبو بكر على نفسه.

* ولم يسجد لصنم قط.

وَهَا هُوَ بِحَكْيٍ بِنَفْسِهِ لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ وَيَقُولُ لَهُمْ مَا سَجَدْتُ لِصَنْمٍ فَطَ وَذَلِكَ أَنِّي لَمَّا كَبَرْتُ أَخْذَنِي وَالَّذِي (أَبُو قُحَافَةَ) إِلَى بَيْتِ الْأَصْنَامِ وَقَالَ لِي: يَا بُنْيَ هَذِهِ الْأَهْتَكُ فَاسْجُدْ لَهَا... ثُمَّ انْصَرَفْ أَبِي وَتَرَكَنِي، فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا أَنْ اقْتَرَبَتْ مِنِ الصَّنْمِ وَقَلَّتْ لِهِ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعَمْنِي فَلَمْ يُجِبْنِي... فَقَلَّتْ لِهِ: إِنِّي عَارٍ فَأَكْسُنِي فَلَمْ يُجِبْنِي فَأَلْقَبْتُ عَلَيْهِ صَخْرَةً فَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ فَانْكَسَرَ... فَعُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ وَقَدْ تَيقَنْتُ أَنَّ تَلْكَ الْأَصْنَامَ مَا هِيَ إِلَّا أَحْجَارٌ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَنْفِرُ.

* وَكَانَ أَبُو بَكْرًا مُحْبُوبًا فِي قُرَيْشٍ لِصَدْقَتِهِ وَأَمَانَتِهِ وَأَخْلَاقَهُ الْعَذْبَةِ الرَّقِيقَةِ فَكَانَ رَجُالًا قُرَيْشٍ يَأْتُونَهُ وَيَأْفُونَهُ وَيَحْبُبونَهُ.

وَكَانَ أَبُو بَكْرًا مِنْ قَبْيَلَةِ ضَعِيفَةِ قَلِيلَةِ الْعَدْدِ وَالْعُدْدَةِ وَالْمَالِ وَلَذَلِكَ لَمْ يَتَولَّ أَيِّ عَمَلٍ لِقُرَيْشٍ... وَكَانَ أَبُو بَكْرًا يَتَاجِرُ فِي مَالِ الْقَلِيلِ حَتَّى أَصْبَحَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْلًا ثُمَّ بِفَضْلِ صَدَقَتِهِ وَأَمَانَتِهِ.

فَكَانَ يَعْطِفُ عَلَى الْفَقِيرِ وَالْمُسْكِنِ وَالْبَيْتِيْمِ وَيَنْصُرُ الْمُسْعَدَ وَالْمُظْلَومَيْنِ فَازَ دَادَ حُبَّ النَّاسِ لَهُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

حتى أصبح من أحب الناس إلى أهل قريش بعد النبي
محمد عليهما السلام الذي كان معروفاً بأنه الصادق الأمين.

إسلامه ببر وصبره على الآيات

كان أبو بكر صديقاً للنبي عليهما السلام قبل البعثة فكان أبو
بكر يحب النبي عليهما السلام حباً جماً، وكان النبي عليهما السلام
يتبادله هذا الحب.

فقد كانوا متشابهين في الصدق والأمانة و فعل الخيرات
واللين والرحمة.

وتمر الأيام وينزل الوحي على النبي عليهما السلام ويُبعث
النبي عليهما السلام بر رسالة الإسلام ليُخرج الناس من الظلمات
إلى النور.

فما كان من النبي عليهما السلام إلا أن عرض الإسلام على
زوجته خديجة فأسلمت ثم عرض الإسلام على أبي بكر
فلم يتتردد لحظة واحدة بل أسلم في التو واللحظة فهو
الذى يعرف صدق النبي عليهما السلام وأمانته.

ولذلك لما أخبره النبي عليهما السلام بأن الله قد أرسله ليكون
حاتم الأنبياء.

قال له أبو بكر: والله ما جرئت عليك كذباً قط.

وما إن أسلم أبو بكر رضي الله عنه حتى حمل أمانة الدين على عنقه وخرج يدعوا الناس إلى دين الله جل وعلا فأسلم على يديه ستة من العشرة الذين بشرهم النبي صلوات الله عليه وسلم بالجنة فيما بعد... .

وأسلم على يديه زوجته وأولاده، صلوات الله عليه وسلم وأصحابه فيأتي الصديق رضي الله عنه يوم القيمة وهو في ميزان حسناته.

بل وأسلم على يديه خلقٌ كثيرٌ غير هؤلاء الأطهار الأبرار.

ـ وهكذا يجب أن يكون الداعية... يحمل هم الناس من حوله ويخشى عليهم من عذاب الله ويأخذ بأيديهم إلى مرضاته اللهم وجهته.

* وما إن علمت قريش بإسلام أبي بكر حتى أذاقته من العذاب ألواناً... فما كان منه إلى أن صبر واحتبَّ ذلك كله عند الله (جل وعلا).

* * *

مِيلَادُ عَائِشَةَ

وَيَعْدُ بَعْثَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسْنَوَاتٍ وَلُدْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الْإِسْلَامِ وَخَرَجَتِ إِلَى الدُّنْيَا فَوُجِدَتْ نَفْسُهَا بَيْنَ أَبْوَيْنِ كَرِيمَيْنِ مُؤْمِنَيْنَ بِاللهِ وَجَدَتْ نَفْسَهَا ابْنَةً لَخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تَقُولُ عَائِشَةُ: «لَمْ أَعْقُلْ أَبْوَيْ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ»^(١). فَنَشَأتِ فِي أَحْضَانِ هَذِيْنِ الْأَبْوَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ وَتَرَعَّرَتِ فِي ظَلِّ هَذَا الْبَسْطَانِ الَّذِي غُرِستَ أَشْجَارَهُ فِي تَرْبَةِ الإِيمَانِ وَسُقِيتَ بِمَاءِ الرَّحْمَةِ فَكَانَ أَبُواهَا كَالْدَوَاحَةِ الْبَاسِقَةِ الَّتِي يُسْتَظِلُّ بِظُلُلِهَا وَكَالشَّجَرَةِ الْمَبَارَكَةِ ذَاتِ الْقَطْوَفِ الدَّازِيَّةِ الَّتِي تَؤْتَى أَكْلَهَا كُلَّ حَيْنٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا. وَكَانَ أَبُواهَا يَلْاحِظَانِ بِرَكْتَهَا الَّتِي فَاجَعَ عَيْرِهَا وَلَكِنْ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِمَا أَبَدًا أَنَّهَا سَتَصْبِحُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ زَوْجَةَ سَيِّدِ الْأَنَامِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا لِلْمُؤْمِنِيْنَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمِنَارَةَ الْعِلْمِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ. وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ.

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٧٦) كتاب الصلاة.

هذه زوجتك في الدنيا والآخرة

ولقد كان زواج النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها بمحى من السماء فلقد رأها في منامه ثلاثة ليلٍ وكان جبريل - عليه السلام - يأتيه بصورتها ويقول له: «هذه زوجتك في الدنيا والآخرة»... ويا لها من كرامة عظيمة لأمنا عائشة رضي الله عنها.

عن ابن أبي ملکة عن عائشة: أن جبريل جاء بصورتها في خرقـة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: «هذه زوجتك في الدنيا والآخرة»^(١).

وتعجب النبي ﷺ من هذا الأمر؛ يرى رؤيا، ثم يرى هذه الرؤيا في ليلة أخرى، ترى ماذا قال رسول الله ﷺ عن هذا الأمر؟؟

لقد تحدث به لعائشة فقال رسول الله ﷺ: «أربتك في المنام ثلاثة ليلٍ، جاء بك الملك في سرقة من حرير»^(٢)،

(١) أخرجه الترمذى (٣٨٨)، وقال الأرناؤوط: ورجاله ثقات وصححه العلامة الآلوانى رحمة الله فى صحيح الترمذى.

(٢) السرقة بفتح السين والراء والكاف: من القطعة، وفى مطبوعة دشنق (خرقة)، ومن عند ابن حبان كما فى «الفتح» (١٥٦/٩).

فِي قُول: هَذِهِ امْرَأَنِكُ. فَأَكْشَفُ عَنْ وَجْهِكَ فَإِذَا أَنْتَ فِيهِ.
فَأَقُول: إِنِّي بَلَى هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهُ^(١).

نَعَمْ إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلِيُمْضِهُ، وَكَانَ مِنْ
أَسْبَابِ الْاسْتَعْجَابِ لِدِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ عَائِشَةَ بَنْتَ
صَاحِبِهِ أَبِي بَكْرَ بْنَ أَبِي قَحَافَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ،
وَالَّتِي رَأَى صُورَتَهَا فِي قَطْعَةِ الْخَرْبَرِ الَّتِي قُدِّمَتْ إِلَيْهِ فِي
الْمَنَامِ كَانَتْ لَا تَرَالْ وَقَتَّنَدْ طَفْلَةً صَغِيرَةً لَا يَزِيدُ عُمْرُهَا عَلَى
سَتِ سَنَوَاتٍ، فَأَنَّى لَهُذِهِ الطَّفْلَةِ بِالزَّوْاجِ؟! وَأَنَّى لَهَا أَنْ
تَسْدُّ فَرَاغَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٢).

قصة الزواج المبارك

وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ وَجَدَتْ قَرِيشٌ فَرْصَةً كَبِيرَةً لِإِيذَاءِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ مَاتَ الَّذِي كَانَ يَدْافِعُ عَنْهُ.

* وَمَا كَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْلُعُ ثُوبَ الْحَزَنِ عَلَى عَمِّهِ
حَتَّى فُجِعَ بِمُوْتِ زَوْجِهِ وَشَرِيكَةِ عُمْرَهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ هُبَّادَةِ الَّتِي
آَزَرَتْهُ وَنَصَرَتْهُ وَبَذَلتْ نَفْسَهَا وَمَالَهَا لِتُنْصَرَهُ هَذَا الدِّينُ . . .

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٨٩٥) كتاب مناقب الانصار، ومسلم (٢٤٣٨)
كتاب فضائل الصحابة.

(٢) أزواج النبي / ١. عبد المنعم الهاشمي (ص ١٣٢).

وكانت نعم الزوجة، وكانت وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوة، ولها خمس وستون سنة على أشهر الأقوال...
ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره.

وحزن النبي ﷺ لموتها حزنًا شديداً فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التي آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نصرة هذا الدين كل غال ونفيس فلم يستطع النبي ﷺ أن ينساها أبداً وكان يحمل لها وفاءً يعجز القلم عن وصفه.

ولقد كان أصحاب الحبيب ﷺ يعرفون قدر خديجة رضي الله عنها عند النبي ﷺ فعندما ماتت كانوا يرجون أن يرزقهم الله (عز وجل) بمن يخفف عنه من الآمه وأحزانه..

ولكن لم يكن أى واحد منهم يجرؤ أبداً أن يكلم النبي ﷺ في أمر الزواج فشاء الحق (جل وعلا) أن تتجرا واحدة من فضليات نساء الصحابة ألا وهي خولة بنت حكيم ل تعرض هذا الأمر على رسول الله ﷺ من أجل إدخال الفرح والسرور على قلبه المحزون.

جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون

قالت: يا رسول الله لا تنزوج قال: «من؟».

قال: إن شئت بكرًا، وإن أشتث ثيبًا.

قال: «فمن البكر؟».

قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عاشرة بنت أبي بكر.

قال: «ومن الثيب؟».

قالت: سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول.

قال: «فاذهبي فاذكري بهما علىَّ».

فدخلت بيت أبي بكر فقلت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟

قالت: وما ذلك؟

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عاشرة.

قالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي.

فجاء أبو بكر فقلت: يا أبا بكر ماذا أدخل عليك من الخير والبركة؟

قال: وما ذلك؟

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عاشرة.

قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال:
ارجعى إليه فقولى له: «أنا أخوك، وأنت أخي في الإسلام،
وابنك نصلح لي» فرجعت فذكرت ذلك له.

* لكن كانت هناك مشكلة كبيرة... وهى أن أبو بكر
كان قد وعد مطعم بن عدى أن يُزوج ابنته من عائشة فأراد
أبو بكر أن يجد حلاً لهذه المشكلة وبخاصة أنه ما وعد
أحداً وعداً فأخلفه أبداً.

ذهب أبو بكر إلى مطعم بن عدى وكانت عنده امرأته
أم الفتى الذي كان يريد أن يتزوج عائشة...

فقالت هذه المرأة لأبي بكر: إنني لا أخشى إن تزوج ابني
من ابنة عائشة أن يجعله مسلماً ويترك دين الآباء
والاجداد... أى أنها لا تزيد إتمام هذه الزبحة.

نظر أبو بكر إلى مطعم بن عدى وقال له: ما رأيك.
قال: رأى مثل رأيها.

فخرج أبو بكر وهو يحمد الله أن يسر له الخروج من
هذا الوعد دون أن يكون هو الذي أخلف وعده.

فرجع فقال لخولة: ادعى لي رسول الله ﷺ ، فدعنته
فزوّجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين.

وكانت الرؤيا التي رأها محمد عليهما السلام مرة، ثم عاد فرآها مرة أخرى أمر من عند الله لأن النبي عليهما السلام قال يومها: «إن كان هذا من عند الله يُمْضِه»، وكان أن أمضى الله أمره..

وزُفَّت سودة بنت زمعة إلى رسول الله عليهما السلام، وانتقلت إلى داره تدير بيته، وترعى ابنته: أم كلثوم وفاطمة. وبقيت عائشة بدار أبيها حتى تَشَبَّهَ، ويقوى عودها.

لم تدهش مكة ولم تعجب لهذه الخطبة؛ فقد تَمَّت بين أعز صديقين، وأوفي أصحابين. ولم تستنكر مكة أن تخطب فتاة صغيرة السن، لا تزال تلعب وتُمْرح مع صاحباتها، إلى رجل كبير في السن... ولم يجد أشد خصوم الرسول الكريم في ذلك مطعماً ولا عيماً، وهم الذين كانوا يختلفون المطاعن والمعايب اختلافاً، لأن ذلك كان من عاداتهم التي لا يُنكرونها، ومن طبيعتهم التي لا يعانونها.

وأبَتْ نفس الرسول الرحيمة أن تتزع عائشة من بيت أبيها، وأن تخربها من اللهو والمرح مع صاحباتها، وأن

تحملها مسئولية الحياة الزوجية، وهي لا تزال صبية ضغيرة، واكتفى بأن يأنس إلى ملاطفتها، ومشاركتها مرحهراً حين يذهب إلى بيت صاحبها، فيتجدد ذلك أنساً ومتاعاً، وراحةً وسلوةً، وكانت هي تجده في مشاركة هذا الرجل الوقور باسم لها متعة لا تدانيها متعة، ولذا كانت تتلهف على حضوره، وتتشوق لرؤيته، وما تخلف رسول الله ﷺ يوماً عن السعي إلى بيت صاحبه الصديق إما بُكرة وإما عشيّة^(١).

فَقْرُوا إِلَى اللَّهِ

هكذا جاء الوحي بصورتها إلى رسول الله ﷺ وأخبره بأنها زوجته في الدارين... وظللت عائشة رضي الله عنها على الرغم من صغر سنها - تحلم باللحظة الخالدة التي تدخل فيها بيت رسول الله ﷺ لتكون زوجة لسيد الأولين والآخرين وأمًا للمؤمنين في كل وقتٍ وحين.

* * *

وفي تلك المرحلة الصعبة اشتد إيداء المشركين بأصحاب الحبيب ﷺ حتى أشار عليهم بالهجرة إلى

^(١) عائشة بنت أبي بكر / د: علي عبد المنعم (من ٧) ط. منير

المدينة المنورة فنزلوا في رحاب الانصار الذين تبوءوا بالدار والإيمان . . . وبعد فترة يسيرة أذن الله عز وجل لرسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة ليُقيم للإسلام دولة في تلك التربة المباركة .

الهجرة المباركة

ولما تم اتخاذ القرار الغاشم بقتل النبي ﷺ نزل إليه جبريل بوصي ربه - تبارك وتعالى -، فأخبره بمؤامرة قريش، وأن الله قد أذن له في الخروج، وحدد له وقت الهجرة قائلاً: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه^(١).

على عليه السلام ينام مكان النبي عليه السلام

في ليلة الهجرة

وفي ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله عليهم السلام يراقبونه حتى إذا نام انقضوا عليه وقتلوه جميعاً . فلما رأى النبي عليهم السلام مكانهم أمر على بن أبي طالب

(١) ابن هشام (٤٨٢/١)، ورداد المعاد (٥٢/٢).

أن ينام مكانه وأخبره بأنه لن يحدث له مكروه ولن يصيبه أذى.

ثم أمر عليهما بأن يرد كل الودائع والامانات التي عنده لاصحابها.

* ويا له من أمر عجيب فقد كانت قريش تحارب النبي ﷺ، وتحارب دعوته، وتريد أن تقتله... لكن الواحد منهم إذا كان عنده شيء ثم يرى أن يحفظه فإنه كان يتركه وديعة عند رسول الله ﷺ.

* وهنا ألقى الله النوم على هؤلاء المتأمرين فناموا.. ثم خرج النبي ﷺ أمامهم بعد أن أخذ حفنة من التراب ووضعها فوق رءوسهم، وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُصْرُونَ﴾^(١).

ثم ذهب رسول الله ﷺ إلى دار أبي بكر الذي جهز نفسه للهجرة مع رسول الله ﷺ.

فأناهم آت من لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً.

^(١) سورة يس: الآية: (٩).

قال: خَيْرُكُمُ اللَّهُ، قَدْ وَاللَّهُ، خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ
مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا، وَانطَلَقَ
لَحاجَتِهِ، أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بَكُمْ؟

قال: فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا عَلَيْهِ
تَرَابٌ، ثُمَّ جَعَلُوهُ يَتَطَلَّعُونَ، فَيَرَوْنَ عَلَيًّا عَلَى الْفَرَاشِ -
فَظَنَّوْا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا زَالَ نَائِمًا مَكَانَهُ . . . فَدَخَلُوا
وَكَشَفُوا الْغَطَاءَ فَوَجَدُوا عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ فَسَأَلُوهُ عَنْ
مَكَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: لَا أَدْرِي قَدْ تَرَكَنِي هُنَا لِأَرْدِ
إِلَيْكُمْ أَمَانَاتُكُمْ .

فَقَالُوا: لَقَدْ صَدَقْنَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي أَخْبَرَنَا بِخُرُوجِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبدأت هجرة الرسول

وَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَذْنَ لَهُ بِالْهِجْرَةِ فَفَرَحَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى بَكَاهُ شَدِيدًا مِنْ
شَدَّةِ الْفَرَحِ .

وَأَعْدَّ أَبُو بَكْرٍ الرَّاحِلَتَيْنِ وَأَعْدَّ الزَّادَ وَالْمَاءَ وَبَدَأَتْ رَحْلَةُ
الْهِجْرَةِ الَّتِي كَانَتْ أَعْظَمُ حَدَثٍ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

وخرج النبي ﷺ من مكة ومسعه أبو بكر الصديق
حتى وصلا إلى غار قريب من مكة.. وهو غار
«ثور» فدخل أبو بكر الغار حتى يطمئن على أنه ليس فيه
شيء يؤذى النبي ﷺ.

فلما دخل إلى الغار مسحه ونظفه ووجد في جدار
الغار بعض الفتحات فقام وسدَّها كلها ما عدا واحدة فما
كان منه إلا أن جلس على الأرض وسدَّها بقدمه ثم نادى
على الرسول ﷺ ليدخل الغار أمّا مطمئناً.

ودخل النبي ﷺ وأراد أن ينام ويستريح فوضع
رأسه على رجل أبي بكر ونام.

وفى تلك اللحظة جاء ثعبان أو عقرب ولدغ أبي بكر
ومع ذلك لم يوقظ الرسول ﷺ من نومه واشتد الألم
على أبي بكر فبكى بلا صوت وتزلت دموعه على خد
النبي ﷺ فاستيقظ النبي ﷺ وسأله: «ما بك يا أبي
بكر؟»

قال: لدغت يا رسول الله.

قال النبي ﷺ: «ولماذا لم تخبرني؟»
قال أبو بكر: خشيت أن أوقظك وأنت بحاجة إلى

النوم لكي تستريح يا رسول الله.
فقام النبي ﷺ فبصر على قدم أبي بكر فشُفِّيت
بإذن الله ودعا له النبي ﷺ بالجنة.

* وفي هذه اللحظة كان المشركون يتبعون آثار أقدام
الرسول ﷺ وصاحبه... وبحثوا عنهم في كل مكان
حتى وصلوا إلى الغار الذي كان فيه النبي ﷺ وأبو
بكر.

فنظر أبو بكر إلى أقدام المشركين فقال: يا رسول الله لو
نظر أحدهم تحت قدميه لرأينا.
قال له النبي ﷺ بكل ثقة ويقين: يا أبا بكر ما ظنك
باثنين الله ثالثهما.

* لقد حفظ الله نبيه ﷺ وأعمى أبصار المشركين
عن رؤية النبي ﷺ وصاحبه رغم أنهم كانوا على بعد
أمتار قليلة منهم.

* ومكث النبي ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام.
وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتي بالطعام إليهما وكانت
قد شقت نطاقها^(١) نصفين فجعلت الطعام في أحدهما

(١) النطاق: هو حزام تربعه المرأة على وسطها.

وربّطت وسطّها بالآخر ولذلك سماها النبي ﷺ بذات النطاقين وقال لها: «أبدلك الله بنطاك هذا نطاقين في الجنة».

* وكان عبد الله بن أبي بكر يأتي كل ليلة ويبيت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر فإذا أصبح الصباح عاد إلى مكة وكأنه كان فيها لم يخرج منها حتى يستمع إلى كلام المشركين وما يدبرونه للنبي ﷺ وصاحبه ثم يعود إلى الغار في الليل ليخبر النبي ﷺ بكل ما سمعه.

* وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يخرج بالأغنام لتمسح آثار أقدامها آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر فلا يعرف أحد شيئاً عن ذهابه إلى النبي ﷺ ولا يشك أحد في أمره.

* وكان النبي ﷺ وأبو بكر قد استأجرا رجلاً كافراً اسمه (عبد الله بن أريقط) ليدللهما على الطريق فقد كان ماهراً بالطريق يحفظ طرق الصحراء وشعابها.

وكانا قد دفعا إليه الراحلين وواعداه أن يأتي إليهما بالراحلين في غار ثور بعد ثلاثة أيام.

* ولما وصل عبد الله بن أريقط انطلق معه النبي

وأبو بكر وعامر بن فهيرة... وبدأت الرحلة إلى المدينة المنورة.

محبة تفوق الخيال

* وكان أبو بكر يسير أمام النبي ﷺ مرة وخلفه مرة وعن يمينه مرة وعن يساره مرة فتعجب النبي ﷺ وقال: «مالك يا أبا بكر؟».

فقال أبو بكر: يا رسول الله أذكر الطلب - أى الكفار الذين يطاردونك - فأشمى خلفك ثم أذكر الرّصد - أى الجواسيس الذين يرصدونك ويعذبون لك الكمامات - فأمشى أمامك وعن يمينك وعن شمالك فانا أخشي عليك منهم يا رسول الله.

فقال له النبي ﷺ: يا أبا بكر لو كان هناك أذى يتضمن لاحبتك أن يكون بك دوني؟

فقال أبو بكر: أجل يا رسول الله... فلthen قُتلت أنا وإنما أنا رجل واحد.. ولthen قُتلت أنت ضاعت الأمة كلها.

* وبينما هم في الطريق إذ أحسَ النبي ﷺ بشيء

من التعب فنظر أبو بكر حتى رأى ظل شجرة ففرش للنبي ﷺ تحت ذلك الظل ثم قال للنبي ﷺ: اضطجع هنا يا رسول الله... فاضطجع النبي ﷺ.

ثم ذهب أبو بكر يبحث ويرى إذا كان هناك أحدٌ من المشركين يتبعهم فوجد راعي غنم فسأله: يا غلام هل عندك من لبن؟ قال: نعم. فأمره أبو بكر أن يحلب له بالاجر ثم أمره أن ينفخ ضرعها من الغبار وأن ينفخ كفيه من التراب ثم حلب اللبن وأخذنه أبو بكر وانتظر حتى استيقظ النبي ﷺ فقال له: اشرب يا رسول... فشرب... ثم قال له: اشرب.

يقول أبو بكر: فشرب النبي ﷺ حتى ارتوى... يا له من حب لا يخطر على قلب بشر.

وصول النبي ﷺ إلى المدينة المنورة

وفي المدينة كاد القلق يفتلك بالمهاجرين من مكة، والأنصار من أهل المدينة، إنهم يخرجون كل يوم يتظرون رسول الله ﷺ وأبا بكر، ثم يعودون مرة أخرى. ولا زالت الأوهام تطاردهم، فربما استطاع المشركون

قتل رسول الله أو العُثُور عليه، وما زالت ألسنتهم
وقلوبهم تدعوا لرسول الله بالنجاة، وأوشك بعضهم أن
يموت من فرط الانتظار.

كل هذا ورسول الله في الطريق... وفي هذه
اللحظات اقترب ركبُ رسول الله من الدخول إلى المدينة،
فإذا يَهُودي كان على نَحْلة له؛ يَرَى رسول الله، حتى
عرفه بصفته وعلامته، فقال:

يَا مَعْشِرَ الْعَرَبِ، هَذَا نَبِيُّكُمُ الَّذِي تَتَنَظَّرُونَ.

وارتفعت صَيْحَاتُ التَّكْبِيرِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

* وبعد الجمعة دخل النبي عليه السلام المدينة ومن ذلك
اليوم سُميَت بلدة يشرب بمدينة رسول الله عليه السلام...
ونزل النبي عليه السلام في دار أبي أيوب الأنصاري فوجئ به.
وبعد أيام وصلت إليه زوجته سودة، وبنته فاطمة وأم
كثوم، وأسامة بن زيد، وأم أيمن، وخرج معهم عبد الله
ابن أبي بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة، وبقيت زينب
عند أبي العاص، لم يُمْكِنْها من الخروج حتى هاجرت

بعد بدر^(١).

^(١) راد المعاذ (٢/٥٥).

الزواج المبارك

وتأنى موقعة بدر التي كتب الله فيها النصر للموحدين
فكانَتِ الفرحة تغمر قلب النبي ﷺ وأصحابه . . . وما
إن مضى شهر رمضان وجاء شهر شوال حتى تجددت
الفرحة في قلوب المسلمين فلقد بني النبي ﷺ بعائشة
لتكميل السعادة في قلوب الموحدين ولتصبح عائشة خوشها
زوجة لسيد المرسلين ﷺ وأمًا للمؤمنين . . . ويا لها من
منقبة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متع زائل .

* وفي هذا اليوم السعيد اجتمع الناس في بيت أبي
بكر رضي الله عنه وكانت الفرحة تعلو وجوههم وتملأ قلوبهم .
* وأما عن تفاصيل تلك المناسبة التاريخية السعيدة
فتعالوا بنا لتعايش معها :

فإنه ما إن وصلت عائشة إلى المدينة، واستراحة من
وعاء السفر ومشقته، حتى هاجمها المرض، فمرضت
مرضًا طويلاً شديداً، أتعبها وأرهقها، وجعل والديها
يخافان من المرض على سلامتها، حتى كان أبو بكر يدخل
إلى ابنته كل يوم يعودها ويقبلها وهو يقول: كيف أنتِ

اليوم يا بنية؟!

وبعد أن عوقبت عائشة واستردت صحتها، وعاد إلى وجهها لونه الطبيعي، سار أبو بكر إلى محمد ﷺ يقول: يا رسول الله ما يمنعك أن تبني بأهلك؟! .. فحدد له النبي ﷺ موعداً للزفاف.

وقد كان يوم زفاف عائشة يومها لرسول الله ﷺ يوماً عزيزاً على نفسها فتحدثت عن هذا اليوم قائلة: تزوجتني رسول الله ﷺ لست سنين، وبيني بي وأنا بنت تسع سنين.

قالت: فقدمنا المدينة فوعكت شهراً، فأتنى أم رومان، وأنا على أرجوحة ومعي صواحبى، فصرخت بي فأتيتها، وما أدرى ما تريد بي، فأخذت بيدي، فأوقفتني على الباب.

وانى لأنهج حتى سكن نفسي... ثم غسلت وجهى ومسحت شعرى، وأسلمتى لأسماء بنت يزيد فأصلحت شأنى وهبأتنى وغسلت رأسى ثم قدمتني أمى إلى رسول الله ﷺ.



وهكذا دخلت بيت النبوة

وهكذا دخلت عائشة زوج النبي بيت النبوة - وهو خير بيت في هذا الكون الفسيح على الرغم من تواضعه - إنها حجرة صغيرة إلا أن صاحبها عليه السلام مؤيد بالوحى من السماء... إنها ليست مجهزة بمتاع الدنيا الزائل إلا أن صاحبها عليه السلام نشر عبر القرآن والسنّة على الأرض كلها فكانت الهدية التي منحها الله لمن شاء من عباده تخرج من هذه الحجرة المباركة.

لقد عاشت أمنا عائشة زوج النبي في رحاب الحبيب عليه السلام تنهل من أخلاقه وعلمه وورعه وحلمه وهديه، فكانت شمساً في دنيا الناس لا يستغني عنها القريب ولا البعيد.

السعادة ترفرف على هذا البيت المبارك

* والأآن تعالوا بنا لنستاذن على أمنا الحبيبة عائشة زوج النبي لنعميش بعض اللحظات في رحاب البيت النبوى المبارك - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام - .

كانت السعادة ترفرف على بيوت النبي عليه السلام على الرغم من حياة التقشف التي عاشها النبي وأهله، فقد

كانت تمر الأيام والأسابيع ولا تُوقد في بيوت النبي صلوات الله وآياته عليه
نار، وإنما كانوا يأكلون الأسودين: التمر والماء.

حياة سعيدة؛ ما دام القلب موصولاً بالله، حياة رقيقة
مع الشطف والفاقة، سعيدة بالاعطف الذي يغمر به الحبيب
المصطفى (صاحب القلب الكبير)، حتى صار حطام الدنيا
عند أهله ومن لاذ به لا يساوي مثقال ذرة من هباء.

وهذا ما جعل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سيدة في كل
مكرمة، ولكل مكرمة؛ سيدة في السخاء، وفي الزهد،
وفي كل فضيلة، وإن تاريخها الوضي عليها السلام ليحكى تلك
المكارم التي اقتبستها من البيت النبوى، واحتضنتها حتى
آخر نفس من حياتها.

لتدخل أعماق السيدة الأم العظيمة أمنا عائشة رضي الله عنها،
ولتدخل معها - إن أذنت - بيتها الظاهر الموفق وكيف لا
وقد أطلق عليها رسول الله صلوات الله وآياته عليه اسم موفقة... لتدخل
الحجرة النبوية التي خُصصت لعائشة رضي الله عنها.

منذ الأيام الأولى لزواج عائشة رضي الله عنها، أحببت أن تختلي
مكان خديجة في البيت الحمدى الظاهر، وأن تأخذ مكان
الظاهره خديجة في قلبه الشريف عليها السلام منذ أول أيامها.

لكن أوفى الأوفاء، الرسول الكريم ﷺ كان مخلصاً
لخديجة بنيتها، فمقامها ومكانتها لم ولن تشارك فيه امرأة
آخرى مهما علا شأنها ومهما ومهما... ولقد سبق
عائشة إلى البيت النبوي زوجة أخرى هي سودة بنت زمعة
العامرية، وكانت قد جاوزت مرحلة الصبا، وكان زواجه
عليها منها - بالإضافة إلى أنه وحى - زواج عطف
ومودة ومواساة، وحكمة محمدية تنضح بالرحمة التي
أرسلها الله للعالمين.

كانت عائشة بنيتها تحب رسول الله ﷺ، وترجو أن
يكون لها ولد منه، كما كان لخديجة، ولكن الأيام مرت
دون أن تنجذب، إلا أن رسول الله ﷺ قال لها: «اكتنى
بابن أختك عبد الله - يعني ابن الزبير - أنت أم عبد الله»^(١)
فكانت كنيتها أم عبد الله^(٢).



(١) صحيح: رواه أحمد (٦/١٥١)، وصححه العلامة الالبانى رحمة الله عليه
سلسلة الصحيحـة (١٣٢).

(٢) نساء أهل البيت (ص: ١١٩ - ١٢٠).

البيت المبارك

أنزلت السيدة عائشة رضي الله عنها متزلاً مباركاً في حجرة
ملاصقة لمسجد رسول الله صلوات الله عليه وسلم في المدينة، وهي واحدة
من حُجَّرَاتِ بناها صلوات الله عليه وسلم بنفسه عندما بني المسجد بعد
وصوله للمدينة، وهذه الحجرة المباركة لم تكن كأى حجرة
أو مسكن، فهي مهبط الوحي، ومنبع العلم وفي هذه
الحجرة المباركة دُفِنَ النبي صلوات الله عليه وسلم واصحابه أبو بكر وعمر،
فهي قبر الرسول صلوات الله عليه وسلم.

وتتحدث عائشة عن بركة مسكنها وحجرتها في
حديث لها أخرجه الترمذى في المناقب، يقول رضوان الله
عليها: أُعطيت تسعاً ما أُعطيتها امرأة بعد مريم بنت
عمران: لقد نزل جبريل بصورتى حتى أمر رسول الله
صلوات الله عليه وسلم أن يتزوجنى.

ولقد تزوجنى بكرأً، وما تزوج بكرأً غيري.

ولقد قُبضَ رأسه في حجري.

ولقد قبرته في بيتي.

ولقد حفت الملائكة بيتي.

وإن كان الوحي لينزل عليه وإنى لمعه في حفظه .^(١)
وكانت حجرات النبي ﷺ تسع حجرات، كان منها
أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد النخل، وكانت
خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها.

وقد ضُمت الحجرات إلى المسجد إلا حجرة السيدة
عائشة، فقد بقيت لأن فيها دُفن النبي ﷺ وصحاباه،
ولا تزال إلى الآن في ظلال القبة الخضراء، فيها دُفن
رسول الله ﷺ .

وقد كانت حجرة عائشة مشرفةً ومسكناً مهبطاً للوحي
فقد شرفت تشريفاً عظيماً بنزله كثير من القرآن الكريم
على النبي ﷺ فيها. وكان باب حجرة عائشة يؤدى
إلى المسجد مباشرةً.

ويروى أن النبي ﷺ كان يجلس بقرب باب غرفة
عائشة فيمد رأسه الشريف من خلاله إلى عائشة
وهي في حجرتها لتغسله له.

وإذا كنا نتحدث عن هذا الشرف العظيم والمكانة
الرصينة لبنت أبي بكر طيبها، فلا نغفل أن جبريل عليه

^(١) سير أعلام النبلاء (١٤١/٢).

السلام كان يجيء إلى هذه الغرفة المباركة.

وها هو النبي ﷺ ينادي عائشة فتحتها ويقول: «يا عائش،

هذا جبريل وهو يقرأ عليك السلام».

قالت: وعليه السلام ورحمة الله، ترى ما لا نرى يا

رسول الله ^(١).

هذه الحياة الطاهرة الطيبة لم تكن في قصر مهيب،

ولا في بناء رحيب، بل كانت في حجرة متواضعة بيتها

يد النبي الشريفة، وعاشت فيها الأسرة النبوية الكريمة،

حياة الطاعة وأيام الإيمان، وما زالت تلقى في مكانها تحية

الزائرين لرسول الله ﷺ، فيقفون أمام هذا المكان

الظاهر الذي دُفن فيه محمد ﷺ ليلاقون عليه تحيته

الواجبة و يصلون عليه ويسلموا تسليماً.

ولم تكن حجرة عائشة فريدة إلا كبنائها متواضعة

الأساس، فقد كان فراش رسول الله ﷺ جلداً حشو

ليف ولم يكن لعائشة فريدة غير فراش واحد، وكان إذا ما

أهدي لعائشة فراش حشو صوف رده رسول الله ﷺ،

(١) **متفق عليه:** أخرج البخاري (٣٢١٧) كتاب بده الخلق، ومسلم (٢٤٤٧)

كتاب فضائل الصحابة.

ولو أراد عليه السلام لمسكته حريراً وذهبًا لأجيب.
وها هي امرأة من الأنصار تدخل على عائشة، فترى
فراش رسول الله عليه السلام، قطيفة مثنية، أخفَّ من
الصوف، فبعثت هذه الانصارية إلى عائشة بفراس حشوه
صوف، فدخل رسول الله عليه السلام على عائشة فقال: «ما
هذا يا عائشة؟».

قالت: يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت فرات
فراشك، فذهبت فبعثت إلى بهذا...
فقال عليه السلام: «رُدِّيه يا عائشة، فوالله لو شئت لأجرى الله
معي جبال الذهب والفضة»^(١).
فلم يكن عليه السلام مشغولاً بمال أو متاع، بل كانت
رسالته هي ماله ومتاعه.



(١) **صحح**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١ / ٤٦٥)، وأبو الشيخ في
«أخلاق النبي صلوات الله عليه» (ص ١٦٦ - ١٦٧)، وصححه العلامة الالياس رحمة
الله في الصحيح (٢٤٨٤).

حب النبي ﷺ لعائشة

لقد كانت عائشة فِي قَلْبِهِ تحتل مكانته عظيمة في قلب النبي ﷺ فلقد أحبها حبًا جمًّا وكان يخبر الناس بحبه لعائشة.

فقد سأله ذات مرة عمرو بن العاص رضي الله عنه وقال له: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة». قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها» ^(١).

* وتسأله عائشة ذات مرة وتقول له: من من أزواجه في الجنة؟ قال عليه السلام: «أما إنك منهن» ^(٢).

* وهذا هي تقول له مرة أخرى: من أحب الناس إليك؟

فقال لها النبي عليه السلام: «ولم» ^(٣).

قالت: لأحب من تحب.

فقال: «عائشة» ^(٤).

بل ويدخل النبي عليه السلام عليها مرة فوجدها تبكي فقال لها: «ما يُبكيك؟» قلت: سبَّتني فاطمة... قدعا فاطمة

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٥٨) كتاب المغارى، وسلم (٢٣٨٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (٤/١٣)، وصححه ورافعه الداعى.

(٣) رواه الطبرانى بإسناد حسن.

فقال: «يا فاطمة سببت عائشة؟» قالت: نعم يا رسول الله، قال: «اليس تحبين من أحب؟» قالت: نعم قال: «وتبغضين من أبغض؟» قالت: بلـى، قال: «فإني أحب عائشة فأحبيها» قالت فاطمة: لا أقول لعائشة شيئاً يؤذيها أبداً^(١).

وكان عليهما طالما يؤكـد هذا الحب لزوجته الصبيـة الصغـيرة، فيـقول عليهـ السلام لـعائـشـة رـضـوان اللـه عـلـيـهـا: «حبك يا عائـشـة فـى قـلـبـي كالـعـروـة الـوـثـقـى!».

وكـانـت رـضـوان اللـه عـلـيـهـا تـسـأـل زـوـجـهـا بـيـنـ الـحـيـنـ وـالـآـخـرـ: أـمـا زـالـتـ العـروـة الـوـثـقـى يـا رـسـولـ اللـهـ.

فيـجيـبـها صـلـوـاتـ اللـهـ وـسـلـامـهـ عـلـيـهـ: «إـنـهـ باـقـيـةـ لـمـ تـبـدـلـ وـلـمـ تـغـيـرـ».

هـكـذـا كـانـ حـبـ الرـسـولـ عـلـيـهـ الـحـلـقـةـ لـعـائـشـةـ مـنـذـ أـنـ تـزـوـجـهـاـ وـهـيـ صـبـيـةـ صـغـيرـةـ، وـهـكـذـا ظـلـ حـتـىـ مـاتـ عـلـيـهـ السـلـامـ، وـتـخـبـرـ الرـفـيقـ الـأـعـلـىـ مـنـ الـجـنـةـ.

كـانـ عـلـيـهـ الـحـلـقـةـ يـشـمـلـ عـائـشـةـ ثـوـيـةـ بـرـفـقـهـ وـعـطـفـهـ، فـكـانـ

(١) قال الهميـشـيـنـ فـيـ «المـجـمـعـ» (١٥٣١١): رـوـاهـ أـبـوـ عـلـيـ والـبـلـارـ يـاـختـصـارـ وـلـيـهـ: مـجـالـدـ وـهـوـ حـسـنـ الـحـدـيـثـ وـيـقـيـةـ رـجـالـهـ رـجـالـ الصـحـحـ.

رفِيقاً بها كل الرفق، عَطْوَفَا عليها كل العطف، معجباً بها كُلَّ الإعجاب، وكان من رفقه بها أنه لم يزجرها قط وهي صغيرة عن لعب لَعْبَتِهِ، أو لهو أَتْهِ . . . ذلك ما روتَه عائشة بنفسها حين قالت: كنت أَلْعَب بالبنات^(١)، فيجيء صواحبِي فـيختبئن من رسول الله ﷺ، فيخرج رسول الله ﷺ فـيدخلن علىَّ، وكان يسرِّبُهُنَّ إلَيَّ، فـيلعبن معنى^(٢).

وكان ﷺ إذا دخل عليها ورَوَدَ معاها صاحبات لها يلعبن معها خرج حتى لا يعكر عليهن اللَّعْبُ .
وكان ﷺ فوق ذلك يعمل على الا يحرمها من شيء تتوقد نفسها لرؤيته حتى اللَّعْبُ، بل كان يعمل على مساعدتها في ذلك، فقد أقام ببابها يوماً يسترها برداءه حتى تنظر من بين أذنيه وعاتقه على جماعة من الحبشة يلعبون بالحراب، فظل كذلك حتى أشبعت عائشة شوقها، وكفت رغبتها من التفرج، فقام من أجلها حتى تصرف .
وذات يوم خرجت عائشة^{رض} مع النبي ﷺ في

(١) البنات: هي العارضات التي تلعب بها البنات.

(٢) سُقْنَ عَلَيْهِ: رواه البخاري (٦١٣) كتاب الأدب، ومسلم (٢٤٤٠) كتاب فضائل الصحابة.

أحد أسفاره، فأغراها الفضاء ومنتظر الصحراء المترامية الأطراف، أغراها هذا المنظر المستدي بأن تجري وتترح، فتسابقت مع الرسول ﷺ فسبقته، فلما كانت في سفرة أخرى، وكانت عائشة قد نمت وامتلا جسمها، تسابقت مع الرسول ﷺ فسبقها، فجعل الرسول ﷺ يضحك ويقول لها: «هذه بتلك !!»^(١).

وكان من عطفه ورقته صلوات الله وسلامه عليه، أنه كان إذا دخل عليها وهي نائمة خرج بهدوء لتنلا يقطع عليها نومها^(٢).

وانك لعلى خلق عظيم

وكانت عائشة رضي الله عنها ترى أخلاق النبي ﷺ التي يعجز القلم عن وصفها... وحسبه قول الله عز وجل :

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾^(٣).

(١) أخرجه الحميدى في مسنده (ف ٤٢ / ٢) وأبو داود (٢٥٧٨) والنسائى في عشرة النساء (ف ٧٤ / ١)، وابن ماجه (١٩٧٩) مختصرًا، وأحمد (٦ / ٣٩ / ٢٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمة الله فى الصحيحتين (١٣١).

(٢) أزواج النبي (ص: ١٥٣-١٥٤) يتصرف.

(٣) سورة القلم: الآية: (٤).

عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط
في يده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله.
وما نيل منه شيءٌ، قط فانتقم من صاحبه، إلا أن يتنهك
شيءٌ من محارم الله، فينتقم^(١).

وكان ﷺ على الرغم من كثرة انشغاله بالعبادة
وبهموم الأمة المسلمة إلا أنه كان زوجاً مثالياً، مُحَالاً أن
نجد له مثيلاً في الدنيا... فلقد كان يساعد أهله في
عمل البيت - في الوقت الذي يستنكف فيه أحدهما أن
يُحضر لزوجه كوباً من الماء أثناء مرضها -.

سئل عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في
البيت؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله فإذا سمع الأذان
خرج^(٢).

دروس غالبية

وها هو ﷺ يتعهد بها بالتربيّة والرعاية والتعليم،
فكأن يعلمها دائمًا أن الرفق والرحمة سبب في كل خير.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الشسائل.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٣٦٣) كتاب التغافل.

عن شريح بن هانئ قال: ركبت عائشة بعيرًا، فكانت فيه صعوبة فجعلت تردد، فقال لها رسول الله ﷺ : «عليك بالرفق فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(١).

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم. قالت: عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام^(٢) واللعنة. فقال رسول الله ﷺ : «مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله» فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ : «قد قلت وعليكم»^(٣).

تجرد وإنصاف

وكان الحبيب ﷺ لا يجامل أحداً في دين الله عز وجل بل كان لا تمنعه محبته لأى شخص من أن يكون منصقاً.

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٥٩٤) كتاب البر والصلة والأدب.

(٢) السام: الموت، وقيل: هو الموت العاجل.

(٣) شفق حلب: رواه البخاري (٦ - ٢٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام.

وَهَا هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ وَاللَّهُ تَعَالَى قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُشِيرَةً إِلَى قِصْرِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بْنَ حُبَيْرَةَ بْنَ حُبَيْرَةَ . . . حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ هَكُذَا (تَعْنِي أَنَّهَا قَصِيرَةَ) ، فَمَاذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ أَحَبَّ امْرَأَةً إِلَيْهِ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَقَدْ قَلْتَ كَلْمَةً لَوْ مُرْجَحَتْ بِهَا مَاءُ الْبَحْرِ لَمْرَجِهِ»^(١).

فَمَعَ مَحِبَّتِهِ لَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَرَكْهَا تَخُوضَ فِي عَرْضِ أَخْتِهَا الْمُسْلِمَةِ وَتَعْتَابُهَا .

غَيْرَتِهَا عَلَى الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لَقَدْ كَانَتْ أَمْنَا عَائِشَةَ وَحْشَتِهَا تَحْبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَبَّا جَمِيعاً وَتَغَارَ عَلَيْهِ غَيْرَةً شَدِيدَةً . وَلَقَدْ كَانَتْ عَائِشَةَ مُحْقَّةً فِي غَيْرَتِهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . . فَهُوَ خَيْرُ الْأَزْوَاجِ . . . كَانَ سَهْلًا لِيَنْأَى طَيْبُ الْعَشْرَةِ يَخْرُجُ مَعَ أَزْوَاجِهِ وَيَعْامِلُهُنَّ مُعَامَلَةً فِي قَمَةِ الْلَطْفِ وَالرَّحْمَةِ .

(١) أَخْرَجَ التَّرمِدِيُّ بِاسْنَادِ صَحِيحٍ (٢٥٠٢) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: . . . قُلْتَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ، وَقَالَتْ يَدْعَا هَكُذَا كَائِنَهَا تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلْمَةً لَوْ مُرْجَحَتْ بِهَا مَاءُ الْبَحْرِ لَمْرَجِهِ».

وفي ذلك تقول عائشة رضي الله عنها: أتيت النبي ﷺ بخزيرة قد طبختها له فقلت لسودة - والنبي ﷺ بيني وبينها - كُلِّي. فأبَتْ فقلت: لتأكلين أو لا تطخن وجهك، فابتَفَوضعت يدي في الخزيرة فطلبت وجهها، فضحك النبي ﷺ فوضع بيده لها وقال لها: «الطخى وجهها» ففعلت، فضحك النبي ﷺ فمرّ عمر فقال: يا عبد الله يا عبد الله فظن أنه سيدخل فقال: «قوما فاغسلوا وجوهكم». فقالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ ^(١).

***وَهَا هِيَ أَمْنَا عَائِشَةَ تَحْكِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عَنْدِهَا لِيَلَّا قَالَتْ:** فَغَرَّتْ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فِرَأَى مَا أَصْنَعَ، فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا عَائِشَةَ! أَغْرَتِ؟»، فَقَالَتْ: وَمَا لَيْ لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقْدَ جَاءَكَ شَيْطَانَكَ؟»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْ مَعِي شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَتْ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَتْ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَلَكِنْ رَبِّي أَعْنَتْنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلِمْ» ^(٢).

(١) صحيح: مستند أبي يعلى، (٤٤٩/٧)، وصححه العلامة الاتياني رحمة الله في الصحاح، (٣١٣١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٥) كتاب صفة القيمة والختمة والنثار.

* وفي يوم من الأيام كان النبي ﷺ عند عائشة، وبينما هو جالس مع بعض أصحابه عند عائشة إذ أرسلت إحدى أمهات المؤمنين إناةً فيه طعام... فلما فتحت عائشة الباب ووجدت الطعام علمت أن إحدى زوجات النبي ﷺ تريده أن يعلم النبي ﷺ أن طعامها أجود من طعام عائشة... فغارت أمها عائشة وكسرت الإناء... فما كان من النبي ﷺ إلا أن قال للصحابي: «غارت أمكم» ثم جمع النبي ﷺ الإناء المكسور وطلب من عائشة أن تُعد طعاماً في إناء آخر وترسله لصاحبة الإناء ليكون طعاماً بطعم وإناء بياناً^(١).

غيرتها من خديجة

لقد علمنا كيف كان النبي ﷺ يحب خديجة حباً جماً. فلما ماتت أرسل الله جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ بصورة عائشة ليعلم أنها ستكون زوجته... وتمر الأيام ويتزوجها النبي ﷺ ويحبها النبي ﷺ حباً جماً... وكانت هي أيضاً تحبه حباً لا يخطر على قلب بشر.

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

وكان تراه يحبها ويرفق بها ويعمل كل ما في وسعه من أجل إسعادها ولطالما أسمعها كلمات الحب الجميلة التي جعلتها تشعر وكأنها تطير فوق السحاب.

لكن مع ذلك . . . ما بالها تسمع النبي ﷺ يُشَتِّي على خديجة كثيراً وكانت تتساءل وتقول: إن خديجة امرأة كبيرة في السن، وماتت منذ سنوات، ومع ذلك فهو لا يكُفُّ عن ذكر محسنهما وفضائلها حتى إنه ليفرح كل الفرح إذا سمع أحداً يذكرها بخير ويفرح إذا رأى أحد أقاربها أو إحدى صديقاتها.

وكان إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة».

* ولذلك كانت عائشة تغضب كثيراً إذا سمعت النبي ﷺ يُشَتِّي على خديجة وكان قلبها يعتصر الماء لذلك. وتعالوا بنا لنرى ماذا كانت تقول عائشة عن غيرتها من خديجة فِتْيَةً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان رسول الله ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت

له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول:
«إنها كانت وكانت... وكان لى منها ولد»^(١).

وعن عائشة أيضًا - أنها قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة، وإنى لم أدركها. قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة». قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنى رُزقت حبها»^(٢).

وعن عائشة قالت: دخلت امرأة سوداء على النبي ﷺ، فأقبل عليها. قالت: فقلت: يا رسول الله، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال! فقال: «إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»^(٣).

وعن عائشة أيضًا - أنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد - أخت خديجة - على رسول الله ﷺ، فعرف استئذنان خديجة، فارتاع لذلك فقال: «اللهم هالة».

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨١٨) كتاب المناقب، ومسلم (٤٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة/ باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

(٣) حسن: رواه أحمد، وقال الأزرناووط: رجاله ثقات وحسن العلامة الابناني رحمة الله في صحيح الجامع (٢٠٥٦).

قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز
قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر، قد أبدلك الله
خيراً منها»^(١).

فغضب محمد ﷺ من قول عائشة غضباً ما رأت
عائشة محمداً قط يغضبه، وتغير وجهه تغيراً ما شاهدته
عليه إلا عندما تعترى شدة تزول الوحى عليه، وقال عليه
الصلوة والسلام: «لا والله، ما أبدلني الله خيراً منها: آمنت
بى إذ كفر الناس، وصدقنى إذ كذبوا الناس، وواستنى بمالها
إذ حرمني الناس، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من
النساء».

حيثئذ كفت عائشة عن التعریض بخديجة زوجها، وقد
رأت زوجها الحبيب يغضب كل هذا الغضب لأجلها، وإن
ظللت من بعد ذلك رغم تعدد ضرائرها، تردد قولها: ما
غرت على امرأة ما غرت على خديجة، لما كنت أسمعه
يذكرها^(٢).

(١) شقيق عليه: رواه البخاري (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٧) كتاب

قصائل الصحابة.

(٢) أرجواج النبي (ص: ١٦٤-١٦٣).

قصة العسل

تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، بنت عمته، وكانت بارعة الجمال، وقد تزوجها النبي ﷺ بأمر من الله، مما جعلها لذلك تفخر على سائر نسائه بقولها لهن: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات، وتحت وطأة الغيرة راحت عائشة، تؤازرها حفصة تدبّران حيلة تُعدان بها الرسول ﷺ عن زينب بنت جحش، وقد رأتاه يحتبس عندها وقتاً أكثر مما يحتبس عند سائر نسائه، وذلك عندما يدور عليهن كل يوم يستطلع حالهن، ويسألهن حاجتهن.

وانتفقت عائشة وحفصة - وأشركتا سودة في اتفاقهما هذا - على أيتهن يجيئها الرسول بعد خروجه من عند زينب تقول له: رأيحتك مغافير^(١) (والغافر طعام حلو ذو رائحة كريهة) وكان النبي يكره الرائحة الكريهة.

و جاء الرسول ﷺ ، بعد خروجه من عند زينب، فلما أقبل عليها قالت: إني أشم رائحة مغافير، .. أكلت مغافير؟!

^(١) انظر المسط الشين (٨٠، ٨١).

فَلَمَّا أتَى حَفْصَةَ قَالَتْ لَهُ مَا قَالَتْ عَائِشَةَ: أَكَلْتِ مَغَافِيرَ؟
وَلَمَّا جَاءَ سُودَةَ وَسَأَلَتْهُ: هَلْ أَكَلْتِ مَغَافِيرَ؟!

قَالَ: (لَا).

قَالَتْ: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ؟!

قَالَ: «سَقَنْتِي زَيْنَبْ شَرِبةً مِنْ عَسلٍ».

وَحَرَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفْسِهِ الْعَسْلَ الَّذِي كَانَ يَشْرُبُ
عِنْدَ زَيْنَبَ، فَيَحْتَسِهِ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا.

وَأَحْسَتْ سُودَةَ بِالْأَسْفِ وَالنَّدْمِ مَا فَعَلَتْ هِيَ وَعَائِشَةَ
وَحَفْصَةَ، إِذْ حَرَمَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ طَعَامٍ كَانَ يُحِبُّهُ،
فَقَالَتْ لَهُمَا: سَبَحَنَ اللَّهُ! وَاللَّهُ لَقَدْ حَرَمَنَا!

فَرَدَتْ عَلَيْهَا عَائِشَةُ الَّتِي كَانَتْ غَيْرَتَهَا تَغلِبُهَا عَلَى
أَمْرِهَا: اسْكُنْتِي!

وَانْتَصَرَتْ عَائِشَةُ عَلَى زَيْنَبَ، وَحَرَمَتْهَا مِنْ احْتِبَاسِ
الرَّسُولِ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مَا يُجَبُ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ
يَقْضِيهِ فِي ارْتِشَافِ الْعَسْلِ^(١).



(١) أزواج النبي (ص: ١٧٠ - ١٧١).

أشركانى فى سلمكما

كان كثيراً ما يشتد أبو بكر على عائشة رضي الله عنها، أو يعنفها في أمر من الأمور، في سبيل راحة الرسول صلوات الله عليه وسلم، وكان الرسول صلوات الله عليه وسلم ربما يمنعه عنها، ويحول بينه وبين ابنته عائشة رضي الله عنها.

وقد حدث أن شكا النبي صلوات الله عليه وسلم يوماً عائشة إلى أبيها، فغضب أبو بكر على عائشة وضربها ضربة موجعة، فتالم الرسول صلوات الله عليه وسلم لذلك، وقال لأبي بكر لائماً: «غفر الله لك يا أبي بكر! ما أردت هذا...».

فلما انصرف أبو بكر أقبل صلوات الله عليه وسلم على زوجته الحبيبة عائشة يراضيها، ويُطّيب خاطرها وهو يقول: «الا ترين أنني قد حللت بين الرجل وبينك؟!».

وعاد أبو بكر رضي الله عنه فوجد الرسول صلوات الله عليه وسلم يصاحب عائشة ويفاكنها فقال: يا رسول الله، أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما ^(١).



(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٩٩) كتاب الأدب - وقال الأرناؤوط: إسناده قوي، وصححه العلامة الآلباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٩٠١).

أدبها مع النبي ﷺ

ومع تلك الغيرة التي ملأت قلب أمّا عائشة لشدة حبها للنبي ﷺ إلا أنها كانت في قمة الأدب مع رسول الله ﷺ.

عن عائشة، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إنّي لأعلم إذا كنت عنِي راضية، وإذا كنت علىٰ غضبِي» قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟

قال: «أما إذا كنت عنِي راضية، فإنك تقولين: لا. ورب محمد! وإذا كنت غضبِي، قلت: لا ورب إبراهيم!» قالت: قلت: أجل. والله يا رسول الله! ما أهجر إلا اسمك^(١).

زهد عائشة رضي الله عنها

لقد نشأت عائشة في بيت أبيها الصديق رضي الله عنه فتعلمت الزهد منه... . تعم والله فهو الذي جعل ماله كله لله ولم يتعلّق قلبه لحظة واحدة بحطام الدنيا الزائل.

فلمّا تزوجها رسول الله ﷺ - سيد الزاهدين -

(١) **سترقى عليه**: رواه البخاري (٥٢٨) كتاب السكاف، ومسلم (٨٠) (٢٤٣٩) كتاب فضائل الصحابة.

بلغت عنده درجة الكمال في الزهد لأنها كانت ترى الزهد في حياة النبي ﷺ في كل لحظة ورأي بعينيها كيف ترك رسول الله ﷺ زهرة الحياة الدنيا واختار ما عند الله - جل وعلا - .

ولقد عُرضت على نبينا محمد ﷺ مفاتيحها وخزائنه، لا ينفعه عند الله جناح بعوضه، فلأبي أن يقبلها، وكروه أن يحب ما أبغض خالقه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال: «لو كان لى مثل أحد ذهباً، لسررتني أن لا تمر على ثلات ليالٍ وعندى منه شيء إلا شيئاً أرصده ل الدين» ^(١) .

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: توفى رسول الله ﷺ ، وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي ، فأكلت منه حتى طال على فككته ففتنى ^(٢) .

وعن عمرو بن الحارث أخي جويرية بنت الحارث أم

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٨٩) كتاب الاستغفار، ومسلم (٩٩١) كتاب الزكاة .

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٥١) كتاب الرفقان، ومسلم (٢٩٧٣) كتاب الزهد والرقائق .

المُؤْمِنُونَ ﷺ، قال: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنْ مَوْتِهِ دِينَارًا وَلَا درْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أُمَّةً، وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَعْلَهُ الْيَضَاءُ الَّتِي كَانَ يَرْكُبُهَا، وَسِلَاحُهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لَابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثْرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَتَخَذْنَا لَكَ وَطَاءً، فَقَالَ: ﷺ (مَا لِي وَمَا لِلنَّاسِ؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَّا كِبْرِ استَنْظَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)^(٢).

وعن عائشة ﷺ، قالت: مَا شَيْعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ
مِنْ خُبْزٍ شَعِيرٍ يَوْمَينْ مُتَتَابِعِينَ حَتَّى قُبِضَ^(٣).
وفي رواية: مَا شَيْعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذَ قَدْمَ المَدِينَةِ

(١) صحيح آخرجه الترمذى (٢٢٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١ - ٩) وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٦٨) والسلسلة الصحيحة (٤٣٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٢٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٩ - ٤)، وصححه الشيخ الألبانى فى « الصحيح الجامع » (٥٦٦٨) والسلسلة الصحيحة (٤٣٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٤١٦) كتاب الأطعمة، ومسلم (٢٩٧٠) كتاب الزهد والرقان.

من طعام البر ثلاثة ليالٍ تباعاً حتى قُبض .
 وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تقول : والله يا ابن أخي إن كننا لنتظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أودق في أبيات رسول الله عليه وسلم نار . قلت : يا خاله فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله عليه وسلم جيران من الأنصار كانت لهم مئاج و كانوا يرسلون إلى رسول الله من أبنائها فيستقينا ^(١) .

و عن جابر رضي الله عنه قال : لما حفر رسول الله عليه وسلم الخندق ، أصابهم جهد شديد ، حتى ربط النبي عليه وسلم على بطنه حجراً من الجموع ^(٢) .

و عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت على امرأة من الأنصار ، فرأت فراش رسول الله عليه وسلم عباءة مثيرة ، فرجعت إلى منزلها ، فبعثت إلى بfraش حشو الصوف ، فدخل على

(١) متفق عليه رواه البخاري (٢٥٦٧) كتاب اليبة ، ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرفاق .

(٢) صحيح رواه أحمد (٣٠١/٣) ، وقال شعب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط البخاري رجاله ثقات رجال الشيخين غير أيدن المكي والد عد الواحد فمن رجال البخاري .

رسول الله ﷺ ، فقال: «ما هذا؟» فقلت: فلانة الأنصارية دخلت علىَّ، فرأى فراشك، فبعثت إلىَّ بهذا. فقال: «رُدِيَّه» فلم أرده، وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: «يا عائشة، رُدِيَّه، والله لو شئت، لأجري الله معى جبال الذهب والفضة^(١) .

فلم تعايشت بقلبها وجوارحها مع زهد أبيها ﷺ وزهد زوجها الحبيب ﷺ كانت حياتها كلها صفحة ناصعة من الزهد في متع الدنيا وزينتها وأصبح قلبها لا يتطلع إلا إلى رضوان الله (عز وجل) وجنته.

عن عائشة رحمها الله قال: ما شبعت بعد النبي ﷺ من طعام إلا ولو شئت أن أبكي لبكير وما شبعت آل محمد ﷺ حتى قبض.

وعن عروة قال: رأيتها تقسم سبعين ألفاً وهي تُرْقَع درعها^(٢) .

وقال عروة: (بعث معاوية مرة إلى عائشة بمائة ألف

(١) صحيح: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/١٧٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيح (٢٤٨٤).

(٢) الزهد/للإمام أحمد (ص: ٥٠٦-٥٠٧).

درهم، فقسمتها، لم تترك منها شيئاً، فقالت ببريرة: «أنت صائمة، فهلا اشتريت لنا منها بدرهم لحمًا؟» قالت: «الو ذكرتني لفعلت^(١)، وعنه أيضاً قال: «وإن عائشة تصدق بسبعين ألف درهم، وإنها لترفع جانب درعها» - رضي الله تعالى عنها -^(٢).

وعن عائشة قالت: جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمنتها ثلاثة تمرات فأعطيت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمنتها ابنتها فشققت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبنى شأنها فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار»^(٣).

اختار الله ورسوله

كانت حياة النبي ﷺ متصلة بالعبادة وتبلیغ الرسالة، ولم تكن الدنيا ومتاعها همما يهتم له رسول الله ﷺ، ولذلك فقد حمل شدة العيش أمراء المؤمنين فاجتمعوا

(١) أخرجه أبو نعيم في «الخلية» (٤٧/٢)، والحاكم (١٣/٤).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٤٥/٨).

(٣) صحح رواه مسلم (٢٦٣) كتاب البر والصلة والأدب.

على أن يسألن رسول الله ﷺ توسيع النفقه عليهم، فغضب عليه الصلاة والسلام منهين، واعتزلهم في مشربة له، - وهي غرفة عالية - ثم أمره رب العزة أن يخирهن بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره من يحصل لهم عنده الحياة الدنيا وزيتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهم عند الله في ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل، فاختزن ثوابكم الله ورسوله والدار الآخرة، . . . فـأـيـ خـيـرـ أـكـمـلـ مـنـ خـيـرـ الدـنـيـاـ وـسـعـادـةـ الـآخـرـةـ.

وتروى السيدة عائشة تخييرها عند نزول الآيات الكريمة، فقال عائشة لعائشة: «إنى ذاكر لك أمراً فلأريك لا تتعجل حتى تستأمرى أبويك».

قالت: قد علم أن أيدي لم يكونا يأمراني بفراقه.

قالت عائشة: ثم قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زَوْجٍ إِنْ كُنْتَ تُرْدَنُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا
فَتَعَالَى مِنْ أَمْعَكُنْ وَأَسْرَ حَكْنَ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨) وَإِنْ كُنْتَ تُرْدَنُ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنْ أَجْرًا
عَظِيمًا» (١).

^{٣٩} مسورة الاحزاب: الآيات: (٤٨، ٤٩).

قالت: أفي هذا استأمر أبي؟ فلاني أريد الله ورسوله
والدار الآخرة.

قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما
فعلت^(١).

لقد اختارت عائشة بنت أبي بكر الله ورسوله والدار الآخرة،
وتركت اختيار الحياة الدنيا وزيتها، وكذلك أمهات
المؤمنين رضوان الله عليهم اخترن الله ورسوله والدار
الآخرة، وقد أعد للمحسنات منها أجرًا عظيمًا، لأنهن
اخترن الله ورسوله والدار الآخرة^(٢).

الصائمة العابدة

ولقد كانت أمينا عائشة بنت أبي بكر بها المثل في العبادة
فكانت تصوم العام كله ولا تُفطر إلا في يوم عيد الفطر أو
الأضحى وكانت تقوم الليل تصلى وتبكي وكانت تُكثر من
ذكر الله وقراءة القرآن وكانت تُردد الآية من الليل حتى
الصبح وهي تبكي من خشية الله (جل وعلا).

(١) انظر نسير ابن كثير للآية (٤٨١/٣)، والحديث منفق عليه واللفظ مسلم.

(٢) أزواج النبي (ص: ١٥٢).

جهادها

ولقد كانت بِنْتُهَا حريصة كل الحرص على أن لا يفوتها أي طاعة تقرب بها إلى الله عز وجل .

وبلغ حرصها على كل ما يقربها من الله (عز وجل) أن استأذنت من الرسول ﷺ لكي يأذن لها بالجهاد في سبيل الله - من كثرة ما سمعت عن فضائل الجهاد والمجاهدين .

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال: «جهادكن الحج»^(١).

لقد كانت عائشة بِنْتُهَا مثلاً يحتذى وقدوة يقتدي بها في جهاد النساء، فضررت المثل على مشاركة المرأة المسلمة في صدر الإسلام في تحمل بعض أعباء الجهاد بما يتناسب وتكون المرأة المسلمة.

ففي غزوات الرسول ﷺ خرجمت عائشة بِنْتُهَا وكثير من النساء من نساء وبنات الصحابة رضوان الله عليهم، ... وكل عمل النساء الغالب في الجهاد في سبيل

^(١) صحيح رواه البخاري (٢٨٧٥) كتاب الجهاد والسير .

الله ينحصر في سقى الماء، وترخيص الجرحى، وإخلاء القتلى، وقد تطور الأمر فشاركت بعض النساء في القتال فعلاً مثل أم عمارة رضي الله عنها، وصفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلوات الله عليه وسلم.
وبذات مشاركة عائشة رضي الله عنها في الجهاد بعد غزوة بدر.

هي غزو أحد

جاءت غزوة أحد وخرج الرسول صلوات الله عليه وسلم لقتال المشركين، وخرجت عائشة مع النساء تسقى الجرحى وتحمل قرب الماء على عاتقها، لتغرغها في أفواه المجاهدين وفي ذلك يتحدث أنس بن مالك فيقول: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم لشمرتان، أرى خدم سوقيهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواههم، ثم ترجعان فتملأنها ثم تحيتان تفرغانه في أفواه القوم ^(١).
هكذا كانت عائشة مجاهدة في سبيل الله خلف زوجها النبي صلوات الله عليه وسلم.

(١) **ستنق عليه:** رواه البخاري (٢٨٨٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨١١) كتاب الجهاد والسير.

قصة الأفك

لم تسترح نفوس المنافقين الذين رأوا انتصارات الإسلام تتسع يوماً بعد يوم، ووجدوا أن مكانتهم بدأت تتحسر وتتلاشى إلى أن مقتهم مجتمعهم، فأرادوا بزعمهم أن يوجهوا ضربة قاصمة إلى النبي الكريم ﷺ، فرموا أمها الطاهرة الصديقة بنت الصديق بالبهتان العظيم.

وكان عبد الله بن أبي ابن سلول قد تولد النفاق والحسد في قلبه من أول يوم سمع فيه بالإسلام وطفق يكيد للنبي ﷺ وللإسلام المكيدة تلو الأخرى، ولكن حكمة الله سبحانه كانت له وللمنافقين بالمرصاد، فكانت تُلجمهم وتكبّتهم.

نعم إن الابتلاء سُنة ثابتة لا تتبدل ولا تغير . . . ولكن الابتلاء الذي تعرضت له أمها عائشة ؓ كان ابتلاء يُفتت الصخور والجبال ويُعصف بالقلوب، فلقد اتهمت في أعز شيء تملكه المرأة - اتهمت في عرضها - !!! إن هذا لهو البلاء العظيم . . عائشة ؓ تُتهم في عرضها، وهي الزهرة التقية الندية التي نبتت في حقل الإسلام وسُقِيت

بماء الوحي . . . رسول الله ﷺ يتهم في عرضه وهو القائم على صيانة حرمات الأمة وأعراض المسلمين . . . والصديق رَحْمَةُ اللَّهِ يُتَّهَمُ في عرض ابنته الغالية !! .
وكان لحديث الإفك وقع أليم على قلب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . . . ومررت عليها وعلى البيت النبوى الطاهر والبيت البكرى الصادق أوقات قاسية حرجة ، امتدت إلى شهر من الزمن ، حتى نزل القرآن الكريم بالبراءة للعفيفة الصديقة بنت الصديق ، وتحمل هذه البراءة شهادة مباركة للمؤمن صفوان بن المعطل الذى رمى بالحديث الآثم ، كما وسمت المنافقين بميسىم الزور والبهتان الذى ظل يلاحقهم إلى النهاية ^(١) .

بركة عائشة وتزول آية التيمم

ومن بركات أمنا الغالية (عائشة) رضي الله عنها أن الله (عز وجل) أنزل بسبيها آية التيمم تيسيراً على المسلمين ففرح المسلمون لذلك فرحاً شديداً . . . فيها من أم مباركة فاحبب بركتها على كل من حولها من المسلمين .

(١) نساء مبشرات بالجنة (ص: ١٨٠) بتصرف.

فقد خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كانوا بالبيداء، وفي موقع استراحة الجيش، انقطع عقد عائشة رضوان الله عليها، فاقام الرسول ﷺ على التماسه والبحث عنه، وقام الناس معه يبحثون عن العقد، ولم يكن معهم ماء يكفيهم، فأتى الناس أبو بكر رضي الله عنه فقالوا: أما ترى ما صنعت ابنتك عائشة، أقامت برسول الله وبالناس، وليسوا على مقدرة من ماء وليس معهم ماء!!

تقول عائشة عن هذا الموقف: فعاتبني أبو بكر، فقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان النبي ﷺ على فخذى، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، قال تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ مُّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَا مَسْتَمِنْ النَّاسَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَسِمُّوا صَعِيدًا طَيْبًا فَامسحُوا بِوَجْهِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ»^(١)

فتال أسد بن الحضرير - وهو أحد نقباء الأنصار -: ما هذا بأول بركتكم يا آل أبي بكر!

(١) سورة المائدة: الآية: (٦).

قالت عائشة رضي الله عنها: فبعثنا البعير الذي كنت عليه،
فوجدنا العقد تحته ^(١).

وفاة الرسول صلوات الله عليه

* إن الأحداث العظيمة تسبقها بعض العلامات التي
تشير إلى قُرب وقوعها.

وقد تم لل المسلمين فتح مكة أم القرى في السنة الثامنة
من الهجرة المباركة، وفي السنة التاسعة أقبلت الوفود تُقر
باليسلام أو تعطى الجزية عن يدِ وهم صاغرون، وأرعب
جيش العسرة الذي خرج به النبي صلوات الله عليه جحافل الروم
حتى فروا من مواجهته، ودانت جزيرة العرب باليسلام،
وكان ذلك بعد عشر سنتين من جهاد النبي صلوات الله عليه المتواصل
وصحابته الكرام رضي الله عنهم، فكل العلامات تشير إلى انتهاء
مهمة رسول الله صلوات الله عليه فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة،
ونصح الأمة، وكشف الغمة، وأصبح الناس على المحجة
البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٤) كتاب النيم، ومسلم (٣٦٧) كتاب الحيف.

(٢) وفتات تربية (ص: ٤٠٣).

العلامات التي أشارت إلى قرب انتهاء أجله ﷺ

ولقد سبق موت النبي ﷺ علامات تشير إلى قرب انتهاء أجله ﷺ فمن بين ذلك : أنه ﷺ كان يعتكف كل سنة عشرًا في رمضان فاعتكف في السنة الأخيرة عشرين ليلة وكان جبريل يعارضه القرآن مرة في رمضان فعارضه في السنة الأخيرة مرتين .

* ومن ذلك ما رواه أحمد عن معاذ قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن ، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، أو لعلك أن تمر بمسجدى هذا وقبرى» فبكى معاذ جشعًا لفراق رسول الله ﷺ ، ثم التفت فاقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»^(١).

(١) رواه أحمد (٢٣٥/٥)، وصححه العلامة الالباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٤٩٧).

* وخرج النبي ﷺ للحج في السنة العاشرة وقال:
«خذوا عنى مناسككم لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق
بودع الناس»^(١).

ونزل عليه بعرفة: «اليوم أكملت لكم دينكم وأنتمت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»^(٢).

* وفي ثاني أيام التشريق نزل عليه قوله عز وجل: «إذا
جاء نصر الله والفتح (١) ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً
(٢) فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً»^(٣).

- فكانت هذه السورة تخبر بانتهاء أجل النبي ﷺ
وتنعم إلى نفسه.

* ومن هذه العلامات أنه ﷺ خرج إلى أحد
فصل على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات.

* ومن هذه العلامات كثرة تتابع الروحى على رسول
الله ﷺ.

* ومن هذه العلامات أنه ﷺ كان يُرغبهم في كثرة
ملازمته والخلوس إليه قبل أن يُحرموا ذلك، ويتمنى

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢٩٧) كتاب الحج.

(٢) سورة المائدة: الآية: (٣).

(٣) سورة النصر: الآيات: (١-٣).

أحدهم لو رأه بأهله وماله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَأْتِنَّ عَلَى أَحَدْكُمْ يَوْمًا وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ»^(١).
 فَأَوْلُوهُ عَلَى أَنَّهُ نَعِي نَفْسَهُ إِلَيْهِمْ وَعَرَفُهُمْ مَا يَحْدُثُ
 لَهُمْ بَعْدَهُ مِنْ تَمْنِي لِقَاءِهِ عِنْدَ فَقْدِهِمْ مَا كَانُوا يَشَاهِدُونَ مِنْ
 بَرَكَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* ومن هذه الإشارات زيارة لأهل البقيع واستغفاره
لهم :

«عَنْ أَبِي سُوَيْدَةِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَعْشَنِي
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَوْفِ الظَّلَلِ» مِنْ جَوْفِ الظَّلَلِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا
 سُوَيْدَةَ، إِنِّي قُدِّمْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ هَذَا الْبَقِيعِ، فَانطَلَقَ
 مَعِي»، فَانطَلَقَتْ مَعَهُ فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، قَالَ:
 «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيَهْنِي لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مَا
 أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ، أَقْبَلْتُ الْفَتْنَةَ كَقْطَعِ الظَّلَلِ الظَّلَمِ، يَتَبعُ آخِرَهَا
 أَوْلَاهَا، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى»». فَقَالَ: «يَا أَبَا
 سُوَيْدَةَ، إِنِّي قُدِّمْتُ مَفَاتِيحَ حَرَانَ الدُّنْيَا وَالْخَلْدِ فِيهَا، ثُمَّ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٤) كتاب الفضائل.

الجنة، فخُيِّرَتْ بين ذلك وبين لقاء ربِّي والجنة».

قال: فقلت: بأبِّي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، قال: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربِّي والجنة»، ثم استغفر لأهل القيع، ثم انصرف فبدأ برسول الله ﷺ وجده الذي قبضه الله فيه»^(١)

بداية مرضه

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١هـ وكان يوم الاثنين شهد رسول الله ﷺ جنازة في القيع، فلما رجع، وهو في الطريق أخذه صداع في رأسه، وارتفعت درجة حرارة النبي ﷺ .. فدخل على عائشة فوجدها تقول: وارأساه.

فقال: «أبل أنا والله يا عائشة وارأساه».

ثم أخذ المرض يشتد برسول الله ﷺ حتى ازداد عليه ثقل المرض وهو في بيت ميمونة .. فدعى النبي ﷺ نساءه واستأذنهن في أن يُمرَّض في بيت عائشة فآذن له جميعاً.

(١) رواه أحمد (١٥٥٦٧).

ويدخل عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فوجد النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وقد اشتد عليه المرض فقال له: يا رسول الله! إنك لتوعلك وعكاً شديداً.

قال رسول الله ﷺ: «أجل: إني أوعك كما يوعك رجال منكم».

قال: قلت: ذلك أن لك أجرين.

قال رسول الله ﷺ: «أجل»^(١).

وطلب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه منهم أن يسكنوا عليه سبع قرب من الماء فحضروا ماءً كثيراً وأخذوا يصبوا عليه الماء حتى زالت عنه بعض الحرارة صلوات الله عليه وآله وسلامه.

وقام النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يخطب في الناس وينهى نفسه إليه فقال: «إن عبداً حَيْرَه اللَّهُ بَيْنَ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عَنْدَهُ؛ فَاخْتارْ مَا عَنْدَ اللَّهِ».

ولم يفهم أحداً من الصحابة أن هذه لحظات الوداع، إلا أبو بكر الذي بكى وقال: قدِيناك بآياتنا وأمهاتنا يا رسول الله^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤٨) كتاب المرض، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البر والصلة والأداء.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٩٠) كتاب النافق، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

مروا أبا بكر فليصل بالناس

والنبي ﷺ مع ما كان به من شدة المرض كان يصلى بالناس جميع صلواته حتى ذلك اليوم - يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام - وقد صلى بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب، فقرأ فيها بالمرسلات. وعند العشاء زاد ثقل المرض بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: نقل النبي ﷺ فقال: «أصلى الناس؟».

قلنا: لا، وهم يتظرونك يا رسول الله.

قال: «ضعوا لي ماءً في المخضب».

قالت: ففعلنا. فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال ﷺ: «أصلى الناس؟».

قلنا: لا، هم يتظرونك يا رسول الله.

قال: ضعوا لي ماءً في المخضب.

قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال: «أصلى الناس؟».

فقلنا لا ، هم يتظرونك يا رسول الله .

فقال «ضعوا لي ماءً في المخضب» فقعد فاغتسل ثم ذهب لينوء فاغمى عليه ثم أفاق فقال: «أصلى الناس؟».

فقلنا: لا هم يتظرونك يا رسول الله . . . والناس

عكرف في المسجد يستظرون النبي عليه السلام لصلاة العشاء الآخر - فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلّى بالناس ، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس ، فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً - يا عمر صلّ بالناس ، فقال له عمر: أنت أحق بذلك .
فصلى أبو بكر تلك الأيام ^(١) .

قبل الوفاة بيوم

وقبل يوم من الوفاة - يوم الأحد - أعتق النبي ﷺ غلمانه ، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده ، ووهب للمسالمين أسلحته ، وفي الليل استعارت عائشة الزيت للمصباح من جارتها ، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير ^(٢) .

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨٧) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٨) كتاب الصلاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٦٧) كتاب المغاري، ومسلم (١٦٠٣) كتاب المساجد.

آخر يوم في حياة النبي

وخرج النبي عليه السلام في صبح اليوم الذي لحق فيه بالرفيق الأعلى ينظر إلى ثمرة جهاده وصبره فألقى على أصحابه الذين أحبوه وأحبابهم نظرة وداع فكادوا يُفتنون من الفرح به عليهم السلام ظناً منهم أنه عليه السلام قد عوفي من مرضه ولم يظنوا أنه ينظر إليهم نظرة الوداع حتى يتلقى بهم على حوضه وفي جنة الله عز وجل... ولو علموا ذلك لتفطرت قلوبهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبو بكر كان يصلى لهم في واجع النبي عليه السلام الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين - وهو صفوف في الصلاة - كشف النبي عليه السلام ستراً الحجرة، فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك ففهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي عليه السلام فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظنّ النبي عليه السلام خارج إلى الصلاة فأشار إلينا النبي عليه السلام أن آتمنا صلاتكم وأرخى الستر فتوفى من يومه^(١). ثم لم تأت على النبي عليه السلام صلاة أخرى^(٢).

(١) مدقق عليه: رواه البخاري (٦٨٠) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٩) كتاب الصلاة.

(٢) نقلًا من وقفات تربية (ص: ٤١٢) للدكتور أحمد فريد.

* وكان الله تعالى أراد أن يُطمئنَّ النبِي ﷺ على كمال انقياد أمته وحسن اتباعها فأشهده آخر وقت حضره وهو في الدنيا، إذ أقبل المؤمنون من بيوتهم إلى المسجد فجر الاثنين الذي قُبض فيه، واصطفوا لصلاتهم خُشعاً مخبتين، وراء إمام رقيق التلاوة فياض الإخلاص، ورفع النبِي ﷺ الستر المضروب على منزل عائشة، وفتح الباب وبرز للناس.

فكان المسلمون يُقتنون في صلاتهم ابتهاجاً برؤيه، وتفرجوا يُفسحون له مكاناً فأشار بيده: أن اثبتو على صلاتكم، وتبسم فرحاً من هيئتكم في صلاتهم.

قال أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله أحسن هيئته منه في تلك الساعة.

ثم رجع وانصرف الناس، وهم يظنون أن رسول الله قد أفاق من وجعه، واطمأن أبو بكر لهذا الظن، فرجع إلى أهله بالسنج - في ضواحي المدينة.

قالت عائشة: وعاد رسول الله من المسجد، فاضطجع في حجري^(١).

^(١) فقه السيرة للغزالى (ص: ٥١٨).

النبي ﷺ ينعي نفسه إلى فاطمة (عليها السلام)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ ، فلم تغادر منهن امرأة ، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشيبة رسول الله ﷺ .

قال: «مرحباً بابنتي» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله .
ثم إنه أسر إليها حديثاً فبكت فاطمة .
ثم إنه سارها فضحكـت أيضاً .

فقلت: ما رأيت كاليلوم فرحاً أقرب من حزن .

فقلت لها حين بكـت: أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكـين؟

وسـأـلـهـاـ عـمـاـ قـالـ فـقـالـ: ما كنت لأفشي سر رسول الله

حتى إذا قـبـضـ سـأـلـهـاـ فـقـالـ: إنه كان حديثـي: «أن جبريل كان يعارضـهـ بالقرآن كل عام مـرةـ، وإنـهـ عـارـضـهـ بهـ فيـ العامـ مـرتـيـنـ، ولاـ أـرـانـيـ إـلاـ قـدـ حـضـرـ أـجـلـيـ، وإنـكـ أـوـلـ أـهـلـيـ لـحـوقـاـ بيـ، وـنـعـمـ السـلـفـ أـنـاـ لـكـ» فـبـكـيـتـ لـذـلـكـ .

ثم إن سارني فقال: «الا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت لذلك»^(١)

ليس على أبيك كرب بعد اليوم

وعن أنس قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام: وا كرب أبته، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»^(٢)

شدة تأثر النبي ﷺ بالطعام المسموم (يوم خيبر)

* ودعا النبي ﷺ الحسن والحسين فقبلهما وأوصى بهما خيراً ثم دعا أزواجه فوعظهن وذكرهن بالله (عز وجل).

وأحسنَ رسول الله بآثار السم يوم خيبر تجرى في جسده، فاشتد الوجع والألم عليه، وهو يقول: «لا إله إلا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٢٤) كتاب المذاهب، ومسلم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٤٦٢) كتاب المغارى - وأحمد (٢٠٤/٣).

الله إن للموت لسَكَرَاتٍ^(١)

عن عائشة، زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يُقبض نبِيٌّ قط، حتى يرى مقعده في الجنة، ثم يُخْبِرُ» قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ، ورأسه على فخذِي، غُشِيَ عليه ساعَةٌ ثم أفاق. فأشخص بصره إلى السقف. ثم قال: «اللهم ! الرفيق الأعلى». قالت عائشة: قلت: إذا لا يختارنا.

وفي رواية: قالت عائشة: تُوفى رسول الله ﷺ في بيتي، وفي يومي وليلي، وبين سحرى وتحري. ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر، ومعه سواكٌ رطبٌ، فنظر إليه، حتى ظنت أنه يريده، فأخذته، فمضغته ونفسته وطَبَّته، ثم دفعته إليه. فاستنَّ به كأحسن ما رأيته مُسْتَنًا قط؛ ثم ذهب يرفعه إلىَّ، فسقطت يده، فأخذت أدعُو له بداعٍ كان يدعُو به له جبريل، وكان هو يدعُو به إذا مرض، فلم يدع به في مرضه ذاك. فرفع بصره إلى السماء،

(١) صحيح رواه البخاري (٤٤٤٩) كتاب المغارى.

وقال: «الرفيق الأعلى» وفاضت نفسه. فاحمد لله الذي جمع بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا^(١).

اللهم الرفيق الأعلى

ثُمَّ نَزَّلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:

يا مُحَمَّدَ إِنَّ رَبِّكَ إِلَيْكَ مُشْتَاقٌ، وَإِنَّهُ قَدْ بَعَثَ مَعِي مَلِكَ الْمَوْتَ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ وَمَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِكَ، وَلَنْ يَسْتَأْذِنَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَكَ، وَهَذَا آخِرُ عَهْدِي بِالْدُّنْيَا وَلَنْ أَهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَنَا مُشْتَاقٌ إِلَى رَبِّي».

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، وَتَحْرَكَ شَفَتَاهُ قَائِلاً: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِيدَاتِ وَالصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَلَا خَنْقِنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى».

وَغَمْضَتْ عَيْنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَسَكَتَ صَوْنَهُ، وَصَعَدَتْ رُوحُهُ لِمَوْلَاهُ، وَآنَ لِلْجَسَدِ الْمُتَعَبِّ أَنْ يَسْتَرِيعَ، وَلِرَسُولِ اللَّهِ

(١) أخرجه أحمد (٦/٤٨)، وصححه الحاكم (٤/٧) ووافقه التذهبي.

والحر: الرنة - البحر: أعلى الصدر - استن: استنك.

أن يعيش بروحه في السماء بجوار ربه ومولاه، فإنما لله
وإنما إليه راجعون.

وأظلمت أرجاء المدينة بعد أن كانت مُنيرة برسول الله
حتى قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما رأيت يوماً قطْ كان
أحسن ولا أضوا من يوم دخل علينا رسول الله، وما
رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول
الله...^(١)

وتم تأويل الرؤيا

ودفن النبي صلوات الله عليه وسلم في غرفة أمها عائشة رضي الله عنها.
ومن أجل وأعظم المكرمات التي حظيت بها أمها عائشة
رضي الله عنها أن حجرتها دُفنت فيها أعظم ثلاثة في تاريخ الأمة
الإسلامية: فكان أعظمهم جمِيعاً رسول الله صلوات الله عليه وسلم الذي
دُفن في حجرتها ثم دُفن أبو بكر ثم دُفن عمر رضي الله
عنهم جميعاً.

(١) حياة محمد (ص: ٢٥٣ - ٢٥٥).

ولقد رأت عائشة ذلك الفضل من قبل ، فقد قالت لابي بكر الصديق رضي الله عنه : رأيت كان ثلاثة أقمار سقطن في حجري ، فقال لها : إن صدقت رؤياك دفن في بيتك ثلاثة من خير أهل الأرض ، فلما دُفِنَ النبي صلوات الله عليه وسلم ، قال أبو بكر هذا أحد أقمارك وهو خيرها ثم دُفِنَ القمر الثاني فكان أبو بكر نفسه ، ثم القمر الثالث ، فكان عمر رضي الله عنه ، وبهذا تم تأويل رؤيا عائشة من قبل وقد جعلها الله حقاً .

عائشة رضي الله عنها وحياء يعجز القلم عن وصفه

إن المرأة المؤمنة بفطرتها التقة تستحمي من أي رجل حتى ولو كان زوجها فما ظنك بمن لا تستحمي من الأحياء فحسب بل تستحمي من الأموات!!! .
إنها أمنا الطاهرة التقة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها .

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أدخل البيت الذي دُفِنَ فيه رسول الله صلوات الله عليه وسلم وأبى ثوابة واضعة ثوبها ،

وأقول: «إنما هو زوجي وأبى» فلما دُفِنَ عمر رضي الله عنه، والله ما دخلته إلا مشدودة على ثيابي حياءً من عمر رضي الله عنه.^(١)

بعد وفاة الحبيب

وظلت أمّنا عائشة رضي الله عنها بعد وفاة الحبيب رضي الله عنه - على العهد صائمة قائمة عالمة بالكتاب والسنّة، يأتّها من كل حدب وصوب أهل العلم يقصدون أخذ العلم من نبعه الصافي، فلقد كانت موسوعة نادرة لحديث النبي صلوات الله عليه وسلم فكانت تعلم الجاهل وتهدي الحائر وتُرشد الناس إلى الفضائل ومكارم الأخلاق.

واعشت في ظل الخلافة الإسلامية الراشدة وكانوا جميعاً يعلمون قدرها ومكانتها الغالية السامية... فهي حبيبة الحبيب رضي الله عنه وأم المؤمنين ومنارة العلم التي فاج عبيرها على الكون كله فملأت الدنيا علمًا ودينًا وأدبًا ومعرفة ورها وورعاً.



(١) صحيح: رواه أحمد (٢٠٢٦)، وصححه العلامة الالباني رحمه الله في المشكاك (١٧٧١).

في عهد أبيها

لزمت السيدة عائشة بعد وفاة النبي ﷺ في حجرتها تعزى نفسها بجواره ﷺ، وانشغل الناس وعلى رأسهم أميرهم أبو بكر بحروب الردة، ولما أراد أزواج النبي ﷺ أن يرسلن عثمان إلى أبي بكر ﷺ يسألنه ميراثهن من رسول الله ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها لهن: أوَ لِيْسْ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا نُورْثُ، مَا تَرَكَنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(١).

ولم تكن خلافة الصديق طويلاً الأمد، بعيدة الزمان، فقد اتفقت الروايات أن أبو بكر استكمل في خلافته سن رسول الله ﷺ، فكانت خلافته ستين وثلاثة أشهر وعشرين ليال، وكانت ولادته بعد عام الفيل بستين وأربعة أشهر وأياماً، وتوفي وهو ابن ثلث وستين^(٢).

وقد امتد المرض بأبي بكر خمسة عشر يوماً والناس يعودونه، والسيدة عائشة رضي الله عنها تُشرف على تحريره، وفيما

^(١) رواه أحمد (٢٦٢/٦)، وقال شعب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط

مسلم

^(٢) الشيخ على الطنطاوى فى كتابه أبو بكر

كان المرض يشتد على أبيها كانت تعزى نفسها ببعض الأشعار، فنبهها أبو بكر رضي الله عنه وهو في شدة المرض، كى تستبدل الأشعار بالقرآن الكريم (٣).

وتحددت الأحزان في قلبه يوماً أياماً

وبعد حياة طويلة مليئة بالحب والبذل والتضحية
والمفداء والعدل والإشارات.

نام خليفة رسول الله ﷺ على فراش الموت ليتحقق
بحبيبه وصاحب رسول الله ﷺ في جنة الرحمن جل
وعلا إخواناً على سُرُّ متقابلين :

عن عائشة رضي الله عنها أول ما بُدئَ مرض أبي بكر أنه
اغتسل، وكان يوماً بارداً فَحِمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج
إلى صلاة، وكان يأمر عمر بالصلاه، وكانوا يعودونه
وكان عثمان أَلْزَمَهُ لِهِ فِي مرضه.

وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات
فه قال: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة

(١) أزواج التم (ص: ٢١٣ - ٢١٤)

فابعثوا به إلى الخليفة منْ بعدي فنظرنا فإذا عبدُ تربى كان يحمل صبيانه، وإذا بعيرٌ كان يسوق بيتهما له فبعثنا بهما إلى عمر. فبكى عمر وقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب منْ بعده تعباً شديداً^(١).

ثم قال: يا عائشة: إنه ليس أحدٌ منْ أهلى أحب إلى منك، وقد كنت أعطيتك بيتهما وإن في نفسك منه شيئاً فرديه إلى الميراث.

قالت: نعم فرددته.

وقال ذلك: أما إنما منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا وليسنا من خيشه ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من في المسلمين قليلٌ ولا كثيرٌ إلا هذا العبد الخبشي، وهذا البعير الناضج، وجرد هذه القطيفة، فإذا متْ فابعثي بهن إلى عمر، وابرني منههن ففعلتْ، فلما جاء الرسول (عمر) بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض، ويقول: رحم الله أبي بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله

(١) صفة الصفة (١٠٨ / ١٠٨).

أبا بكر، لقد أتعب مَنْ بعده، رحم الله أبا بكر، لقد
أتعب مَنْ بعده^(١).

واستمر مرض أبي بكر مدة خمسة عشر يوماً حتى كان
يوم الإثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادى
الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة.

قال: أى يوم هذا؟ قالوا: يوم الإثنين، قال: فلن مت
من ليتني فلا تنتظروا بي الغد، فإن أحب الأيام والليالي
إلى أقربها من رسول الله ﷺ^(٢).
وتوفي - رحمه الله - وهو ابن ثلاث وستين سنة.

الفقيهة الربانية

التي حمل عنها ربع الشريعة

* فها هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديقة
بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ، الفقيهة
الربانية، المُبرأة من فوق سبع سموات.

(١) الطبقات (٣/١٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (٨/١)، رقم (٤٥).

حق النبي ﷺ بربه وهي لم تَخْطُّ بعد إلى التاسعة عشرة، على أنها ملائكة أرجاء الأرض علماً، فهى في روایة الحديث نسيج وحدها، ولم يكن بين أصحاب النبي ﷺ من كان أروى منها ومن أبي هريرة رضي الله عنه، على أنها كانت أدق منه وأوثق.

قال الزهرى: «لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل».

وقال عطاء: «كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة».

وعن عروة بن الزبير قال: «ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطبع ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها»^(١).

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً قطّ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً»^(٢).

(١) طبقات ابن سعد (٣٩-٥٦/٧).

(٢) صحيح رواه الترمذى (٣٨٨٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٦١٨٥).

وقال مسروق: «رأيت مشيخة أصحاب محمد عليه السلام يسألونها عن الفرائض»^(١).

لقد كانت رضي الله عنها إحدى المجتهدات وكانت من أنفذ الناس رأياً في أصول الدين ودقائق الكتاب المبين، وكانت رضي الله عنها تحسن أن تقرأ، ولم يكن يعرف ذلك إلا عدد محدود من أصحاب رسول الله عليه السلام، وكم كان لها رضي الله عنها من استدراكات على الصحابة وملاحظات، فإذا علموا بذلك منها رجعوا إلى قولها.

وكانت تزورها النساء في بيتها فتعلمهن، ... وهذه المرأة المخزومية التي قطعت يدها تقول عنها الرواية: «... فكانت تأتي بعد ذلك إلى بيت عائشة تتفقه في دينها»^(٢).

وكانت زوجات رسول الله عليه السلام جمِيعاً قسيمات عائشة رضي الله عنها في إذاعة العلم وإفاضة الدين على المسلمين.



(١) «الإجازة» للزرκشى (ص: ٥٧).

(٢) كتاب موافق من حياة الآباء والصحابة والتابعين / للمنصف (٥٣ - ٥٤٧/١).

بتصريف.

مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وبعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه تولى عمر رضي الله عنه الإمارة فأصبح أمير المؤمنين . . . وعاش المسلمون في عهده في ظل العدل والرحمة وكانوا ينتقلون من نصر إلى نصر . . . وتمر الأيام ويُقتل عمر رضي الله عنه ليموت شهيداً كما أخبره بذلك الصادق الذي لا ينطق عن الهوى عليه السلام .

أتسم دور عائشة رضي الله عنها في عهد عمر بن الخطاب بالجانب العلمي ، فقد بدأت تظهر مكانتها العلمية حتى إن عمر رضي الله عنه وغيره من كبار الصحابة كان إذا أشكل عليهم أمر ، وبخاصة في الشؤون الشخصية للإنسان والتي تحجب حرجاً أحياناً ، كانوا يسألون عنه عائشة رضي الله عنها .

وقد ذُكر أن أزواج النبي عليهم السلام كن يحفظن من حديث النبي كثيراً ، وكانت عائشة رضي الله عنها في عهد عمر وعثمان إلى أن مات رحمهما الله ، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله عليهم السلام ، عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فسألانها عن السن ^(١) .

^(١) الطبقات لأبي سعد (٢) / ٣٧٥.

وفي اللحظات الأخيرة من حياة الفاروق رضي الله عنه قال لابنه: يا عبد الله بن عمر انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإنني لست اليوم للمؤمنين أميراً - وقل: يستأذن عمر ابن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه، فسلم فاستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي . . . فقال: يقرأ عليك عمر ابن الخطاب السلام، ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولا وثره به اليوم على نفسي .

فيما له من إشار يفوق الخيال . . . إنها تؤثره بأعز ما كانت تمتناه . . . فرضى الله عنها وأرضها ^(١).



^(١) صحابيات حول الرسول (ص: ١٦٥).

حضورها يوم الجمل

ولما حدثت الفتنة بين علي و معاوية رضي الله عنهما خرجت أمها عائشة رضي الله عنها ت يريد الإصلاح بين الناس والمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه.

ولم يكن حضور أمها عائشة في يوم الجمل لحرب على ابن أبي طالب كما يقول أعداء الإسلام وإنما كان خروجها من أجل الإصلاح بين المسلمين ومن أجل المطالبة بالقصاص من الذين قتلوا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ولكن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرسل إلى أمها عائشة رضي الله عنها من يقنعها بتأجيل المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان حتى تهدأ الأمور وتستقر الأحوال في البلاد وتموت الفتنة في مهدها... ورضيت أمها عائشة بذلك هي وطلحة والزبير رضي الله عنهما واتفقوا جميعاً على الصلح.

لكن أعداء الله دبروا بالليل مؤامرة جعلت علي بن أبي طالب يظن أن طلحة والزبير قد غدر به وجعلت طلحة والزبير يظنأن أن علي بن أبي طالب قد غدر بهما

فتشبت الحرب بينهم بلا قصد ولا تدبير.
 وحزنت أمها عائشة على هذا حزناً شديداً وأخذت
 تبكي وهي التي ما أرادت إلا الصلح بين المسلمين.
 * وظلت بعد موقعة الجمل عاكفة في بيتها تبكي نادمة
 على خروجها في يوم الجمل حتى آخر لحظة في حياتها
 لأنها لم يخطر على بالها أبداً أن ترى المسلمين يقتل
 بعضهم بعضاً.
 ولم يكن ذلك إلا بسبب الفتنة التي أثارها أعداء
 الإسلام وإلا ف أصحاب النبي ﷺ من أعظم الناس
 أخلاقاً ورحمة ورفقاً وعدلاً، وأبعد الناس عن الظلم
 والجور وحب الدنيا... رضى الله عنهم أجمعين.

وحان وقت الرحيل

وبعد هذه الرحلة الطويلة من العبادة والعلم والبذل والعطاء والتضحية لدين الله (عز وجل) نامت الصديقة الطاهرة المطهرة على فراش الموت بعدما ملأت الدنيا علمًا وفقهاً وزهداً وورغاً . . . فلقد آن الآوان لأمانتها الغالية أن تستريح وأن تبدأ رحلتها مع النعيم المقيم فهى زوجة الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا وفي الآخرة. فهنيئنا لها ثم هنيئاً لها ثم هنيئاً لها.

وفى شهر رمضان من السنة الثامنة والخمسين للهجرة ألمَّ المرض بأم المؤمنين عائشة فَوْلَادُهَا، وكانت وصيتها أن تُدفن بالقبر مع صاحبها أمها المؤمنين وأل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفى ليلة الثلاثاء لسبعين عشرة خلت من شهر رمضان، توفيت أم المؤمنين عائشة وصعدت روحها إلى ربها راضية مرضية.

ولما سمعت أم المؤمنين أم سلمة الصرخة على عائشة

قالت: والله لقد كنت أحب الناس إلى رسول الله عليه السلام
إلا أباها.

ودفنت من ليلتها بعد صلاة الوتر^(١)،
وقدم أبو هريرة رضي الله عنه فصلّى عليها، فاجتمع الناس،
ونزل أهل العوالى، وحضروا جنازتها، فلم تُر ليلة أكثر
ناساً منها^(٢).

* ولا نملك ونحن نوع أمنا الغالية إلا أن تتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَقِّينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾^(٣) في مقعد صدق عند مليك مُقدّر^(٤)
فرضى الله عنها وأرضها وجعل جنة الفردوس
مثواها.



(١) طبقات ابن سعد (٨/٧٦).

(٢) نساء أهل البيت (من: ١٦٦).

(٣) سورة الفرقان: الآيات: (٥٤، ٥٥).

حُفَصَةُ بْنَتُ عَمِّ رَجِيعٍ

حفصة بنت عمر

حبايب الحلوين

وها نحن على موعد مع صفحة جديدة نتعرف من خلالها على أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب . . . تلكم الزهرة التي جمع الله لها من المكارم والفضائل ما يعجز القلم عن وصفه.

* فآبوها هو فاروق الأمة الأكبر عمر بن الخطاب

إنه الرجل الذي كان إسلامه فتحاً وكانت هجرته نصراً وكانت ولايته عدلاً.

إنه الرجل الذي قال عنه النبي ﷺ : «إن الله جعل الحق على قلب ولسان عمر»^(١).

(١) صحيح أحمد (٥٣/٢)، والترمذني (٣٦٨٤) كتاب الثاقب، وصححه العلامة الآلباني رحمة الله في صحيح الجامع (١٧٣٦).

وقال عنه: «لو كان نبيًّا بعدي لكان عمرًا» .

إنه الرجل الذي نزل القرآن أكثر من مرة موافقاً لرأيه.

إنه الرجل الذي بشره النبي ﷺ بالجنة.

إنه الرجل الذي أخبره النبي ﷺ بأن الشيطان يخافه

ويهرب منه.

إنه الرجل الذي حفرت الدموع خطبين أسودين في وجهه من كثرة البكاء.

إنه العابد الزاهد المجاهد.

* وعمها هو زيد بن الخطاب الذي شهد بدرًا والمشاهد - واستشهد في يوم اليمامة - إنه الرجل الذي قال عنه عمر رضي الله عنه: سبقني إلى الحُسينين أسلم قبلى واستشهد قبلى . . . وقال عنه: ما هبَّ الصبا إلا ذكرتني زيد بن الخطاب.

* وأمها زينب بنت مظعون اخت الصحابي الجليل عثمان بن عظعون (الذي لما مات جاء إليه الحبيب ﷺ)

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٦٨٦) كتاب المناقب، وحسنه العلامة الالباني رحمة الله في الصحيحة (٣٢٧).

و قبله و سالت دموعه على خد عثمان^(١) . . . وهو أول من دُفن بالبيع . .

* عمتها هي فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها وهي إحدى السابقات إلى الإسلام هي وزوجها سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة .

* وأخوها هو العابد الزاهد التقى الورع العالم عبد الله بن عمر رضي الله عنه الذي قال عنه الحبيب صلوات الله عليه : «إن عبد الله رجل صالح»^(٢) .

وقالت عنه أمها عائشة رضي الله عنها : ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر^(٣) .

* شهد بدرأ من أهلها سبعة : عمر، وعمها زيد، وزوجها حنيس، وأخوها : عثمان وعبد الله وقدامة بنو مطعمون، والسائل بن عثمان بن مطعمون ابن خالها .

* * *

(١) صحيح رواه الترمذى (٩٨٩) وقال: حديث صحيح . وأحمد (٦ / ٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمة الله فى صحيح الترمذى .

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٣٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٧٩) كتاب فضائل الصحابة .

(٣) سير أعلام النبلاء/ للذهبي (٣ / ٢١١) .

من هنا نبدأ

وإذا أردنا أن نتكلم عن سيرة أمنا حفصة بنت أبي شيبة فلا بد
أن نبدأ من سيرة أبيها عمر بن الخطاب .
فلقد ولد عمر بن الخطاب بعد عام الفيل بثلاث عشرة
سنة .

وكان شجاعاً قوياً يخافه القرىب والبعيد .
وكان يُحكى عنه الحكايات والحكايات عن قوته
وشجاعته وفروسيته وكان يفوز على أقرانه في سباق الخيل
بل كان يفوز عليهم في حلبة المصارعة فلم يكن هناك أحد
يقدر عليه . . . واشتهر بين أهل مكة حتى أصبح حديث
الناس في مجالسه .
لكنه اشتعل بعد ذلك بالتجارة فبدأ يزاول التجارة
ويشتغل بها .

وعمر بن الخطاب من قبيلة عدي بن كعب، وهي
قبيلة عدنانية من قريش .

على أن قبيلة عمر لم تبلغ من المكانة في مكة قبل
الإسلام ما بلغه بنو هاشم وبنو أمية، فلم يكن لها من

مناصب مكية سواء أكانت دينية أو غيرها، ولم تكن ثرية غنية كما كانا (هاشم وأمية) ومع ذلك كانت تنافس بني عبد شمس الشرف، وتحاول أن تبلغ مكانتهم، وظل هذا التنافس متداً عبر الأجيال.

هذا عن قبيلة عمر بن الخطاب والد أمّنا أم المؤمنين حفصة والتي نحن بذكر سيرتها، أما أبوه فهو الخطاب ابن نفيل.

وقد كان الخطاب والد عمر شريفاً في قومه، لكنه لم يكن ذا مال ولا خدم وقد كان بني عدى قبيلة عمر يشعرون بقلة حولهم لقلة عددهم، ولذلك أجلاهم بنو عبد شمس عن منازلهم عند الصفا، فلا عجب أن يسعى الخطاب للنساء طلباً للولد لا طلباً للشهرة، فهو يلتزم كثرة الولد ليحمي نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وكان الخطاب رجلاً ذكياً، موقور الاحترام في قومه، شجاعاً يخوض المعارك على رأس بني عدى في جرأة وثبات.

نشأ عمر في طفولته وصباه نشأة البدية الخشنّة ونشأة

أمثاله من أبناء قريش وقد امتاز على أمثاله من شباب قريش بتعلمه القراءة، فكان من تعلموا القراءة، وهم لاء كانوا قليلين جداً، فلم يكن في قريش كلها حين بُعث النبي ﷺ غير سبعة عشر رجلاً يفرقون ويكتبون. شبّ عمر عن الطرق وأصبح فتى يافعاً، وخرج يرعى لأبيه إبله في ضواحي مكة المكرمة.

تدرج عمر من الصبا إلى الشاب، وبدا عليه مظاهر القوة بين أقرانه، فقد فاقهم (عمر) طولاً وجسامه. وقد أتقن عمر في مطلع شبابه ألوانًا من رياضة البدن، كالصارعة وركوب الخيل والفروسية. وكان ركوب الخيل أحب ألوان الرياضة إليه طول حياته.

وكان له في الحرب مواقف ورثها عن أخواله بنى مخزوم.

ويقدر شغفه وحبه للفرروسية والصارعة وغيرهما من ضروب الرياضة وألوانها، بقدر ذلك أحب عمر الشعر وتذوقه ورواه، فقد كان يسمع الشعراء في سوق عكاظ

وفي غير عكاظ، فيحفظ عنهم ويروى ما يعجبه من شعرهم، وتعرف عمر على أنساب العرب من أبيه الخطاب، فصار من أنساب العرب للعرب، وكان عمر جيد البيان حسن الكلام، مما جعل قريش تختاره سفيراً لها في أكثر سفاراتها إلى غيرها من القبائل، وكان يحكم في المشاحنات والمنافرات كحكم أبيه وقومهبني عدى من قبله.

ولما تَمَّ لعمر شبابه هوت نفسه إلى الزواج، وقد ورث عنبني عدى ميلهم لكترة الزوجات طلباً للولد، فتزوج في حياته تسعة نسوة ولد له اثنى عشر ولداً: ثمانية بنين وأربع بنات.

وقد كان عمر رضي الله عنه من أشد شباب قريش على المسلمين وكان يبالغ في شدته وهو دون الخامسة والعشرين مع معارضيه، فكان يحارب الخارجين على عبادة الأصنام أشد الحرب.



النشاء المباركة

وبعد هذه المقدمة عن تلكم العائلة العمرية التي نشأت فيها أمها حفصة رضي الله عنها فلنا أن نتخيل كيف أنها نشأت نشأة مباركة وعاشت في ظل بيته يندر أن نجد لها مثيلاً، ولدت حفصة رضي الله عنها عندما كانت قريش تجدد بناء الكعبة وذلك قبل بعثة النبي صلوات الله عليه وسلم بخمس سنين . . . وكان ذلك عندما حسم النبي صلوات الله عليه وسلم الخلاف بينهم على وضع الحجر الأسود مكانه، وذلك بحكمته ورأيه السديد وبصيرته الثاقبة صلوات الله عليه وسلم . ولقد كانت حفصة رضي الله عنها تحب العلم والأدب فتعلمت الكتابة من الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية، وظلت تطلب العلم حتى أصبحت إحدى فصيحات النساء في قريش ^(١).



^(١) محاديات حول الرسول (ص: ١٧١)

شمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة

وفي وسط الجاهلية العميماء التي كانت تعيشها قريش
وغيرها من قبائل العرب شاء الله أن يبعث النبي صلوات الله عليه وسلم
ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.
وبعث النبي صلوات الله عليه وسلم وأخذ يدعو قومه إلى الإسلام
فعادوه أشد العداء وأذوه إيذاء شديداً هو وأصحابه . . .
فصرت النبي صلوات الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين واحتسبوا كل
هذا عند الله (جل وعلا).

إسلام حمزة بن عبد المطلب

وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

وفي وسط هذا الظلم والإيذاء الشديد للنبي صلوات الله عليه وسلم
وأصحابه حدث ما لم يتوقعه المشركون فلقد أسلم حمزة
بن عبد المطلب الذي كان الناس يعملون له ألف حساب
بسبب قوته وشجاعته.

وأسلم عدد آخر من الرجال على رأسهم: عمرو بن عبسة
وضماد الأزدي وأبو ذر الغفارى.

ولكن الفضيحة القاصية لظهور المشركين بعد إسلام حمزة
هي إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
فقد أسلم عمر بعد إسلام حمزة بأيام وذهب إلى دار
الأرقام وأسلم بين يدي النبي ﷺ .
ولكن كيف كانت قصة إسلامه؟ فتعالوا بنا لنعرف
قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قصة إسلام عمر رضي الله عنه

لقد كان عمر رضي الله عنه شديداً في الجاهلية... وما بعث
النبي ﷺ وأمن معه عدد قليل من الناس كان عمر
يؤذيهم ويعذبهم عذاباً شديداً حتى أنه كان يُعذب بعض
الجواري ثم يتراكمون ويقول لهم: أنا ما تركتكم رحمة
بكـن ولكن لأنـي مللت منـكـن .
وكان يشرب الخمر كثيراً.

وفي يوم من الأيام لقى عمر امرأة تسمى (أم عبد الله
بنت أبي حثمة) وكانت قد عزمت على أن ترحل هي
وزوجها (عامر) إلى بلاد الحبشة فراراً من تعذيب

قريش . . . فقال لها عمر : إلى أين يا أم عبد الله ؟
قالت : نخرج في أرض الله فقد آذيتمنا وفهمنا
حتى يجعل الله لنا فرجاً .

قال عمر : صحبكم الله يا أم عبد الله .
فلما عاد زوجها عامر قالت له : لقد لقيت عمر وقال لي
كذا ورأيته يتكلم برقة شديدة .
قال زوجها عامر : أظنين أن عمر سُلِّمَ !!!؟
والله لو أسلم حمار الخطاب ما أسلم عمر بن الخطاب .
هكذا كان الناس جمِيعاً في يأسٍ شديد من إسلام
عمر لكن الله إذا أراد شيئاً هيا له أسبابه .

* ففي يوم من الأيام خرج عمر بن الخطاب إلى حانة
من حانات الخمر يشرب الخمر فلم يجد صاحب الحانة
فقال في نفسه : لو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعة
أشواط . . . فلما ذهب إلى الكعبة وجد النبي ﷺ قائماً
يصلِّي فقال عمر : إنها فرصة عظيمة أن أستمع إلى
محمد لا أعرف ماذا يقول . . .

قال: فأردت أن أقترب منه ولكن أريد إلا يراني حتى لا يفزع مني.

قال: فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثياب الكعبة حتى لا يراني . وجعلت أمضى رويداً رويداً حتى أصبحت أمامه لكنه لا يراني لأنني كنت خلف أستار الكعبة.

قال: فلما سمعت القرآن تعجبت من حلاوه فتأثرت به ثم قلت في نفسي إنه لقول شاعر . . . فسمعت النبي يقرأ ويقول : «إِنَّمَا يَقُولُ رَسُولُ كَرِيمٍ (١) وَمَا هُوَ بِقُولٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تَرْمِنُونَ» (٢).

فقال عمر: إنه كاهن (٣).

فقرأ النبي ﷺ : «وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ» (٤).
وظل عمر واقفاً في مكانه حتى انتهى النبي ﷺ من صلاته ثم انصرف.

* وبدأ عمر يعيش صراعاً مع نفسه: هل يظل على شركه ليعيش آمناً مطمئناً بين قومه وعشائره الذين

(١) سورة الحاقة: الآيات: (٤١-٤).

(٢) الكاهن: هو الذي يدعى معرفة الغيب ويقوم بخدمة المعبود

يحاربون كل من أسلم أم يُسلم ويعادى قومه وعشائره
وبخاصة وأن له مكانة كبيرة في قريش فهو سفير
قريش.

ومن أجل ذلك تأخر إسلام (عمر) قليلاً . . . لكن
الله هيأ له الأسباب التي جعلت قلبه ينشرح للإسلام.

فقد كان النبي ﷺ يدعو في ذلك الوقت ويقول: «اللهم
أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن
هشام، أو بعمر بن الخطاب»^(١).

ففى يوم من الأيام علم عمر أن النبي ﷺ وبعض
 أصحابه قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا فأخذ سيفه ي يريد
قتل النبي ﷺ فلقبه رجل من بنى زهرة - وهم أخوال
النبي ﷺ - .

فقال له: إلى أين يا عمر؟

قال: إلى محمد لاقته فقد فرق أمر قريش وعاب
ديتها وسبّ أهتها.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨١) كتاب النافع وصححه العلامة الالباني فى
صحى سنن الترمذى (٢٩٠٧).

فقال له الرجل: وهل تظن أن يبني هاشم ويبني عبد مناف سيترکوك تمشي على الأرض بعدها دون أن يقتلوك بعد أن قتلت محمدًا؟

فقال له عمر: يبدو أنك قد صبأت وتركـت دين قومك واتبعت محمدًا.

قال الرجل: ألا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ .

قال عمر: وأى أهل بيـت؟

قال الرجل: لقد أسلـمت أختك فاطمة بـنت الخطـاب وزوجـها سعيد بن زيد واتـبعـا مـحمدـاً عـلـى دـيـنـه.

فرجـعـ عمرـ وذهبـ إـلـىـ أـخـتهـ فـاطـمـةـ وـزـوـجـهـ سـعـيدـ اـبـنـ زـيدـ رضي الله عنهـ وـكـانـ خـبـابـ بنـ الـأـرـتـ رضي الله عنهـ يـجـلـسـ مـعـهـماـ يـعـلـمـهـماـ الـقـرـآنـ وـكـانـ مـعـهـ صـحـيقـةـ مـكـتـوبـ فـيـهاـ سـوـرـةـ (طـهـ).

فـلـمـاـ اـقـتـرـبـ عمرـ مـنـ بـيـتـ أـخـتهـ سـمـعـ صـوتـ رـجـلـ يـعـلـمـهـاـ الـقـرـآنـ فـلـمـاـ دـخـلـ أـخـتـاـ خـبـابـ فـيـ مـكـانـ مـنـ الـبـيـتـ .

فـقـالـ عمرـ لـأـخـتهـ: ماـ هـذـاـ الصـوتـ الـذـىـ سـمـعـهـ؟

قالت: ما سمعنا شيئاً.

قال لها عمر: لقد سمعت أنكم اتبعتما محمداً على دينه.

قال له سعيد: أما آن الأوان يا عمر لأن تسلم لله وتقديع الأصنام التي يعبدها قومك.

فقام عمر وضربه ضرباً شديداً حتى طرحته أرضاً فقامت فاطمة لتدافع عن زوجها فضربها عمر حتى سالت الدماء من وجهها.

قالت له: نعم لقد أسلمنا لله... أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله... فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر الدماء تسيل من وجه اخته رقَّ قلبها لها رقة شديدة وقال لاخته: أعطيني هذه الصحيفة التي بيده.

قالت له: إنني أخشى أن تمزقها.

فحلف لها عمر أن لن يمسهاسوء.

قالت له: إنك مشرِّكٌ تجس وهذه الصحيفة لا يمسها إلا المطهرون فقم واغسل.

فقام عمر فاغسل ثم عاد إليها وأخذ منها الصحيفة وبدأ يقرأ فيها «(طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتُشْقِنِي)» حتى وصل إلى قوله تعالى: «إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَاقْمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» (٢).

فاحسّ عمر بروعة القرآن وعظمته فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج من مخبئه وقال له: أبشر يا عمر فقد سمعت رسول الله يدعوه فيقول: «اللهم أعز الإسلام بأحد العمران عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام» وإنى لأرجو الله أن تكون أنت يا عمر.

قال عمر لخباب: يا خباب دلني على محمد حتى آتاه فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت الصفا، معه فيه نفر من أصحابه فأخذ عمر سيفه ثم ذهب إلى رسول الله عليه السلام وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجلٌ من أصحاب رسول الله عليه السلام فنظر من فتحة الباب، فرأه متتوشحاً السيف، فرجع إلى رسول الله

(١) سورة طه، الآيات: (١٤-١).

وهو فزع، فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متواشحاً بالسيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرًا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «اذن له»، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بردائه، ثم جذبه جذبة شديدة وقال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب؟، فو الله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة»؛ فقال عمر: يا رسول الله، جتنك لا ومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، قال. فكبّر رسول الله ﷺ تكبيراً، عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم.
وأصر على أن يخرجوا جميعاً أمام المشركين ليعرفوا أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء.

● وخرج المسلمون لأول مرة يجهرون بكلمة التوحيد أمام المشركين في صفين.. على رأس الصف الأول عمر ابن الخطاب.. وعلى رأس الصف الثاني حمزة بن عبد

المطلب . فعرف المشركون أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء -
بفضل الله جل وعلا - .

إن إسلام (عمر) كان فتحاً

ولقد كان إسلامه سبباً عظيماً في ظهور الإسلام
وقوته ، وذلك لما كان يتميز به من القوة والشجاعة فكان لا
يخاف في الله لومة لائم .

﴿ قال ابن مسعود رضي الله عنه : ما زلت أعزّةً منذ أسلمتُ عمرًا ﴾ (١)

وقال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن
هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما
نصلّى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشاً
حتى صلّى عند الكعبة ، وصلّينا معه .

وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب
رسول الله ﷺ إلى الحبشة .



(١) صحيح : رواه البخاري (٣٦٨٤) كتاب المناقب .

نعمة الإسلام

وبعدما أسلم عمر وأعلن التوحيد لله جل وعلا أصبح إنساناً آخر فلقد غيره الإيمان والإسلام فبعد أن كان حريصاً كل الحرص على أن يقتل النبي عليه السلام أصبح يتمنى أن يفدي النبي عليه السلام بنفسه وماليه وأولاده.

وبعد أن كان يعبد المسلمين أصبح رقيق القلب رحيمًا بكل من حوله حتى أنها ستراه قريباً بعد أن أصبح أميراً للمؤمنين يجلس بجوار العمير المريض وي بكى ويقول: والله ما أدرى ما بك وإنني لأخشى أن يسألني الله عنك يوم القيمة.

وبعد أن كان يصد الناس عن الإسلام أصبح يتمنى أن يُسلم الكون كله لله جل وعلا.

عاش عمر رضي الله عنه في صحبة النبي عليه السلام يتعلم منه ويتربي بين يديه ويقديه بنفسه ويدافع عنه ويبذل كل ما يستطيع لخدمة هذا الدين العظيم.



زواجها من خنساء خوش

وهكذا نشأت حفصة ظلها في بيت أبيها الذي كان مُقرّباً من رسول الله ﷺ . . . فنشأت نشأة إيمانية مباركة.

ولما اكتملت أنوثتها ظلها تقدم لها أحد السابقين إلى الإسلام (خنيس بن حذافة) وهو أخو (عبد الله بن حذافة) ظلها فتزوجها خنيس وعاشت معه في سعادة غامرة في ظل الإيمان والطاعة.

وكان خنيس قد أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم وكان إسلامه على يدي أبي بكر الصديق ظلها.

فصرعوا إلى الله

واشتد إيداء المشركين لاصحاح الحبيب ظلها فأشار النبي ﷺ على أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة فكان خنيس من هاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة فلما رأى أن

الإيذاء والتعذيب يزداد يوماً بعد يوم أخذ زوجه حفصة وهاجر إلى يثرب (المدينة المنورة) بعدما أذن الحبيب عليه السلام ل أصحابه بالهجرة إلى المدينة. وهناك عاش الزوجان في رحاب الأنصار وازدادت سعادتهما بهجرة النبي عليه السلام إلى المدينة - الذي لما دخل المدينة أضاء منها كل شيء - وما أجملها والله من حياة مع الحبيب عليه السلام .

فراق مؤلم

ولما كانت غزوة بدر التي كتب الله فيها النصر والعزة للمسلمين ... كان خنيس عليه من إبطال تلك الغزوة فقد كان يشتهى ويتمنى الشهادة من أعماق قلبه فلما شارك في تلك الغزوة أصيب بجراحات كثيرة في جسده ومع ذلك ظل يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلة . ولما انتهت غزوة بدر عاد خنيس إلى المدينة متاثراً بجراحه .

ومات هذا الصاحب الجليل الذي بذل نفسه لله - جل وعلا - وفارق بأعظم منقبة فقد صلّى عليه الحبيب عليه السلام

ودفنه بالبقاء إلى جانب قبر الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

وهكذا كان الفراق المؤلم... وهكذا ترملت حفصة زوجها وهي في سن مبكرة وحزنت لموته حزنًا كاد أن يمزق قلبها، لكنها كانت في قمة سعادتها لأنها ماتت ميتة كريمة وسوف تشهد له جراحه التي كانت كلها في سبيل الله -
جل وعلا -.

هكذا أصبحت أمًا للمؤمنين

وتالم عمر لابته الشابة التي ترملت في الثامنة عشرة من عمرها.

وأوجعه أن يلمح الترمل يغتال شبابها، ويختص حيويتها، ويختنق صباها، وبدأ يشعر بانقباض أليم كلما دخل بيته، ورأى ابنته في حزنها، فبدأ له - بعد تفكير طويل - أن يختار لها زوجاً، قد تأنس إلى

صحيحة (١)

(١) صور من سير الصحابيات (ص: ١١٣).

فعرضها أبوها على أبي بكر، فلم يُجبه بشيء؛
وعرضها على عثمان، فقال: بدا لي ألا أتزوج اليوم
فحزن منها وانكسر قلبه وشكى حاله إلى النبي عليه السلام.
فقال: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان؟ ويتزوج عثمان
من هي خير من حفصة» فتزوج النبي عليه السلام حفصة،
وزوج رسول الله عليه السلام عثمان بابته أم كلثوم بعد
وفاة أختها رقية.

ولما أن زوجها عمر، لقيه أبو بكر، فاعتذر، وقال: لا
تخزن مني فإن رسول الله عليه السلام، كان قد ذكر حفصة؛
فلم أكن لأفشي سره، ولو تركها لتزوجتها ^(١).
وتزوج رسول الله عليه السلام حفصة سنة ثلاثة من
الهجرة قبل غزوة أحد وأصدقها أربعين درهم، وكان
ذلك أعظم إكرام ومنه وإحسان لحفصة وأبيها ^{رضي الله عنهما}.



^(١) صحيح: رواه البخاري (٤٠٥) كتاب المغازي، بتحريفه.

مكانتها العالية

وكانت حفصة ؓ تختل مكانة عالية في قلب النبي ﷺ بل وكانت متزلفها بين أزواجه أيضاً عاليه. حتى كانت أمها عائشة ؓ تقول عنها: هي التي كانت تسامي بي من أزواج النبي ﷺ (١).

غير أن حياة أزواجه الطاهرات ؓ لم تخلُ من بعض المشاعر البشرية التي تعترفيها الغيرة أو التنافس أو ما شابه ذلك، ولذا فقد كان النبي الحبيب ﷺ يعالج أمره بالتربيه الإلهية في بيته مع زوجاته ومع أصحابه وأمه، ويأخذ بيد الجميع إلى جادة الصواب (٢).



(١) السير / للذهبي (٢٢٧ / ٢).

(٢) نساء مبشرات بالجنة (ص: ٣٣٠).

تسابق إلى مرضاة الحبيب صلوات الله عليه

ولقد عاشت حفصة رضي الله عنها مع الحبيب صلوات الله عليه أجمل أيام عمرها فكانت كل يوم تزداد علماً وفقهاً وطاعة لله - جل وعلا - ... ولمَ لا؟ وهي التي تنهل من النبع والمعين الصافي.

ولقد كانت تتسابق مع أزواج النبي صلوات الله عليه إلى مرضاة رسول الله صلوات الله عليه فكانت لا تدخر جهداً في إدخال السعادة والسرور عليه صلوات الله عليه فكانت كل لحظة تمر عليها وهي بجوار النبي صلوات الله عليه تجعلها تقترب من الله أكثر وأكثر ، فلقد تعلمت من الحبيب صلوات الله عليه كل طاعة تقربها من الله عز وجل.

وهكذا تكون الحياة الزوجية التي تجعل السعادة ترفرف على البيت.



إنها زوجة النبي ﷺ في الجنة

وفي يوم من الأيام طلق الحبيب ﷺ حفصة بنت أم كلثوم
فانكسر قلبها وأظلمت الدنيا كلها في عينيها وهي لا
تصدق أن زوجها وحبيبها ﷺ قد طلقها...
وإذا بالأمين جبريل - عليه السلام - يتزل بأمر من الملك
- جل جلاله - يشق السموات السبع ليأمر الحبيب ﷺ
بأن يراجعها ويردها مرة أخرى.

فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ ، طلق حفصة
تطليقة، ثم راجعها بأمر جبريل - عليه السلام - له
 بذلك، وقال: «إنها صوامة، قوامة، وهي زوجتك في
الجنة» (١)

وبالها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما
فيها... فهذا هو قدر أمنا حفصة بنت أم كلثوم عند الله عز وجل.



(١) صحيح رواه أبو داود (٢٢٨٣) كتاب الطلاق، والنسائي (٣٥٦٠) كتاب
الطلاق، وابن ماجه (٢٠١٦) كتاب الطلاق، وصححه العلامة الإبانى رحمة
الله فى الصحيح (٢٠٧).

علمها وفقها

عُرِفت أمّا حفصة بنت عمر^{رضي الله عنها} بالعلم والفقه والتقوى، وهذه الصفات أحلى ماحلأ كريماً لدى رسول الله الكريم عليه السلام، وظلت تحفظ بالمكانة نفسها في عهد الخلافة الراشدة وخصوصاً في خلافة والدها، فكثيراً ما كان يركن إلى آرائها وأحكامها الفقهية، وكانت أم المؤمنين حفصة بنت عمر^{رضي الله عنها} مرجعاً لكثير من الصحابة في مجال الحديث النبوي الشريف والعبادة، وقد كان أخوها عبد الله بن عمر المقتدى برسول الله عليه السلام يتلقى عنها ما رأته في بيت رسول الله عليه السلام.

أضيف إلى ذلك أن سيدنا أبي بكر الصديق قد اختار أم المؤمنين حفصة من بين زوجات النبي عليه السلام لتكون حافظة القرآن الذي جمعه، . . . ولعل اختيار سيدنا أبي بكر لها لتلك الصفات التي اجتمعت فيها من التقوى والعلم ناهيك أنها كانت تتقن القراءة في عهدها، فقد كان قليلاً من الرجال من يعرف القراءة والكتابة فكيف بالنساء؟

لذا فقد كانت أم المؤمنين حفصة التلميذة النبوية النجية
التي نقلت كثيراً من الأحكام النبوية إلى الناس^(١).

وفاة الحبيب عليه السلام

وطلت حفصة رضي الله عنها مثلاً للزوجة الوفية الصادقة التي
لا تدخر جهداً في إسعاد زوجها عليه السلام.
وما زالت السعادة تخيم على هذا البيت المبارك إلى أن
 جاء اليوم الذي أظلم فيه الكون كله لما توفي الحبيب
عليه السلام فاعتصر قلبها من الحزن على وفاة النبي عليه السلام
الذي كان زوجها وحبيها عليه السلام.
وطلت رضي الله عنها بعد وفاة الحبيب عليه السلام على عهدها
عابدة لله - جل وعلا - حتى كانت يشهد لها القريب
والبعيد بفضلها في الصلاة والعبادة.



(١) تاء مبشرات بالجنة (ص: ٣٣٦).

الفاروق يتولى الخلافة

ولما تولى الفاروق رضي الله عنه خلافة المسلمين لم تتغير
حفصة رضي الله عنها بل ظلت تعيش حياة الزهد والتقصيف تقرب
إلى الله تعالى يوماً بعد يوم بكثرة الصيام والقيام لأنها
تعلم يقيناً أنه لا ينفعها سلطان والدها وإنما ينفعها عملها
الصالح الذي تقف به بين يدي الله عز وجل .

مقتل الفاروق رضي الله عنه

وكانت حفصة رضي الله عنها تشهد أمجاد أبيها وتأثيره وزهره
وورعه وعدله وفتواهاته إلى أن جاء اليوم الذي قُتل فيه
بطعنات غادرة من ختاجر أبي لؤلؤة المجرسي - عليه من
الله ما يستحقه - ونام الفاروق في اللحظات الأخيرة من
عمره المليء بالبذل والعطاء والتضحية والفداء فدخلت
عليه ابنته حفصة رضي الله عنها وبكت ساعة ملوته ثم خرجت وهي
تحتبب أباها عند الله عز وجل .



حملت أمانة القرآن على أعناقها

لقد حملت أمّنا حفصة زوجها أمانة القرآن على أعناقها فهى التي اختارها أبو بكر رضي الله عنه ليحفظ عندها القرآن الذى جمعه زيد بن ثابت . . وظلت الصحف التى جمع فيها القرآن عندها إلى عهد عثمان رضي الله عنه حتى جمعها فى مصحف واحد.

وها هي قصة جمع القرآن

جهَرَ أبو بكر رضي الله عنه جيشًا بقيادة خالد بن الوليد فى جمع كثير من الصحابة لمحاربة (مسيلمة الكذاب) - عليه من الله ما يستحقه -، فحاربواه أشد محاربة إلى أن خذله الله، وقتلته . . . وُقُتل في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة من حملة القرآن، قيل: سبعمائة، وقيل: أكثر وذلك في موقعة اليمامة، فبدأ التفكير في جمع القرآن قبل أن يُقتل الباقون.

ولنستمع القصة من كاتب وحي رسول الله صلوات الله عليه وسلم زيد ابن ثابت رضي الله عنه.

يقول زيد: أرسل إلى أبو بكر الصديق عقب مقتل
أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر
الصديق رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد كثُر يوم
اليمامة بقراء القرآن، وإنني أخشى أن كثُر القتل بالقراء
بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنني أرى أن تأمر
بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله
صلوات الله عليه وسلم؟

قال عمر: هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك،
ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا
تهmek ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلوات الله عليه وسلم ،
فتتبع القرآن فاجمعه.

قال زيد: فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان
أنقل على ما أمرنى به من جمع القرآن . . .

قال: فتسبعت القرآن أجمعه من الحجارة وجريدة

النخل وصدر الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري، لم أجدها مع أحد غيره: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنكم»^(١) حتى خاتمة السورة.

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته - أي طوال حياته - ثم عند حفصة بنت عمر^(٢).

وفي عهد عثمان^{رض} أرسل إليها ليأخذ الصحف من عندها ليجمع القرآن في مصحف واحد.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسل إلىنا

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٢) سمع: رواه البخاري رقم (٤٩٨٦) كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن، والترمذى في التفسير، والسائل (٥ / ٢٩٣) كتاب المناقب.

بالصحف نسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق^(١).



(١) صحيح رواه البخاري (٤٩٨٦) كتاب فضائل القرآن.

وحان وقت الرحيل

في سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية، شعرت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها بقرب اللقاء مع الله عز وجل ومع الأحبة، ولم تمض بضعة أيام من شهر شعبان من تلك السنة حتى لحقت بالرفيق الأعلى^(١).

وطار الخبر في أرجاء المدينة أن توفيت حارسة القرآن زوج النبي صلوات الله عليه وسلم، وأقبل الصحابة الكرام لتشييع جنازتها وفي مقدمتهم سيدنا أبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما، وصلى عليها والي المدينة آنذاك مروان ابن الحكم، ودُفنت في القيع، وتزل في قبرها إخوها عبد الله وعااصم، وسالم وعبد الله وحمزة بنو أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهم جميعاً . . . وكان عمرها عندما توفيت ثلاثة وستين سنة رضي الله عنها، وكانت قد أوصت إلى أخيها عبد الله بماله وصدقة.

وهكذا رحلت أمنا حفصة رضي الله عنها بعد حياة طويلة مليئة بالعبادة والبذل والتضحية والفداء . . . رحلت لتلتحق

^(١) حفة الصفرة (٤٠) والطبقات (٨/٨٦).

بزوجها وحبيبها ونبيها محمد ﷺ في جنة الرحمن... نعم فهى التى قال عنها جبريل - عليه السلام - للنبي ﷺ : «إنها صوامة قوامة وهى زوجتك في الجنة»^(١).

فرضى الله عنها وأرضاها وجعلها فى صحبة الحبيب ﷺ فى جنته ومستقر رحمته إنه ولى ذلك والقادر عليه^(٢).



(١) صحيح : وقد ثقلم.

(٢) صحابيات حول الرسول (١٧٤ - ١٨٤) بتصرف.

زینب بنت خزیمه رضي الله عنها

زینب بنت خزیمہ رض

حبابی الحلوین:

وها نحن نفتح صفحة جديدة نتعرف من خلالها على
أم فاضلة من أمهات المؤمنين .

ها نحن نُحلق في سماء تلکم الزهرة النقيۃ التقیۃ التي
لم تكن أمًا للمؤمنین فحسب بل كانت أمًا للمساكین . . .
إنها الكريمة التي حُبِّبَ إليها الجود والإنساق فكانت لا
يأتیها درهم ولا دینار إلا أنفقته على الفقراء والمساكین
حتى لُقبت بأم المساكین .

فتعالوا بنا لنفتح تلك الصفحة المباركة التي نتعرف من
خلالها: على أمنا الحبیبة زینب بنت خزیمہ رض.



هكذا كانت بدايتها المباركة

لقد ولدت أمينا الحبيبة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها في مكة قبل بعثة النبي صلوات الله عليه وسلم بثلاثة عشر سنة تقريباً.

وكانَت طيبة رقيقة القلب تحب الخير لكل الناس من حولها... ولذا كانت رحيمـة بالفقراء واليتامـى والمساكين.

وكانت ترى أحوال الناس في الجاهلية فتبكي مما تراه من جاهلية بغيضة وسوء في الأخلاق والمعاملات...

وكانت تتمـنى أن يرسل الله من يُنقذ البشرية من هذا الضلال.

وما هو إلا فترة يسيرة حتى سمعت ببعثة النبي صلوات الله عليه وسلم ففرحت أشد الفرح وكانت في ذلك الوقت صغيرة في السن لكنها كانت تسمع الناس يقولون عن النبي صلوات الله عليه وسلم قبل البعثة أنه الصادق الأمين.

ومن أجل ذلك لم تتردد لحظة واحدة في أن تكون من السابقات إلى الدخول في الإسلام فكانت من قال الله تعالى فيهم: فَوَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَدْ لَهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(١).

فعاشت في رحاب الإسلام من مهده ورأت كيف كان المسلمين يضحون بكل شيء من أجل أن يظفروا بنعمة التوحيد فازدادت ثباتاً واستمساكاً بدينها فكانت صائمة قائمة عابدة لله جل وعلا لا تفتر لحظة عن ذكر الله ولا عن الإنفاق على الفقراء والمساكين حتى لقيت بأم المساكين . . . وهي أخت أم المؤمنين ميمونة لأمها.

زواجها قبل أن تدخل بيت النبي ﷺ

وكانت أمينا الغالية زينب بنت خزيمة زوجة للصحابي الجليل عبد الله بن جحش رضي الله عنه قبل أن تكون زوجة للنبي ﷺ وأمّا للمؤمنين .

تزوجها عبد الله بن جحش الذي كان ابن عمّة رسول الله ﷺ وفي الوقت ذاته فهو صهر رسول الله ﷺ وذلك لأن النبي ﷺ تزوج أخته زينب بنت جحش رضي الله عنها التي أمر الله نبيه ﷺ بزواجها من فوق سبع سماوات.

^(١) سورة التوبة، الآية: (١٠).

ومرت الأيام وكانت زينب بنت خزيمة تعيش في سعادة وهناء مع زوجها عبد الله بن جحش لكن الأيام الجميلة تمر سريعاً فقد حان وقت غزوة أحد ودخل عبد الله بن جحش ليجاهد في سبيل الله جل وعلا فلقه سعد بن أبي وقاص خواصه.

قال له عبد الله: يا سعد هيا بنا ندعوا عسى الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله.

فقام سعد بن أبي وقاص يدعوا الله أن يرزقه الشهادة ثم قام عبد الله بن جحش وسأل الله أن يرزقه الشهادة على يد رجل قوي شديد لا يكتفى بقتله فحسب... بل يقطع أنفه وأذنه فيكون ذلك كله في سبيل الله.

ودارت رحى الحرب وسارع عبد الله بن جحش إلى المعركة خلف حاله حمزة بن عبد المطلب يصلو ويحول، ويقاتل الأعداء بشدة وباس، وهو عازم على الشهادة... وكادت قريش أن تنهزم لو لا أن غادر الرماة مواقعهم في الجبل هابطين إلى الميدان ليجمعوا الأموال والأسلاب، وهناك تغير وجه المعركة، فاستشهد عدد كبير من

ال المسلمين ، وفي هذه الآثناء كان عبد الله يضرب بسيفه كل من يقابلة من المشركين حتى لقيه أبو الحكم بن الأختن بن شريق فصوب إلى عبد الله ضربة قاضية . فسقط شهيداً بدمائه الزكية العاشرة .

وَمَرَّ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فَوَجَدَهُ مَقْتُولًا وَقَدْ قُطِعَتْ أَنفُهُ وَأَذْنَاهُ كَمَا تَمَنَّى فَقَالَ عَنْهُ سَعْدٌ: صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ اللَّهُ .

وَلَا انتَهَتْ غَزْوَةُ أَحَدٍ وَقَفَ الْحَبِيبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ فَحَزَنَ عَلَيْهِ حَزْنًا شَدِيدًا . وَأَمْرَ بَدْفَنَهُ مَعَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ .

وَهَكُذا أَصْبَحَتْ أَمَّا لِلْمُؤْمِنِينَ

وَلَا اسْتَشْهِدْ رِوْجَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - مَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ احْتَسِبَتْهُ عَنْدَ اللَّهِ وَرَضِيتْ بِقَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهِيَ صَاحِبَةُ الْقَلْبِ الَّذِي امْتَلَأَ إِيمَانًا وَتُوْكِلَّا وَيُقْبَلَنَا وَنُقْتَهَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

لَقَدْ كَانَتْ تَشْعُرُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهَا بِأَنَّ اللَّهَ سَيَعْوَضُهَا

خيراً وسيرزقها زوجاً هو خير من زوجها الأول ولكن يا
ترى من هو هذا الزوج الكريم؟! .

إنها لم يخطر ببالها لحظة واحدة أنها ستكون زوجة
لسيد الأولين والآخرين عليهما السلام ولكن الله إذا أراد شيئاً
فإنما يقول له: كُن فيكون... فما إن انقضت عدتها وإذا
برسول الله عليهما السلام يتقدم خطبتها وإذا بها تتساءل مع
نفسها: يا ترى من الرجل الذي يتولى أمر زواجي؟ وما
هي إلا لحظات حتى قالت في نفسها: وهل هناك خيراً من
رسول الله عليهما السلام فجعلت أمرها إليه فالرسول عليهما السلام هو
خير من يتولى أمرها ويرعى شأنها.

ولقد أصدقها رسول الله عليهما السلام أربعمائة درهم وبنى
لها حجرة متواضعة بجوار حجرة عائشة بنت أبي بكر
وحفصة بنت عمر رضي الله عنهم جمبيعاً.

وهكذا أصبحت زينب بنت خزيمة أمّا للمؤمنين وزوجة لسيد
الأولين والآخرين محمد بن عبد الله عليهما السلام .



هكذا ازدادت رأفة ورحمة بالمساكين

ولقد كانت أمّنا زينب رضي الله عنها رحيمـة بالمساكين حتى قبل
البعثة فلما أسلـمت ازدادت رحـمة ورأـفة بهـم . . . ولـما
أصـبحـت زوجـة للـحـبـيب صلـوة الله علـيـهـ وعلـمـهـ ازـدادـت رأـفة وـرـحـمة
بـالـمـسـاكـين فـلـقـدـ كـانـتـ تـرـىـ فـىـ كـلـ لـخـطـةـ يـنـابـيعـ الرـحـمةـ
تـسـدـقـ منـ قـلـبـ الـحـبـيب صلـوة الله علـيـهـ وعلـمـهـ بلـ كـانـتـ تـرـىـ إـحـسانـهـ
وـعـطـفـهـ عـلـىـ فـقـرـاءـ الـمـؤـمـنـينـ وـكـانـتـ تـسـمـعـ النـبـيـ صلـوة الله علـيـهـ وعلـمـهـ وـهـوـ
يـحـضـرـ الـمـسـلـمـينـ عـلـىـ الـإـنـفـاقـ عـلـىـ الـفـقـرـاءـ وـالـمـسـاكـينـ
وـيـرـتفـعـ بـقـلـوبـهـمـ وـأـرـواـحـهـمـ إـلـىـ درـجـةـ الإـيـثـارـ .

فـلـقـدـ كـانـتـ تـسـمـعـ النـبـيـ صلـوة الله علـيـهـ وعلـمـهـ وـهـوـ يـقـولـ: «ـاـمـاـ مـنـ يـوـمـ
يـصـبـحـ الـعـبـادـ فـيـهـ إـلـاـ مـلـكـانـ يـنـزـلـانـ، فـيـقـولـ أـحـدـهـمـاـ: الـلـهـمـ
أـعـطـ مـنـفـقـاـ خـلـفـاـ، وـيـقـولـ الـآـخـرـ: الـلـهـمـ أـعـطـ مـمـسـكـاـ تـلـفـاـ» ^(١).
وـكـانـتـ تـسـمـعـ يـقـولـ: «ـاصـنـاعـ الـمـعـرـفـ تـقـىـ مـصـارـعـ
الـسـوءـ وـالـآـفـاتـ وـالـهـلـكـاتـ، وـأـهـلـ الـمـعـرـفـ فـيـ الدـنـيـاـ هـمـ أـهـلـ
الـمـعـرـفـ فـيـ الـآـخـرـةـ» ^(٢).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/٢١٣)، وصححه العلامة الآلباني رحمة الله تعالى
صحيح الجامع (٣٧٩٥).

وكانت تسمعه وهو يقول: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تدخله على مسلم، أو نكشف عنه كُربة، أو تقضى عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة، أحب إلى من أن اعتكف في المسجد شهراً، ومن كفَ غضبه، ستر الله عورته، ومن كفَ غضبه ولو شاء أن يُمضي أمضاه؛ ملأ الله قلبه رضاً يوم القيمة، ومن مشي مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزلُّ الأقدام، وإن سُوء الخلق لفسد العمل، كما يُفسد الخل العسل» ^(١).

فكانت تسمع هذا الكلام المبارك فتسمو نفسها ويتطلع قلبها إلى النعيم الدائم في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فكانت لا تدخر درهماً ولا ديناراً... فهي التي كانت تُسمى في الجاهلية «أم المساكين» فكيف بحالها وقد أصبحت أمًا للمؤمنين.

^(١) حسن أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب فضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦)، وحده العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٧٦).

جعلت وقتها كله لله - جل وعلا -

كانت السيدتان النبيلتان عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر رضي الله عنهما، أسبق من زينب أم المساكين إلى دخول البيت النبوى الظاهر الكريم؛ وكان لهاتين الكريمتين: عائشة وحفصة، مكانة كبرى، ومنزلة عظمى عند رسول الله صلوات الله عليه وسلم، ولذلك لم تستشعر عائشة، ولا حفصة، نحو الوافدة الجديدة زينب بنت خزيمة أية غيرة، أو أي شئٍ من دوافع الغضب الأنثوى.

وأما زينب بنت خزيمة أم المساكين، فلم تكن راغبة هي الأخرى في منافسة عائشة وحفصة اللتين سبقتاها إلى بيت النبي الكريم صلوات الله عليه وسلم.

كانت زينب بنت خزيمة عليها سحابات الرضوان، تعيش في عالم العطف والمودة والحنان، وتعيش في دفء الإسلام وعظمته، فكانت تحسّ سعادة عظيمة في رحمة المساكين، وفي رقتها عليهم ورفقها بهم، والإحسان إليهم، فجعلت وقتها كله في عبادة الله عز وجل، ثم في

رعاية المساكين وإطعامهم، والتصدق عليهم، ولهذا غالب
عليها تسمية أم المساكين.

في رحاب الحبيب ﷺ

وَعَاشَتْ أُمَّنَا زِيَّنَبَ بْنَتَ عَلَيْهِمُ الْكَرَمُ فِي رَحَابِ الْحَبِيبِ عَلَيْهِمُ الْكَرَمُ
أَجْمَلُ أَيَّامِ عُمْرِهَا فَكَانَتْ مَلَازِمَةً لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِمُ الْكَرَمُ تَأْخُذُ مِنْ
هُدَيْهِ وَدْلَهُ وَعِلْمَهُ وَأَخْلَاقَهُ وَرَحْمَتَهُ فَكَانَتْ تَزَادُّاً إِيمَانًا
يَوْمًا بَعْدِ يَوْمٍ حَتَّى كَانَتْ لَا تَطْمَعُ نَفْسَهَا فِي أَيِّ شَيْءٍ مِنْ
حُطَامِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ بَلْ كَانَتْ تَشْتَاقُ إِلَى رَضْوَانِ اللَّهِ -
جَلَّ وَعَلَا - وَإِلَى جَنَّتِهِ الَّتِي أَعْدَاهَا لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ .



وحان وقت الرحيل

وطلت خلال هذه الفترة اليسيرة التي عاشتها في بيت النبي ﷺ عابدة صائمة قائمة لله - جل وعلا - . ولكنها لم يطل مقامها عند رسول الله ﷺ كثيراً فما هي إلا شهور قليلة حتى جاءت اللحظة التي نامت فيها أمنا زينب بنت خزيمة على فراش الموت لتكون أول زوجة للنبي ﷺ تموت في المدينة.

فلما ماتت تجددت الأحزان في قلب رسول الله ﷺ فتذكّر بمورتها موت خديجة بنت خاتمة سيدة نساء العالمين .

وهكذا دخلت زينب بنت خزيمة بنت خاتمة بيت رسول الله ﷺ في هدوء الأبرار وصمت العابدين ، وخرجت في صمت الخاسعين لتدفن في البقيع وتفوز بصلة رسول الله ﷺ عليها والدعاء لها .

لقد توفيت أم المساكين ، ولم تر شيئاً عن النبي ﷺ .

ولعل هذا يعود إلى اشغالها بأحوال المساكين ، وإلى قلة مكثها في بيت رسول الله ﷺ .

وهكذا رحلت أم المساكين التي لم تبخ لحظة واحدة عليهم، بل جادت بكل ما تملك لتجد ذلك كله عند الله - جل وعلا - الذي لا تضيع عنده الودائع... فلقد كانت تنقل عيشها من دنياها لأخراها لتسعد في الجنة بالنعم الذي لا ينقطع ولا يزول.

قال تعالى: ﴿يَا عِبَادَ لَا خُوفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ^(١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ^(٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ^(٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْهِيَ النَّفْسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورْثَمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ^(٧٣)﴾

ولا نملك ونحن نودع أمّنا الغالية إلا أن نتلن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَقْبِلِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ^(٥٤) فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدِرٍ^(٢)﴾.

فرضى الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس مثواها^(٣).

(١) سورة الرعْف: الآيات: (٦٨-٧٣).

(٢) سورة الفرقان: الآيات: (٥٥، ٥٤).

(٣) صحابيات حول الرسول / للمصطفى (ص: ١٨٦؛ ١٩١) بتصريف.

أم سلمة رضي الله عنها

أم سلمة

أم سلمة

حياتي الخلود:

وها نحن نفتح صفحة جديدة نتعرف من خلالها على
أم المؤمنين أم سلمة .

إنها أم المؤمنين التي أحاط بها المجد من كل جانب.
فأبوها هو أبو أمية بن المغيرة القرشي . . سيد من
سادات قريش ورجل من أكرم وأجود الرجال في قريش
حتى إنه كان يقال له: (زاد الرَّاكِب) لأن الرُّكَاب كانوا إذا
سافروا معه لا يحملون زاداً ولا طعاماً فقد كان يكفيهم
ويعطِّيهم ويُغْنِيهِم .

وأما زوجها فهو عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة أحد
العشرة السابقين إلى الإسلام فقد كان لم يُسلِّم قبله إلا
أبو بكر الصديق . . وعدد قليل لا يتجاوز عدد أصابع
اليدين .

وهي في نفس الوقت بنت عم خالد بن الوليد رضي الله عنه
سيف الله المسلول... وكان اسمها هند بنت أبي أمية
فلما أخبت سلامة سميت بأم سلامة
فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرتها
العطرة.

نشأة عريقة وزيفة مباركة

نشأت هند في بيت عريق أصيل، يجمع المجد من طرف الجود والشجاعة، وكانت منذ صباها وفتوتها ذات شخصية قوية تفرض احترامها، وكانت من أجمل النساء.
وحين بلغت أشدّها واستوى عودها، تقدم خطبتها أحد فتيان قريش المعدودين، وفرسانها المشهورين،
وشجعانها الأبطال: عبد الله بن عبد الأسد بن مخزوم
(أبو سلامة)، وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي صلوات الله عليه وسلم، وكان أبو سلامة أخاً للنبي صلوات الله عليه وسلم من الرضاع، أرضعتهما ثوبية مولاية أبي لهب.
وتم الزواج، فسعدا بذلك سعادة كبرى ^(١).

(١) صور من سير الصحابة / الحجازي (ص: ١٧٧).

وكانت أم سلمة تعيش حياة النعيم والرخاء، والسعادة ينفق عليها زوجها ويرعاها، ويحنو عليها حنون المرضعات على الطفل الصغير، فقد عرفت بين أترابها بكمال طلعتها، وجمال روحها، ورقّة طبعها، ناهيك بكرم والدها الذي غطى رجال مكة وما حولها.

لكنها، وفي غضون أيام، تترك هذا النعيم كلّه، لتنقل إلى نعيم رُوحٍ آخر، عبقت مكة كلها بأريجها، إنه عبقُ الإسلام الذي يدعو إليه محمد صلوات الله عليه وآله وسالم عليه، وسارعت أم سلمة وزوجها إلى الإيمان بالله، فكانا من السعداء⁽³⁾. وهكذا انتظم الزوجان في ركب الإيمان منذ المراحل الأولى.

الهجرة إلى الحبشة

ما علم المشركون بإسلام هند (أم سلمة) وزوجها سلطوا عليهما وعلى كل المؤمنين الowan من العذاب وحاولوا بشتى الوسائل والأساليب أن يردوهم عن دينهم.

⁽³⁾ نساء أهل البيت (ص: ٢٢٧).

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَافِيَةِ، لِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَمَّهُ أَبْنَى طَالِبٌ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ قَالَ لَهُمْ: «إِذَا خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْجَبَشِيَّةِ، فَإِنْ بَهَا مَلْكًا لَا يُظْلِمُ عَنْهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضٌ صَدَقَ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرْجًا مَا أَنْتُمْ فِيهِ»^(١) فَخَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَرْضِ الْجَبَشِيَّةِ، مُخَافَةً لِلْفَتْنَةِ، وَفِرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ، فَكَانَتْ أَوَّلُ هِجْرَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ . . . فَلَمَّا رَأَتِ قَرِيشًا أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمْنَوْا وَأَطْمَأْنَوْا بِأَرْضِ الْجَبَشِيَّةِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَصَابُوا بِهَا دَارَّاً وَقَرَارًا، اتَّسَمُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَسْعَثُوا فِيهِمْ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ مِنْ قَرِيشٍ جَلَدِيْنِ إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَيُرْدِهِمْ عَلَيْهِمْ، لِيَفْتَوِهِمْ فِي دِينِهِمْ، وَيُخْرِجُوهُمْ مِنْ دَارِهِمُ التِّي أَطْمَأْنَوْا بِهَا وَأَمْنَوْا فِيهَا، فَبَعَثُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبْيَ رَبِيعَةَ وَعُمَرَ بْنَ الْعَاصِ بْنَ وَاثِلٍ وَجَمَعُوا لَهُمَا هَدَائِيَا لِلنَّجَاشِيِّ وَلِبَطَارِقَتِهِ^(٢).

(١) **صَحِحٌ**: أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي «الْسِنَنِ» (٩/٩) وَفِي «الْكِلَالَاتِ» (٢/١)، وَصَحَّحَهُ الْعَلَمَاءُ الْأَلَيَّانِيُّ وَرَحْمَهُ اللَّهُ فِي الصَّحِيحَةِ (٣١٩٠).

(٢) السِّرَّةُ لَابْنِ هَشَامٍ (١/٢٧٥) وَالْبَطَارِقَةُ: جَمْعُ بَطَارِقٍ وَهُوَ الْفَانِدُ أَوْ الْحَادِقُ فِي الْحَرْبِ.

أم سلمة تروي تحكى قصة المسلمين مع النجاشي

كانت أم سلمة من أوائل المهاجرين إلى الحبشة وهناك ولدت لزوجها أبي سلمة ابنته زينب ثم بعد ذلك ولدت له سلمة وعمر ودرة.

وها هي تروى في إحدى الجلسات المباركة قصة الهجرة إلى الحبشة وتقول: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا فيها خير جار (النجاشي) أمناً على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً اتّمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فيما رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متعة مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(١) فحملوا له أدمًا كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية. ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يُسلّمهم إليكمما قبل أن

(١) الأدم: الخلود وهو اسم جمع.

يكلمهم، قالت: فخرجا حتى قدموا على النجاشي ، ونحن
عنه بخير دار، وعند خير جار، فلم يبق من بطارقته
بطريق، إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ، وقالا
لكل بطريق منهم إنه قد ضوى ^(١) إلى بلد الملك منا
غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم ،
وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إلى
الملك فيهم أشراف قومهم ليردhem إليهم ، فإذا كلمنا الملك
فيهم ، فأشروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن
قومهم أعلى بهم عينا ^(٢) وأعلم بما عابروا عليهم فقالوا
لهمَا: نعم، ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي ، فقبلها
منهما ، ثم كلاماه فقالا له:

أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلامان سفهاء ،
فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين
ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم
أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم

(١) ضوى: حلا وانت بلا

(٢) أعلى بهم عيناً: أي أيسر بهم

إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم
وعاتبوا بهم فيه.

قالت (أم سلمة): ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله
ابن أبي ربعة وعمرو بن العاص^(١) من أن يسمع كلامهم
النجاشي... قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقاً أبها
الملك قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم،
فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لا ها الله، إداً لا
أسلمهم إليهما ولا يُكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي،
واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهما عما
يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلموهم
إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك
منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ
قدعاهم.

فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما

(١) كانت هذه القصة قبل إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه.

تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا،
وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن فلما
جاءوا وقد دعا النجاشي أساقته^(١)، فشرروا مصاحفهم
حوله.

سألهم النجاشي، فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد
فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين
أحد من هذه الملل؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب (رضوان
الله عليه).

قال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهليّة، نعبد
الاصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام
ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذاك
حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه
وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحده ونعبده، ونخلع
ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة
والاوثان... وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة

(١) الأساقة: هم علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم.

الرحم، وحسن الجوار، والكَفُّ عن المحارم، والدماء،
ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم،
وقدْف المحسنات، وأمننا أن نعبد الله وحده لا نشرك به
 شيئاً، وأمننا بالصلوة والزكاة والصيام.

(قالت: فعدد عليه أمور الإسلام) فصدقناه وأمنا به،
وابتعناه على ما جاء به من عند الله فعبدنا الله وحده فلم
نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا
علينا قومنا، فعذبونا وافتتنونا على ديننا، ليردونا إلى عبادة
الآوثان من عباد الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نتحل من
الخواص، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا
 وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واحتراك على من سواك،
 ورغبتنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك ما جاء به عن الله
 من شيء؟

قالت: قال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه
 على، قالت: فقرأ عليه صدره من «كميغصن» (١).

(١) سورة مریم: الآية: (١).

قالت: فبكي والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أسايقته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقوا، فلا والله لا أسلّمهم إليكما، ولا يُكادون.

قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم^(١).

قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتفى الرجلين: لا تفعل، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لا أخبرنـه أنـهم يزعمونـ أنـ عيسى ابن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه من الغد، فقال له: أيها الملك، إنـهم يقولـونـ فيـ عـيسـىـ اـبـنـ مـرـيمـ قـوـلاـ عـظـيمـاـ، فـأـرـسـلـ إـلـيـهـمـ، فـسـلـهـمـ عـماـ يـقـولـونـ فـيـهـ.

قالـتـ: فـأـرـسـلـ إـلـيـهـمـ؛ لـيـسـأـلـهـمـ عـنـهـ.

قالـتـ: وـلـمـ يـنـزـلـ بـنـاـ مـثـلـهـ قـطـ، فـاجـتـمـعـ الـقـوـمـ ثـمـ قـالـ

(١) خضراءهم: أي شجرتهم التي تفروعوا منها.

بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ .

قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كائناً في ذلك ما هو كائن.

قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟

قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا عليه السلام يقول: هو عبد الله ورسوله وزوجه وكلماته ألقاها إلى مريم العذراء البتوء.

قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، قالت: فتباخرت^(١) بطارقته حوله حين قال ما قال: فقال: وإن نحرتم والله، اذهبوا فأنتم شيووم يارضي (والشيووم: الأمتون) من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ما أحب أن لي ديراً (جيلاً) من ذهب، وأنى آذيت رجلاً منكم.

^(١) تباخرت: أي تكلمت، وكانه كلام من عقب ونفور.

رُدُوا عليهما هداياهما فلا حاجة لِّي بها، فَوَاللهِ مَا أَخْذَ اللَّهَ مِنِ الرِّشْوَةِ حِينَ رَدَ عَلَى مُلْكِي، فَأَخْذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطْعَنَ النَّاسَ فِي فَاطِيعُهُمْ فِيهِ.

قالت: فخرجا من عنده مقيحبين مردوداً عليهم ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

قالت: فَوَاللهِ إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ - يعنى من ينزع النجاشى فِي مُلْكِهِ - **قالت:** فَوَاللهِ مَا عَلِمْنَا حَزَنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حَزَنِ حَزَنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ تَحْوِفًا أَنْ يَظْهُرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَيَأْتِيَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقْنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ... **قالت:** وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عَرَضَ النَّيلَ **قالَ:** فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرْ وَقْعَةَ الْقَوْمِ ثُمَّ يَأْتِيَنَا بِالْخَبْرِ؟ **قالَتْ:** فَقَالَ الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ فَيَوْمَئِذٍ أَنَا.

قالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحَدَثِ الْقَوْمِ سَنًا **قالَتْ:** فَنَفَخُوا لَهُ قَرْبَةً فَجَعَلُوهَا فِي صَدْرِهِ ثُمَّ سَبَّحُوا عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النَّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقِيَ الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرُوهُمْ **قالَتْ:** وَدَعَوْنَا اللَّهَ تَعَالَى لِلنَّجَاشِيِّ بِالظَّهُورِ (النَّصْر) عَلَى عَدُوِّهِ

والتمكين له في بلاده، . . . وعاد الزبير ليشرهم بانتصار النجاشي على عدوه فكبّر المسلمون وفرحوا بذلك فرحاً شديداً، . . . واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله عليه السلام وهو بمكة^(١)، ومرت الأيام على أم سلمة وزوجها، وهما والمهاجرون عند نجاشي الحبشة في خير جوار، حتى جاءت إليهم الأخبار تقص عليهم بما إعازار الإسلام بدخول نفرٍ كبير من أبناء قريش فيه، حينئذ رأى أكثر المهاجرين - وقد عزَّ الإسلام ، وبات المسلمون لا يخشون اضطهاد قريش لهم - أن يعودوا إلى موطنهم مكة.

وعلى ذلك ارتحل إلى مكة نفر من المهاجرين، كان فيهم أبو سلمة وأمراته أم سلمة رضي الله عنها.

وفي الطريق جاءت الأخبار من جديد إلى القادمين تُعرفهم أن قريشاً حينما رأت دخول الناس في الإسلام أفواجاً ضاعفت من إيدائهم وزادت في اضطهادهم بل

(١) قال الشيخ الألباني في تحرير مقدمة السيرة للغزالى: أخرج هذه القصة ابن إسحاق في المغازى (١/ ٢١٣-٢١١) من ابن هشام وأحمد (١٧٤٠) من طريق ابن إسحاق بذلك صحيح.

زادت أن كتبت على نفسها صحيفة علقتها في جوف الكعبة، آلت على نفسها إلا تتعامل مع بنى هاشم الذين انضموا إلى محمد، وألا يتعاملوا معها، وضررت عليهم حصاراً اقتصادياً وحاصرتهم في شعب أبي طالب، وهدفها من ذلك أن تُهْمِّسَ مُحَمَّداً عليه السلام ومن يناصره جوعاً.

ماذا يفعل القادمون من الحبشة، وقد واجهتهم هذه الآباء السيدة؟؟

أيعدون - ومنهم أم سلمة وزوجها - من حيث جاؤوا، أم يدخلوا مكة ليواجهوا من أذى فريش أكثر مما واجهوا قبل الهجرة؟.

وتشارر العاذرون فيما يفعلون فقرر بعضهم أن يكرروا راجعين من حيث جاؤوا وقرر البعض الآخر أن يدخل مكة ويلتقي فيها ما يلاقى المسلمين.



أبو سلمة وأم سلمة يدخلان مكة

وكان فيمن قرر دخول مكة أبو سلمة وزوجته أم سلمة

رضي الله عنه

ورأى أبو سلمة أن يدخل في جوار خاله أبي طالب، عم رسول الله، ليجire من أذى المشركين ولكن بني مخزوم لم يرضهم أن يحمي أبو طالب أبا سلمة وقد طمعوا أن ينالوا من أبي سلمة حتى يفتنه عن دينه، فساروا إلى أبي طالب يقولون له: يا أبي طالب؛ لقد منعت مثنا ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبتنا تمنعه مثنا؟

قال أبو طالب: إنه استجار بي، وهو ابن أخي وإن لم أمنع ابن أخي لم أمنع ابن أخي.

وبقي أبو سلمة رضي الله عنه في جوار حاله أبي طالب، وبموته - موت أبي طالب - نال المشركون من محمد صلوات الله عليه وسلم ومن أتباعه ما لم ينالوه.

وبقيت أم سلمة رضي الله عنها إلى جانب روجها تقاسي ما

يُقاسي من الآلام والعقاب، حتى بايع الانصار من أهل المدينة رسول الله ﷺ، فكانت هي وزوجها من أوائل من أعدوا أنفسهم لترك ديارهم وبلدهم، والهجرة إلى المدينة في سبيل دين الله.

ولكن، هل استطاعت أم سلمة وزوجها أن ينجوا من إيذاء المشركين، وأن ينفذا إلى مطلبهما من ترخيص المربصين؟!

لا... فقد كان المشركون لا يزالون يطمعون في أن يردوا أم سلمة وزوجها عن دين الإسلام، ولا يزال في مقدورهم أن يتالوهما بالإيذاء، وأن يفتنوهما بالتعذيب، وكان لهم معهما قصة أليمة، كانت أم سلمة ترويها كما روت قصة هجرة المسلمين للحشة^(١).



(١) أزواج النبي / ٢، عبد المتعيم الهاشمي (ص: ٣٤٥ - ٣٤٧).

صبر واحتساب

ولقد تحملت أم سلمة رضي الله عنها الإيذاء الشديد عند هجرتها مع زوجها إلى المدينة المنورة فصبرت واحتسبت ذلك كله عند الله - جل وعلا - .
واليوم، دعونا نعيش ثانيةً رحلة الهجرة إلى المدينة المنورة مع الأسرة الصابرة.

* **وَهَا هِيَ أُمُّ سَلْمَةَ** رضي الله عنها تُحَكِّي قصَّةَ هُجْرَتِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ وَتُحَكِّي قصَّةَ الْابْتِلَاءِ الشَّدِيدِ الَّذِي تَعْرَضَتْ لَهُ عَنْدَ الْهُجْرَةِ وَتَقُولُ: مَا أَجْمَعَ أَبُو سَلْمَةَ رضي الله عنه الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، (أَيْ فِي الْهُجْرَةِ)، رَأَحَلَّ لِي بَعِيرَهُ، ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَجَعَلَ مَعِي ابْنَى «سَلْمَةَ بْنَ أَبِي سَلْمَةَ» فِي حَجْرِيِّ، ثُمَّ خَرَجَ يَقُودُ بَيْ بَعِيرَهُ. فَلَمَّا رَأَتْهُ رَجَالٌ بَنِي الْمُغَيْرَةِ قَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: هَذِهِ نَفْسِكَ غَلَبْتَنَا عَلَيْهَا، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتِنَا هَذِهِ، عَلَامْ نَتَرَكُكَ تَسِيرُ بَهَا فِي الْبَلَادِ؟

قَالَتْ: فَنَزَعُوا خَطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ، وَأَخْذَوْنِي مِنْهُ.
قَالَتْ: وَغَضَبَ عَنْدَ ذَلِكَ بْنُ عَبْدِ الْأَسْدِ رَهْطُ أَبِي سَلْمَةَ،
وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَتَرَكُ ابْنَنَا عَنْهَا إِذَا نَزَعْنَاهَا مِنْ صَاحِبِنَا.

قالت: فتجاذبوا ابني «سلمة» بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بيبي وبين ابني وبين زوجي.

قالت: فكنت أخرج كل غداة، فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسى سنة أو قريباً منها، حتى مرضي رجل من بني عمي (أحد بني المغيرة) فرأى ما بني، فرحمني.

فقال لبني المغيرة: لا تُخرجون هذه المسكينة، فرَقْتُم بينها وبين زوجها وبين ولدتها؟

قالت: فقالوا لي: الحقى بزوجك إن شئت.

قالت: فرَدَّ بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلتُ بعييري، ثم أخذت ابني، فوضعته في حجري، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معى أحد من خلق الله حتى إذا كنت بالتعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة.

فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي

بالمدينة قال: أَوَ مَا مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: مَا مَعِي إِلَّا اللَّهُ وَبِنِي هَذَا.

فقال: والله! مَا لَكَ مِنْ مَتَرْكٍ، فَأَخْذَ بِخَطَامِ الْبَعِيرِ، فَانطَلَقَ مَعِي يَهُوَى بِي، فَوَاللهِ! مَا صَحِبَتْ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ قَطُّ أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، وَكَانَ إِذَا بَلَغَ الْمُتَزَلَّ أَنَاخَ بِي، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِي حَتَّى إِذَا نَزَلَتْ اسْتَأْخَرَ بِعِيرِي، فَحَظِيَ عَنِّي، ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرِ، ثُمَّ تَحَجَّ إِلَى شَجَرَةٍ، فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا.

فَإِذَا دَنَا الرُّوَاحُ، قَامَ إِلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فِرَحَلَهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِي، وَقَالَ: ارْكِبِي، فَإِذَا رَكِبْتَ فَاسْتَوَيْتَ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخْذَ بِخَطَامِهِ، فَقَادَنِي حَتَّى يَنْزَلَ بِي، فَلَمْ يَزِلْ يَصْنَعَ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمْنِي إِلَى الْمَدِينَةِ.

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَرْيَةَ بَنِي عَمْرُونَ بْنِ عُوفَ بْنِ قَبَاءِ، قَالَ: رَوْجُوكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ - وَكَانَ أَبُو سَلْمَةَ بِهَا نَارًا - فَادْخُلْهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . . ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ .

فَكَانَتْ تَقُولُ: مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصْبَاهُمْ مَا

أصحاب آل أبي سلمة؛ وما رأيتُ صاحبًا قط كان أكرم من
عثمان بن طلحة ^(١)

في رحاب الحبيب عليه السلام

ولما نزلت أم سلمة مع زوجها عليه السلام في رحاب الأنصار
بالمدينة المنورة امتلاً قلبها بالسعادة والسرور... فلما أذن
الله لرسوله عليه السلام بالهجرة إلى المدينة وإذا بالسعادة
تكتمل في قلب أم سلمة وزوجها عليه السلام.

وفي ربع المدينة المنورة عاش الزوجان يعبدان الله
تعالى ويترودان بزاد التقوى ويتعلمان الخير كله بين يدي
الحبيب عليه السلام، وعكفت أم سلمة على رعاية و التربية
أولادها على حُب الله ورسوله عليه السلام حتى أصبح أولادها
من خيرة الصحابة الذين حازوا شرف الصحبة وهم:
زيف وعمر وسلمة ودرة.



^(١) البداية والنهاية (٣/١٦٩)، ابن حشام (٢/٧٥، ٧٦).

صفحة من أرض الشرف والبطولة

وعلى الرغم من اشغالها بعبادة ربها عز وجل ومعرفة
سنة نبها صلوات الله عليه وسلم وتربيه أبنائها إلا أنها كانت تشجع زوجها
دائماً على الخروج للجهاد في سبيل إعلاء كلمة (لا إله إلا
الله).

وحين قامت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة،
وأعلن الجهاد ضد أعداء الملة والدين انخرط أبو سلمة في
صفوف المجاهدين في سبيل الله تحت راية رسول الله
صلوات الله عليه وسلم يخوض غمار المعارك، ويبلغ فيها أحسن الblade،
فكان له في بدر صولات وجولات.

ومضى عام، فإذا المشركون يتجهزون لقتال المسلمين
وخرج المسلمون إلى أحد وهناك التقوا مع المشركين،
وكان أبو سلمة صلوات الله عليه وسلم من الجنود الأوفياء في الجيش
المحدي، وفي أحد رمأه أبوأسامة الجشمي بسهم في
عضده، ولما عاد المسلمون إلى المدينة مكث أبو سلمة
شهرًا يداوى جرحه ويعالجه، وبجانبه زوجته السوفية أم
سلمة، تقوم على رعايته وخدمته إلى أن برأ جرحه.

وَهَكُذا عَرَفْتَهُ أَرْضَ أَحَدٍ إِذْ بَلَّ ثَرَاهَا بَدْمَهُ الزَّكِيِّ
الظَّاهِرُ.

سرية أبي سلمة

وَمَا تَجَرَّأَتْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ غَزْوَةِ أَحَدٍ
أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيرَةً أَبِي سَلْمَةَ.
وَأَوْلُ مَنْ قَامَ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ نَكْسَةِ أَحَدٍ هُمْ بْنُو
أَسْدٍ بْنُ خَزِيمَةَ.

فَقَدْ نَقَلَتْ اسْتِخْبَارَاتُ الْمَدِينَةِ أَنَّ طَلْحَةَ وَسَلْمَةَ ابْنَيِ
خُوَيْلِدَ قَدْ سَارَا فِي قَوْمِهِمَا وَمِنْ أَطَاعُهُمَا، يَدْعُونَ بْنَيِ
أَسْدٍ بْنِ خَزِيمَةَ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَارَعَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ إِلَى بَعْثِ سَرِيرَةٍ قَوْمَهَا مَائَةٌ وَّخَمْسُونَ مَقَاتِلًا
مِنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَمْرَرَ عَلَيْهِمْ «أَبَا سَلْمَةَ» وَعَقَدَ لَهُ
لَوَاءَ، وَبَاغَتْ أَبُو سَلْمَةَ بْنَيْ أَسْدٍ بْنِ خَزِيمَةَ فِي دِيَارِهِمْ
قَبْلَ أَنْ يَقُومُوا بِغَارَتِهِمْ، فَتَشَتَّتُوا فِي الْأَمْرِ، وَأَصَابَ
الْمُسْلِمُونَ إِبْلًا وَشَاءَ لَهُمْ، فَاسْتَاقُوهَا، وَعَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ
سَالِمِينَ غَافِلِينَ لَمْ يَلْقَوْا حَرْبًا.

ونجح أبو سلمة في مهمته، وعاد إلى المدينة ظافراً
منتصرًا، إلا أن جرحه الذي أصيب به يوم موقعة أحد ثم
النائم، كان التئامه ظاهراً سطحياً، فقد عاد فانفجر عليه،
وما زال به حتى أسممه وألزمه الفراش أيامًا طويلة.

وفاة أبي سلمة

بقيت أم سلمة رضي الله عنها إلى جانب زوجها تُمرضه وتعتنى
به، وداوم الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه عيادته وزيارته والسؤال عنه،
 فهو صاحبه وابن عمته، وظل على هذه الحال، حتى نزل
قضاء الله في أبي سلمة، فلغظ أنفاسه والنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه
بجانب فراشه يدعوه بخير حتى مات.
ولما نام أبو سلمة على فراش الموت دار بينه وبين زوجه
أم سلمة رضي الله عنها هذا الحوار الروحاني.

قالت أم سلمة لأبي سلمة: بلغني الله ليس امرأة يموت
زوجها، وهو من أهل الجنة، ثم لم تزوج، إلا جمع الله
بينهما في الجنة. فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدى، ولا
أتزوج بعدك. قال: أنتي عيتي؟ قالت: نعم. قال: إذا

مِتْ تَرْوِيجِي . اللَّهُمَّ ارْزُقْ أُمَّ سَلَمَةَ بَعْدِي رَجُلًا خَيْرًا
مِنِّي ، لَا يُحْزِنُهَا وَلَا يُؤْذِنَاهَا .

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ
بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبَعَهُ الْبَصَرُ »
فَضَحَّ نَاسٌ مِّنْ أَهْلِهِ فَقَالَ : « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ
فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ » ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِأُمِّ سَلَمَةَ ، وَارْفِعْ دَرْجَتَهُ فِي الْمَهَدِيَّينَ ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقْبَهُ فِي
الْغَابِرِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ وَافْسُحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ
وَنُورْ لَهُ فِيهِ » ^(١)

الزواج المبارك

وَتَأْتِيَ الْمِنَحةُ الرِّبَانِيَّةُ لِتَنْزَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَتَصْبِحُ -
بِفَضْلِ اللَّهِ - إِحْدَى أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ لِتَغْدوَ مِنَ الْبَيْتِ
الْطَّاهِرِ الْكَرِيمِ . . . وَيَا لَهَا مِنْ مَنْقَبَةٍ لَا تَوَازِيَهَا الدُّنْيَا بِكُلِّ
مَا فِيهَا مِنْ مَنَاعٍ زَائِلٍ .

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ : إِنَّمَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمْرُ اللَّهِ : (إِنَّا

(١) صحيح رواه مسلم (٤٢٠) كتاب الحثائق عن أم سلمة بهيضا.

لله وإننا إليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها».

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أى المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ... ثم إنني قلتها، واردت أن أقول: «وأبدلنى خيراً منها» فقلت: ومن خير من أبي سلمة؟ فلم أزل حتى قلتها، فلما انقضت عدتها، خطبها أبو بكر، فردها، وخطبها عمر فردها، فبعث إليها النبي ﷺ فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ وبرسوله... ثم قالت لرسول رسول الله ﷺ: أخبر رسول الله ﷺ أنى غيرى (أى كثيرة الغيرة) وأنى مصيبة (أى ذات صبيان وأولاد صغار) وليس أحدٌ من أوليائي شاهداً. فبعث إليها النبي ﷺ.

وقال لها: «أما ما ذكرت من غيرتك فإنني أدعوك الله عزوجل أن يذهبها عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرت من العيال، فإنما عيالك عيالى وأما الأولياء فليس أحدٌ منهم إلا سيرضى بي»^(١).

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١٨) كتاب الجنائز.

(٢) انظر التخريج السابق.

ثم تزوج رسول الله ﷺ من أم سلمة؛ فاستجاب الله دعاءها وأخلفها خيراً من أبي سلمة.

في بيت الزوجية

ومن أول لحظة دخلت فيها (أم سلمة) بيت الزوجية فإذا بها تقوم بأعباء المنزل وتدبر شئونه على أفضل وجه، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: دخلت أم العرب على سيد المسلمين أول العشاء عروساً، وقامت آخر الليل تطحن - يعني: أم سلمة^(١).

وكانت عاقلة لبيبة حسنة الرأي والفهم... بل كانت تسعى دائماً لإدخال السعادة والسرور على رسول الله ﷺ.

وعلمت زوجات الرسول ﷺ بزواجه من أم سلمة:
ذات الجمال والعزة، والشرف والشخصية الأخاذة الجذابة القوية، وقابلت سودة الخبر كعادتها بالرضا والتسليم، أما عائشة فقد استبدَّ بها التفكير، واستولت عليها الغيرة، وتملَّكتها لذلك حزن شديد، لما وُصف لها من جمال أم

(١) أزواج النبي (ص: ٣٣٥).

سلمة، فتحايلت حتى رأتها، فرأت فيها أضعاف ما وُصفت به، فشكّت عائشة ما بها إلى ضررتها حفصة التي كانت تخذلها في مثل هذه الأمور صاحبة لها، فهُوَت عليها حفصة خطر جمال أم سلمة، وقالت له: إنها ليست كما تقولين، إنما هي الغيرة^(١).

وأحسست عائشة ما لام سلمة من منزلة وأحسست أنها ستتنافسها حتى إنها كانت تقول عن أم سلمة، وعن زينب بنت جحش التي تزوجها النبي ﷺ بعد أم سلمة: كانتا أحب نسانه إليه بعدي.

صاحبة القلب الرحيم

وكانت قويّة رحيمة بكل من حولها تحب أن تحمل لهم البُشري دائمًا لتدخل السعادة على قلوب الناس.

فيهى التي حملت خبر توبه الله تعالى على (أبي لبابة) وذلك عندما أرسله الحبيب ﷺ إلى بنى قريظة وكان أبو لبابة يُوثق حليقًا ليهود بنى قريظة في الجاهلية، فلما

(١) أزواج النبي (ص: ٣٣٥)

خانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ في غزوة الخندق فقرر النبي ﷺ أن ينزلوا على حكمه فيهم فأرسلوا إلى أبي لبابة فارادوا أن يستشيروه في أمرهم وسألوه: هل ترى أن ننزل على حكم محمد ﷺ؟ فقال لهم أبو لبابة: نعم فأنزلوا وأواماً إلى حلقة بالذبح - أى أنكم إذا نزلتم على حكمه فلن يكون لكم إلا الذبح - فأحسن أبو لبابة أنه قد خان الله ورسوله ﷺ فندم وعاد، فربط نفسه في عمود المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله على ما صنعت. فنزلت توبه أبو لبابة على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة فاستاذته النبي ﷺ في أن تبشره بتوبه الله عليه فأذن لها فقالت: يا أبو لبابة أبشر فقد تاب الله عليك.

قالت أم سلمة: فشار الناس، وأسرعوا إليه ليُطلقوه، ولكنَّ أبو لبابة أبي وقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يُطلقني بيده الشريفة.

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فلما مرَّ عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه، وغمر السرور أبو لبابة بأن تجاوز

الله عما أسرف.

* وكانت سبباً في أن يسامح النبي ﷺ ابن عمه (أبو سفيان بن الحارث) وابن عمته (عبد الله بن أبي أمية) فقد لقيا رسول الله ﷺ بالآباء فالتمسا الدخول عليه فأعرض عنهما لما كان يلقاه منهما من شدة الأذى.. وهنا تدخلت أم سلمة فتوبيها وكلمت الحبيب ﷺ ليسامحهما ويعفو عن زلتهما فيما مضى فقالت: يا رسول الله! لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقي الناس بك، وقال (على) لأبي سفيان: ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف: ﴿تَاللهُ لَقَدْ أَثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَعَظَّمِينَ﴾^(١) فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قوله. ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَنْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^{(٢)(٣)}.

* * *

(١) سورة يوسف: الآية: (٩١).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٩٢).

(٣) أخرجه الحاكم (٤٤ / ٣) وصححه ووافقه التهوي.

موقفها العظيم يوم الحديبية

وكان لام سلمة من المواقف التي تُظهر رجاحة عقلها الكثير والكثير وكان من بين تلك المواقف موقفها في يوم الحديبية.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: وكانت أم سلمة موصوفة بالجهمال البارع والعقل البالغ والرأي الصائب وإشارتها على النبي ﷺ يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها.

فإنه لما صالح النبي ﷺ أهل مكة وجاءه سهيل بن عمرو ليكتب معه كتاب الهدنة والصلح وكان من بند هذا الصلح أنه إذا جاء رجل من المشركين يريد أن يُسلم فعلى النبي ﷺ أن يرده إلى المشركين وإذا ذهب رجل مسلم يريد أن يلحق بالشركين فعلى المشركين أن يقبلوه فحزن أصحاب الحبيب ﷺ حزناً شديداً حتى قام عمر بن الخطاب ثورث و قال للحبيب ﷺ : ألسنت نبي الله حقاً؟ قال : «بلى» ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : «بلى» . قلت : فلِمَ نعطي الدنيا في ديننا إذا؟ قال :

«إنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرٌ» . قَالَ: أَوْ لَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتَنِي الْبَيْتَ فَنَطَوْفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلِّي، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتَهُ الْعَامَ؟» قَالَ: قَلَتْ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتَيْتَ وَمُطْوَفًّ بِهِ» . قَالَ: فَأَتَيْتَ أَبَا بَكْرَ فَقَالَتْ: يَا أَبَا يَكْرَ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلِّي، قَلَتْ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلِّي، قَلَتْ: فَلِمَ نَعْطَى الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبِّهِ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغُرْزَهُ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ . قَلَتْ أَلَيْسَ كَانَ يَحْدِثُنَا أَنَّا سَنَأْتَنِي الْبَيْتَ وَنَطَوْفُ بِهِ؟ قَالَ بَلِّي . فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ نَأْتَهُ الْعَامَ؟ قَلَتْ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتَيْتَ وَمُطْوَفًّ بِهِ.. قَالَ عَمْرُ: فَعَمِلْتَ لِذَلِكَ أَعْمَالًا، قَالَ: فَلِمَ فَرَغْ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ: «قَوْمٌ مَا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلَقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّىٰ قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، فَلِمَ لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ أَمِ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ .

وَهُنَا جَاءَ دُورُ (أَمِ سَلَمَةَ) الْعَاقِلَةِ الْلَّبِيَّةِ الَّتِي أَنْقَذَتْ

الصحابة بفضل الله وحده من الوقوع في معصية رسول الله ﷺ.

فقالت أم سلمة: يا نبى الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر - أى تذبح الهدى -، وتدعوا حalconك فيحلقك... فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر الهدى، ودعا حalconه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحرموا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً^(١).

وبهذا نجا الصحابة الكرام من مخالفة الخير المصطفى ﷺ وذلك برقة رأى أم المؤمنين أم سلمة زوجها التي تذكرنا بها مواقف أم المؤمنين خديجة عليها سحائب الرضوان... وإن نسي التاريخ فلا ينسى مواقف أم سلمة زوجها، وخصوصاً ذلك اليوم الذي يُقرن باسمها كلما ذكر يوم الحديبية^(٢).



(١) صحيح: رواه البخاري (٤٧٣٤) كتاب الشروط

(٢) صحابيات حول الرسول (ص: ٢٠٢ - ٢٠٤).

مع الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك

كان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وتحدث عن توبة الله عليهم أيضاً فقال: نهى رسول الله ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي، ولم ينْهَ عن كلام أحد من المخالفين غيرنا، فاجتنب الناس كلامنا فلبت ذلك حتى طال على الأمر، وما من شيء أهمل إلى من أن أموت فلا يصلى على النبي ﷺ، أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد منهم، ولا يصلى علىي، فأنزل الله توبتنا على نبيه حين بقي الثالث الأخير من الليل، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة رضوان الله عليها، وكانت أم سلمة محسنة في شأنها، معينة في أمرها، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سلمة تب على كعب» - أي تاب الله على كعب - .

قالت: أفلأرسل إليه فابشره؟

قال: «إذا يحطكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة»،

حتى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر، آذن بتوبة
الله علينا ^(١).

والآية الكريمة التي نزلت في توبه هؤلاء تقول: «وعلى
الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا حاقدت عليهم الأرض بما رحب وضاقت
عليهم أنفسهم وظروا أن لا ملجأ من الله إلا إلهه ثم تاب عليهم ليتربوا
إن الله هو التواب الرحيم» ^(٢).

وي بذلك نعمت أم سلمة بهذه البركة وهذا الشرف
العظيم أن ينزل القرآن في بيتها على رسول الله، فتكون
الوحيدة من نساء النبي ﷺ بعد عائشة وهي التي ينزل
في بيتها وحيًا يوحى على رسول الله ﷺ ، مما يجعل
لام المؤمنين أم سلمة مكانة وأى مكانة وفضل وأى فضل
وشرف يحق لها إن أرادت أن تفخر على صاحباتها، ولكن
لم تفعل بل داومت على حمد الله وشكره وتسبيحه ^(٣).



(١) صحيح: رواه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٦٧٧)، والمرجع في كتاب الاستثناء برقم (٦٤٥٥).

(٢) سورة التوبه: الآية: (١١٨).

(٣) أزواج النبي (ص: ٣٣٩ - ٣٤٠).

كانت تُعدُّ من فقهاء الصحابيات

قال الإمام الذهبي عنها: وكانت تُعدُّ من فُقهاء
الصحابيات^(١).

وكيف لا تصل إلى تلك المرتبة والمرتبة العالية وهي
التي سمعت القرآن الكريم والسنّة المطهرة من فم الحبيب
عليه السلام.

لقد كانت من يرجع إليها في بعض الأحكام والفتاوي
وبخاصة فيما يخص فقه المرأة المسلمة حتى كان حَبْرَ الْأَمَّةِ
عبد الله بن عباس رضي الله عنه يرسل فيسألها عن بعض
الأحكام^(٢).

وأما الشروة الحديثية التي أثّرت عن أم المؤمنين أم سلمة
فتبليغ ثلاثة وثمانية وسبعين حديثاً، حفظتها عن رسول
الله عليه السلام.



(١) السير (٢٠٣/٢).

(٢) زاد المعاد (٧٨/٢).

وحان وقت الرحيل

كانت أم سلمة رضي الله عنها من المعمرات فقد عاشت نحوها
من تسعين سنة وعاشت الخلافة الراشدة وامتدت بها الحياة
إلى عهد يزيد بن معاوية.

وكان آخر ممات من أمهات المؤمنين .
عُمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد، فوجمت
لذلك، وغضي عليها، وحزنت عليه كثيراً.
ولم تلبث بعده إلا يسيراً، وانتقلت إلى رحمة الله (١).
وكان ذلك سنة إحدى وستين.

وهكذا رحلت أم المؤمنين لتكون زوجاً للنبي صلوات الله عليه وسلم
في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر .

فرضى الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس
مشواها .



(١) مير أعلام النبلاء / للذهبي (٢٠٢ / ٢).

زینب بنت جحش رضي الله عنها

زینب بنت جحش رضی اللہ عنہا

حبابیں الحلوین: وہا نحن نفتح صفحۃ جديدة تعرف
من خلالها علیٰ ام المؤمنین زینب بنت جحش رضی اللہ عنہا الی کی
جمع المجد والفضل من اطرافہ کلہا۔

* فابن خالہ اشرف خلق اللہ علیٰ الاطلاق، سیدنا
رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم۔

* وجدُ الرسولُ الکریمُ وجدُهَا لامہا عبدُ المطلبِ بنُ
هاشم سید قومِہ.

* وخالہ سید الشہداء، وأسد الرحمن، وفارس
رسول اللہ، سیدنا حمزة بن عبد المطلب رضی اللہ عنہ
وأرضاء.

* وأخوها صاحب أول راية عُقدت في الإسلام،
وأول من دُعى بأمير المؤمنين وأحد الشہداء سیدنا عبد اللہ
ابن جحش رضی اللہ عنہ.

* وأخوها أيضاً أحد شعراء الإسلام المجيدين سيدنا أبو أحمد ابن جحش .

* وأختها إحدى السابقات إلى الإسلام حمنة بنت جحش .

* وأمها عمة رسول الله عليهما السلام التي أطعمها النبي أربعين وسقاً من قمر خبيرة أميمة بنت عبد المطلب .

* وهي بوالة الوحيدة التي زوجت من فرق سبع سموات^(١) .

فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرتها العطرة .

من هنا كانت البداية

وُلدت زينب بنت خزيمة في مكة قبلبعثة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة ونشأت في بيت شرف وحسب ونسب . وكانت نفسها تررق إلى حياة طاهرة نظيفة بعيدة عن أدران الشرك والجاهلية . . . وبذلت نسمات الإسلام تفوح

^(١) نساء مشهورات بالجنة / أ. أحمد خليل جمعة (ص: ٢٤٧ - ٢٤٨) .

بأريجها الفواح في مكة المكرمة وبدأت شمس الإسلام
تضي أرجاء الكون كلها وإذا بالقلوب الطاهرة تفتح أبوابها
على مصراعيها ل تستقبل هذا النور الذي جاء به الحبيب
عليه السلام من عند ربه عز وجل .

وكان عبد الله بن جحش شقيقها يرى النبي عليه السلام
قبل مبعثه فكان يعجب كل العجب من رجاحة عقله
وأمانته وصدقه وحسن عشرته، ولذلك فقد كان يحمل له
في قلبه قدرًا عظيمًا من المحبة والتقدير والاحترام .

ومن هنا فإنه ما إن بُعثَتْ الحبيب عليه السلام حتى أسلم
(عبد الله) ولم يتلكأ أو يتلعم ... وكان إسلامه قبل أن
يدخل الحبيب عليه السلام دار الأرقام، فكان من السابقين إلى
الإسلام ^(١) .

وقام يحمل أمانة هذا الدين ليدعوا الناس من حوله
إلى جنة الدنيا والآخرة قدعاً أخويه فأسلماً ودعا أختيه
(زينب وحمنة) فأسلمتا ودخلوا جميعاً في دين الله - جل
وعلا - لتكتمل السعادة في قلوبهم .

^(١) أصحاب الرسول عليه السلام / للمنتف (٢/٤٧٨ - ٤٧٩).

هجرة وصبر واحتساب

فلما لامس الإيمان شغاف قلبها أخذت تنهل من معين القرآن والسنة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً وأخذت تقرب إلى الله - جل وعلا - يوماً بعد يوم حتى أحست بأنها تعيش في جنة حقيقة - ولكن الجنة لا بد لها من الصبر والتضحية - .

فما أن علم كفار قريش بانتشار الإسلام حتى قاموا ليصبُّوا العذاب صبًّا على أصحاب الحبيب عليه السلام ... ولقد تحملت زينب ونساء قومها نصيباً من أذى قريش .

ولما أذن الله بالهجرة إلى المدينة، هاجر بنو جحش بقيادة سيدنا عبد الله بن جحش ومعه أخوه أبو أحمد عبد ابن جحش، وكان أبو أحمد هذا شاعراً ضريراً البصر، وكان معهما محمد بن عبد الله بن جحش، وهاجر معهم نساؤهم: زينب بنت جحش بطلة ترجمتنا اليوم، وحمنة بنت جحش - زوج مصعب بن عمير - وأم حبيب بنت جحش - زوج عبد الرحمن بن عوف عليهما السلام .

ولما خرج بنو جحش من دارهم، عدا عليها أبو سفيان ابن حرب، فباعها من عمرو بن علقمة، فلما بلغ بنى جحش ما صنع أبو سفيان يدارهم، ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «الا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها داراً خيراً منها في الجنة؟». قال: بلى، قال: «فذلك لك».

في رحاب الانتصار

وعلشت زينب رضي الله عنها أجمل أيام حياتها في رحاب أخواتها من نساء الانتصار... وماذا نقول نحن عن الانتصار بعد قول الله عز وجل عنهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَمَّا أُوتُوا وَيُرَثُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

واحتلت زينب مكانة عالية بين النساء فقد كانت كهفًا وملاذاً للمساكين والمحاجين... تجود عليهم بالمال والمناسع

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

لأنها علمت بقىًّا أن المؤمن لا بد أن يغرس الخير في الدنيا
ليجني النعيم في الآخرة.

وكانت صوامة قوامة تصوم النهار وتقوم الليل تناجي ربها وتبكي بين يديه - سبحانه وتعالى - وكانت بارةً بمن حولها تحب الخير لكل الناس وكان الله عز وجل يؤهلها لتكون بعد ذلك أمًا للمؤمنين.

زواجها من زيد بن حارثة رضي الله عنه

وتعالوا بنا لنبدأ قصة زواجهما من زيد بن حارثة رضي الله عنه . . . كان زيد بن حارثة يعيش في سعادة وهناء مع أمه سعدى بنت ثعلبة ومع أبيه حارثة بن شرحبيل . وفي يوم من الأيام أخذته أمه في زيارة لبعض أقاربه فأغارت عليهم مجموعة من قطاع الطرق وأخذوا زيد بن حارثة وهو يومئذ غلامٌ صغير وذهبوا به إلى سوق عكاظ وعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام وأعطاه لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

فلما تزوجها النبي ﷺ ورأته حب النبي ﷺ

لزید بن حارثة و هبته له و كان ذلك قبلبعثة النبي

عليه السلام

و ظل حارثة والد زید يبکی هو و ام زید بكاءً مسراً
على فقد ولدهما زید... و أخذنا يبحثان عنه في كل
مكان ولكن دون جدوى.

زید يختار النبي صلوات الله عليه على أبيه وأمه

وفي يوم من الأيام حجَّ أناس من قبيلة زید بن حارثة
فرأوه في مكة و عادوا ليخبروا والده بذلك الخبر السار.
فما كان من والده حارثة إلا أن أخذ أخاه كعب بن
شرحبيل (عم زید) وأخذ مالاً كثيراً ليغدق ابنيه وذهب إلى
مكة فلما وصلا مكة سألا عن النبي صلوات الله عليه فقيل لهم: إنه
في المسجد فدخلوا عليه وقال له: يا محمد يا ابن مسید
قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه لقد جئنا إليك من أجل
أن نغدق ابنتنا بالمال وسنعطيك كل ما تريده.

قال النبي صلوات الله عليه: «من هو ابنتكم؟».

قالوا: زید بن حارثة.

قال لهم: «ألا أخبركم بأفضل من ذلك؟!».

قالوا: ما هو؟

قال زيد: (ادعوه وخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير
مال ولا فداء وإن اختارني فو الله ما أنا بالذى أختار على من
اختارنى أحداً) فقالوا له: لقد أحسنت إلينا وانصفت.

فدعاه فقال: (هل تعرف هؤلاء؟) قال: نعم، هذا أبى
وهذا عمى، قال: «فأنا من قد علمت، ورأيت محبتى لك
فاخترنى أو اخترهما»، فقال زيد: ما أنا بالذى أختار عليك
أحداً، أنت مني بمنزلة الأب والعم، فقال: وبحك يا زيد
أنت أختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك، وأهل
بيتك؟ قال: نعم، إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا
بالذى أختار عليه أحداً أبداً، فلما رأى رسول الله ﷺ
ذلك أخرجه إلى الحِجَر فقال: يا من حضر اشهدوا أن
زيداً أبى يرشى وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت
أنفسهما وانصرفَا.



زواجه من زينب بنت جحش

لما أعتق النبي ﷺ زيد بن حارثة فأصبح زيد مولى رسول الله ﷺ فأراد النبي ﷺ أن يكرمه أكثر وأكثر، وذلك بأن يزوجه من فتاة حرة حسيبة نسية. وأراد النبي ﷺ أن يُحطّم الفوارق الطبقة حتى يشعر الناس جميعاً أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالنقوي.

ولذلك قرر النبي ﷺ أن يزوج زيد بن حارثة من ابنة عمته زينب بنت جحش الحسيبة الجميلة التي يتمناها كل حبيب ونبي في أرض الجزيرة... فرفضت زينب في بداية الأمر أن تتزوج من زيد بن حارثة لأنه مولى من الموالى... فلما نزل قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُرْسَمٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ صَلَالًا مُبِينًا﴾^(١)،

قالت: يا رسول الله أترضاه لي زوجاً؟ قال: (نعم). قالت: إذن لا أعصي رسول الله ﷺ قد رضيته لنفسي.

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

وساق زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى بني جحش عشرة
دنانير وستين درهماً، ودرعًا، وخماراً، وملحفة وإزاراً،
وخمسين مُدّاً من الطعام، وعشرة أمداد من التمر،
أعطاه ذلك كله الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلم.

واستمرت الحياة الزوجية بينهما قرابة سنة ثم بدأت
الخلافات الزوجية تنشأ بينهما مما جعل هذا الزواج يخلو
من المحبة والصفاء والودة.

وكان زيد يشكوها للحبيب صلوات الله عليه وسلم فكان يقول له: «امسك
عليك زوجك واتق الله»، فكان صلوات الله عليه وسلم ينصحه بإمساكها
ولكن الله يريد خلاف ذلك «والله غالب على أمره» فالله
عز وجل يريد أن تكون زينب زوجة الحبيب صلوات الله عليه وسلم ليُبطل
عادة التبني.

وأزدادت الفجوة بين زيد وزينب رضي الله عنهما يوماً بعد يوم
حتى وصلت الحياة بينهما إلى طريق مسدود فكان لابد من
الطلاق فجاء أمر الله عز وجل فاذن بطلاقها وأمر رسول
الله صلوات الله عليه وسلم بزواجها.

قال تعالى: «إِذَا نَسِيْلَ اللَّهُ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ

أمسك عليك زوجك وانق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وتخشي الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا
زوجناها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعائهم إذا
قضوا منها وطرا وكان أمر الله مفعولا ^(١).

وهكذا أصبحت أمّا للمؤمنين

فلما طلق زيد زينب ^{رضي الله عنها} وانقضت عدتها تزوجها
رسول الله ^{صلوات الله عليه وسلم} لتناول أعظم منقبة في الكون كله فتكون
زوجة لسيد الأولين والآخرين ^{صلوات الله عليه وسلم} ولتكون أمّا
للمؤمنين.

وهنا أرسل النبي ^{صلوات الله عليه وسلم} زيد بن حارثة إلى زينب بنت
جحش ليخبرها بأن الله عز وجل قد أمر رسوله ^{صلوات الله عليه وسلم}
بأن يتزوجها.

فذهب إليها زيد فوجدها تخمر عجينها فلما رأها
أحس بخجل شديد ولم يستطع أن ينظر إليها بعد أن علم
أنها ستكون زوجة لرسول الله ^{صلوات الله عليه وسلم} وأمّا للمؤمنين.

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٧).

فَأَعْطَاهَا ظَهِيرَةً وَأَخْبَرَهَا بِهَذِهِ الْبَشَرِيَّةِ الْعَظِيمَةِ: بِأَنَّهَا
سَتَكُونُ زَوْجَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَفَرَحَتْ فَرْحَةً شَدِيدًا
وَسَجَدَتْ شَكْرًا لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَجَعَلَتْ عَلَى نَفْسِهَا صَوْمَ
شَهْرَيْنِ شَكْرًا لِلَّهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ.
وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بَغْرِيْرَ إِذْنٍ وَعَمَلَ
النَّبِيُّ ﷺ وَلِيْمَةً وَأَطْعَمَ أَصْحَابَهُ خَبْزًا وَلَحْمًا...
فَكَانَ النَّاسُ يَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ... وَبَقَى ثَلَاثَةٌ يَتَحَدَّثُونَ
فِي بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ.

يَقُولُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَاتَّبَعَهُ فَجَعَلَ يَتَبَعُ حُجَّرَ نِسَائِهِ يُسْلِمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقُولُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا
أَخْبَرْتَهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرْتَنِي قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى
دَخَلَ الْبَيْتَ فَذَهَبَتْ أَدْخُلَ مَعَهُ فَأَلْقَى السُّرْرَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ
وَنَزَّلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ.

فَكَانَ مِنْ بَرَكَاتِ زَيْنَبَ بْنِيْتِهِ وَمِنْ فَضَائِلِهَا نَزَولُ آيَةِ
الْحِجَابِ بِسَبِيلِهَا وَذَلِكَ فِي صَبِيحةِ عُرْسِهَا.

وَهَكَذَا رَوَّجَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى زَيْنَبَ مِنْ نَبِيِّهِ ﷺ

ينصُّ كتابه بلا ولی ولا شاهد، حتى كانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن وتقول: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»^(١).

منزلتها عند رسول الله ﷺ

وكانت ^{رضي الله عنها} تحتل منزلة عالية في قلب رسول الله ^{صلوات الله عليه وسلم} بعد عائشة ^{رضي الله عنها} ولذلك كانت أمها عائشة تقول عنها: «وهي التي كانت تسامي بي من أزواج النبي ^{صلوات الله عليه وسلم}»^(٢).

لقد نالت أم المؤمنين زينب بنت جحش ^{رضي الله عنها} مكانة عالية منذ دخولها ذلك البيت الظاهر فقد أكرمتها الله عز وجل بصفاتِ جليلة رفعت من قدرها ومكانتها عند رسول الله ^{صلوات الله عليه وسلم}.

وكانت زينب تقتبس من أخلاق الرسول ^{صلوات الله عليه وسلم} وتبصر خلفه وتقتدى به في كل أعمال الخير فكانت راهدة عابدة

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٤٢٠) كتاب التوحيد.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٥٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٧٧) كتاب فضائل الصحابة.

كريمة سخية النفس يُضرب بها المثل في الجود والكرم.
 وكانت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها كثيرة
 الصلاة، خائفة القلب، موصولة دائمًا بالله عز وجل،
 وكان رسول الله ﷺ يحب هذه الصفات العالية فيها،
 وتعجبه صلاتها وصلتها بربها عز وجل.

وكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ بثلاثة
أشياء:

أولها: أن جدّها وجده النبي ﷺ واحد.
وثانيها: أن الله عز وجل هو الذي أمر بزواجهها من
فوق سبع سموات.

وثالثها: أن السفير في ذلك الزواج هو جبريل عليه
السلام.

مع نساء النبي ﷺ

وشعر نساء النبي ﷺ بما لزينب من مكانة أولادها
 الله إياها، وشملها بها رسوله وشعرن بحب الرسول
ﷺ لها، وأحسن عميه إليها.

وكانت أكثرهن بهذا الشعور حسًّا ودرأة، زوجة الرسول ﷺ المحببة إلى قلبها عائشة قويقها، فقد شعرت بما احتلت زينب من مكانة في قلب الرسول ﷺ قاربت أن تساوى مكانتها هي في قلبه، وأحسست بما نالت زينب من رضاه، وحازت من إعجابه، حتى كانت عائشة تقول في ذلك: لم تكن واحدة من نساء النبي ﷺ تناصبني غير زينب.

كما كانت تقول عن حب الرسول ﷺ لزوجته: زينب وأم سلمة: كانتا أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدي، . . . وكان لشعور زوجات النبي ﷺ بما لزينب من المكانة لدى الرسول أن شعرن بالغيرة من زينب، وعددنها أخطر مناقسة لهن في حب الرسول ﷺ، وكانت أكثر الزوجات أيضاً بهذا الشعور حساسية عائشة بنت أبي بكر، فلم تستطع عائشة أن تكتم ما ب نفسها من غيرة من زينب، حينما كانت ترى رسول الله ﷺ يطيل المقام عند زينب في أثناء دورته اليومية على نسائه لتفقد شؤونهن، فكانت تسعى إلى زوجة رسول الله حفصة

بنت عمر بن الخطاب وهي التي كانت عائشة تصطفيفها
وتتخذها صديقة.

وكانت أن اتفقت هي وحفصة، وأشركتا معهما في
هذا الاتفاق سودة بنت زمعة، على أن أيتهن يجيئها
الرسول ﷺ بعد خروجه من عند زينب تقول له:
راثحتك مغافير «المغافير طعام حلو ذو رائحة كريهة».
وكان النبي ﷺ يكره الرائحة الكريهة.

فلما غادر النبي ﷺ زينب وجاء إلى عائشة في
دورته اليومية على نسائه قالت له عائشة: إني أشم رائحة
مغافير، هل أكلت مغافير؟ فلما أتى حفصة قالت له ما
قالت عائشة، وهكذا سألته سودة، فلما أجبتها بالنفي،
سألت فما هذه الريح؟!

قال: «سقنتي زينب شربة من عسل».

فكان من هذه المؤامرة التي تأمرتها بعض زوجات
الرسول نتيجة غيرتها من احتجاز الرسول عند زينب؛ أن
حرم الرسول ﷺ شرب العسل عند زينب، وبذلك زال
السبب الذي كان يحتبسه عنها أكثر من غيرها،

وُحِرِّمت زينب من مقام الرسول لديها أكثر من ضرائرها.
وكما كانت عائشة الزوجة الحبيبة من الرسول تغار من
يُنافسها في حب زوجها، كانت زينب أيضًا تغار من شدة
تعلق النبي ﷺ بعائشة زوجها.

مع عائشة زوجها

بالرغم من أن الرسول ﷺ كان يقسم أوقاته بالعدل
بين نسائه، فيدور عليهن كل يوم يتفقد أمورهن ويرعى
شؤونهن ثم يبيت عند كل واحدة منها ليلة؛ وبالرغم من
أنه يساويهن في النفقة، ويقسم بينهن ما يهدى إليه من
هدايا المسلمين، كانت زينب ونساء النبي ﷺ ينقسمن
على عائشة ثحرى المسلمين بهداياهم يومها، إذ يبعثون بها
إلى الرسول في بيتهما، ناشدين من وراء ذلك مرضاه
الرسول، لما يعلمون من منزلة عائشة ومكانتها عنده.

وتزعمت زينب مجتمعاً لزوجات النبي ﷺ يتناقشن
ويتشاورن في هذا الأمر، واتفقت معهن في هذا المجتمع
على أن يطلبن من فاطمة بنت رسول الله ﷺ السفاراة

يبنهن وبين أبيها، بأن تطلب منه مساواتهن بعائشة، بأن يأمر الناس أن يرسلوا إليه هداياهم أيهما كان.

ودخلت فاطمة على الرسول (وعائشة عنده) تقول: إن نساءك أرسلتنى إليك، وهن يشذننك العدل في ابنة أبي قحافة !!

**وسأل النبي ابنته: «أي بُنْيَة، ألسنت تحبّين ما أحب؟» .
قالت: بلـى .**

قال: «فأحبيها» يعني عائشة.

وعادت فاطمة إلى زوجات الرسول تُعرّفهن ما كان، ولكن زوجات الرسول لم يقتنعن بما جاءتهن به فاطمة، وطلبن منها أن تعاود سفارتها بينهن وبين أبيها، ورفضت فاطمة أن تعاود أباها فيما ردّها عنه، فلم تجد زوجات النبي حيئذ أحداً خيراً من زينب يوفدنها سفيرة لهن إلى زوجهن الرسول عليه السلام .

فذهبت تقوم بوساطتها وهي تعلم حق العلم مكانتها عند الرسول عليه السلام ، وتحس بمقدرتها على مواجهة عائشة الحبيبة المقربة إلى قلب زوجها، ولما استأنفت زينب على

الرسول ﷺ قال: «هذه زینب فأذنوا لها». وَكَلَمَتْ زِينَبَ الرَّسُولَ ﷺ وَعَائِشَةَ مَعَهُ وَاسْتَطَالَ بِزِينَبِ الْكَلَامَ حَتَّى نَالَتْ بِكَلَامِهَا عَائِشَةَ بَنَالٍ كَبِيرٍ، وَغَضِبَتْ عَائِشَةَ لِمَا نَالَتْهَا بِهِ زِينَبُ، وَتَحْفَزَتْ لِرَدِّ عَلَيْهَا بِمَا نَالَتْهَا بِهِ، وَلَكِنَ الرَّسُولَ ﷺ أَشَارَ لَهَا أَنْ تَسْكُنَ، وَسَكَنَتْ، وَلَكِنَ زِينَبَ اندَفَعَتْ بِكُلِّ مَا تَحْسِهِ مِنْ غَيْظٍ وَغَيْرَةٍ، وَبِكُلِّ مَا تَشْعُرُ بِهِ مِنْ أَنْ مَرْكَزَهَا وَمَكَانَتْهَا يَوْهَلَانَهَا إِلَى الْمِبالغَةِ فِي النَّيلِ مِنْ عَائِشَةَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَعَهُ الرَّسُولُ بُدُّا مِنْ أَنْ يَرْتَكِ لِعَائِشَةَ حَقَ الرَّدِّ عَلَيْهَا^(۱)، فَرَدَّتْ عَلَيْهَا عَائِشَةَ حَتَّى أَفْحَمَتْهَا فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ»^(۲).



(۱) ازواج النبي / ۱، عبد المنعم الباهنسى (ص: ۳۶۴ - ۳۶۷).

(۲) متفق عليه: رواه البخارى (۲۵۸۱) كتاب التهـة، ومسلم (۲۴۴۲) كتاب فضائل الصحابة.

مكانتها في قلب عائشة

ولما كانت حادثة (الإفك) التي كادت أن تعصف بقلب أمها عائشة رضي الله عنها وإذا بأمنا زينب رضي الله عنها تقف موقفاً عظيمًا جعلها تختل مكانها عالياً في قلب أمها عائشة رضي الله عنها.

ففي الحديث الذي رواه البخاري في حادثة الإفك -
وفيه :-

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمرٍ ف قال: «يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟»
فقالت: يا رسول الله ﷺ أحمى سمعي وبصرى ما علمت إلا خيراً. قالت عائشة: وهي التي كانت تسامي بي من أزواج النبي ﷺ فعصمتها الله بالورع ^(١).



(١) صحيح: رواه البخاري (٤٧٥٠) كتاب تفسير القرآن

مع الرسول ﷺ في الغزو والحج

لما خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف كان معه امرأتان من نسائه وهما: أم سلمة وزينب رضي الله عنهما وكان عليه الصلاة والسلام قد ضرب لزوجتهما قُبَّتين، ثم كان يصلى بين القبتين في وقت حصار الطائف كله.

وفي حجة الوداع كانت زينب أم المؤمنين رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ، وقد قال عليه الصلاة والسلام لنسائه في حجة الوداع: «هذه ثم ظهور الحُصر»^(١).

أى لا تخرجن من بيوتكن بعد ذلك وتلزم من الحُصر (والحُصر جمع حصير).

وكانت نساء النبي ﷺ يحججن كلهن إلا سودة بنت زمعة وزينب بنت جحش قالتا: لا تحركتنا دابة بعد رسول الله ﷺ^(٢).



(١) صحح رواه أبو داود (١٧٤٤) كتاب المناسك، وأحمد (٥/٢١٨)، وصححه العلامة الألباني رحمة الله في الصحيحية (١/٤٤).

(٢) أى: لا تعدلن تخرجن من بيوتكن وتلزم من الحُصر، والحُصر جمع حصير.

(٣) الطبقات (٨/٢٠٨).

زهدها في الدنيا وزينتها الفانيّة

لم تكن أم المؤمنين زينب رضي الله عنها تحفل بالمال أو بشيء من زخرف الدنيا، بل كانت تعمل بيدها، فكانت تدبر وتخرّز وتبيّع ما تصنعه، وتصدق به في سبيل الله عزوجل، وما يشير إلى كرامتها عند الله واستجابة دعائها، ويُشير أيضًا إلى زهدها في المال مهما كثُر ما روت شاهدة عيان على ذلك، وهي بربة بنت رافع تحدّثنا عن هذا فتقول: لما خرج العطاء، أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى زينب بنت جحش رضي الله عنها بالذى لها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني. قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب وقالت: صُبوه واطرحوا عليه ثواباً، ثم قالت لي: أدخلني يدك فاقضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبنى فلان - من أهل رحمها وأيتامها - حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها بربة بنت رافع: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق، فقالت: فلكم ما تحت الثوب فوجدنا تحته خمسة

وثمانين درهماً. ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم
لا يُدركني عطاءً لعمر بعد عامي هذا. قال: فماتت^(١).

وحان وقت الرحيل

ظللت زينب^{رض} على حالها بعد وفاة النبي^{صلوات الله عليه وسلم}
حتى ماتت، وكانت أول من لحقت بزوجها من زوجات
النبي^{صلوات الله عليه وسلم}، فقد ظلت تقية، بارة بالفقراء، متصدقة بما
تعمل بيديها على الأيتام والمساكين،
وكان من أقوال النبي^{صلوات الله عليه وسلم} لزوجاته، يبشرهن بأول
من تلحق به متهن بعد موته: «أسرعن حافاً بي أطول لكن
يداً»^(٢).

فكان نساء النبي^{صلوات الله عليه وسلم} إذا اجتمعن في منزل إحداهن
بعد موت رسول الله^{صلوات الله عليه وسلم} يمدون أيديهن إلى الجدار،
يتطاولن في أيديهن أطول يداً، فلم يزلن يفعلن ذلك حتى
ماتت زينب ولم تكن بأطولهن، فعرفن حيثند أن النبي

(١) الطبقات لابن سعد (٨/٩ - ١١ - ١١٠) وصفة الصفة (٤٨ - ٤٩) والبر
(٢/٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٢) كتاب فضائل الصحابة.

إِنَّمَا أَرَادَ بِطُولِ الْيَدِ الصَّدَقَةَ.

وكان من تصدق زينب على الفقراء وذوى الحاجة ومن حرصها على الا تخلف أو ترك شيئاً من بعدها دون صدقة أنها كانت قد أعدت كفنها الذى تكفين فيه بعد موتها.

ثم خطر ببالها حين مرضت وحضرتها الوفاة، أن عمر ربيماً أرسل إليها بكفن. فقللت توصى من حولها من أهلها: إنى قد أعددت كفني، ولعل عمر يبعث إلى بكفن، فإن بعث فتصدقوا بأحد هما، فلما ماتت وبعث عمر إليها بكفن تصدقت عنها أختها حمنة بنت جحش بكفنهما الذي كانت قد أعدته^(١).

وفي اللحظات الأخيرة أوصت أن تُحمل على سرير رسول الله ﷺ، وماتت بطيئاً فكانت أول نساء النبي لحوافيه.

ولما وصل نبأ وفاتها إلى سيدنا عمر بن الخطاب أمر منادياً فنادي: لا لا يخرج على زينب إلا ذو رحم من أهلها، وكان عمر رضوان الله عليه يطلع إلى شيء

^(١) أرواح النبي (ص: ٣٧).

يسترها، فقالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها: قد رأيت بالخيئة يجعلون نعشًا لموتاهم، فعملت نعشًا لزینب رضي الله عنها وغطته بثوب، فاستحسن هذا سيدنا عمر وأمر بعد ذلك منادياً فنادي أن اخرجوا على أمكم، وخرج المسلمون يشيعون أم المؤمنين زینب، وخرج أخوها أبو أحمد بن جحش رضي الله عنه يحمل سرير أخته وهو مكفوف - أعمى - وكان يبكي بكاء شديداً فقال له سيدنا عمر رضي الله عنه: يا أبا أحمد تぬح عن السرير لا يعتنك الناس - يشقون عليك - وكان يوماً صائفًا شديد الحر، وازدحم المسلمون على سريرها، فقال أبو أحمد: يا عمر هذه التي نلنا بها كل خير، وإن البكاء يبرد حر ما أجد.

ودفنت بالبيعيم، وصلى عليها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونزل قبرها أسامة بن زيد ومحمد بن عبد الله بن جحش، وعبد الله بن أبي أحمد بن جحش، ومحمد بن طلحة بن عبد الله وهو ابن اختها حسنة، ... فكلهم

محارم رضي الله عنه (١) .

(١) تهذيب الأنساء واللغات (٢/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) تاء مشرفات بالجنة / ١. أحمد خليل جمعة (ص: ٢٧٢ - ٢٧٣).

وتوفيت طريقها سنة عشرين من الهجرة وخرجت من الدنيا أمينا الحبيبة التي زوجها الله جل وعلا من فوق سبع سماوات لتدخل جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فرضى لله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس مثواها.



جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

جويرية بنت الحارث

حبايب الحلوين:

وها نحن على موعدٍ مع أمّنا وأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها التي كتب الله لها السعادة في الدارين في الدنيا والآخرة وكانت مفتاحاً للخير الذي حصل لقومها.

ولذا قالت عنها أمّنا عائشة رضي الله عنها: ما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها التي كان اسمها براءة فسمّاها النبي ﷺ بعد أن تزوجها (جويرية).



نشأة في أحضان النعيم

لقد ولدت جويرية بنت الحارث رضي الله عنها في أسرة ذات مكانة ووجاهة.

فأبوها هو الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وزعيم قبيلة بنى المصطلق وكان سيداً مطاعاً لا يستطيع أحدٌ أن يخالف أمره.

وظلت رضي الله عنها في هذا النعيم وفي تلك الرفاهية زماناً حتى اكتملت حبيتها ونضجت أنوثتها فكانت مضربياً للأمثال في جمالها وحسن خلقها وأدبها حتى كان يتمناها البعيد والقريب والغني والشريف فتزوجها أحد فتيان خزاعة ألا وهو (مسافع بن صفوان).

ولم يخطر ببالها في يوم من الأيام أن الله عز وجل سيختارها ويصطفيها لتكون مؤمنة بل ولتكون أمّا للمؤمنين بزواجهها من سيد الأولين والآخرين عليهم السلام.



شمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة

ولما أشرقت شمس الإسلام على أرض الجزيرة وبعث
النبي ﷺ وقام يدعو الناس إلى عبادة الله - جل وعلا -
فاستجاب أصحاب القلوب الطاهرة وأعرض أصحاب القلوب
المريضة الذين لا يريدون إلا هذا الخطام الزائل الفاني.

وبدأت قريش تصيب العذاب صبياً على من أسلم من
أصحاب الحبيب ﷺ فلما رأى النبي ﷺ ذلك أشار
عليهم بالهجرة إلى الحبشة فهاجروا وعاشوا في رحاب
النجاشي ذلك الملك العادل.

* ولما اشتد الإيذاء بأصحاب الحبيب ﷺ أمرهم
بالهجرة إلى المدينة المنورة ثم هاجر بعدهم بزمن يسير لما
أذن الله له بالهجرة.. فنزل الحبيب ﷺ وأصحابه في
رحاب الأنصار الذين بذلوا كل شيء لخدمة دين الملك -
جل جلاله - وأراد النبي ﷺ أن يُرسّى دعائم الدولة
المسلمة في المدينة المنورة لتكون قلعة للإسلام والمسلمين
فتنتشر عبر الإسلام وعطره على الكون كله^(١).

(١) صحابيات حول الرسول / للمصنف (ص: ٢٢٥).

ترسيخ دعائم الدولة المسلمة

ولما وصل النبي ﷺ إلى يثرب (المدينة المنورة) أراد أن يُرسخ دعائم الدولة المسلمة وذلك من خلال ثلاثة أشياء:

١ - صلة الأمة بالله.

٢ - صلة الأمة بعضها البعض الآخر.

٣ - صلة الأمة بالأجانب عنها، من لا يدينون بدينه.
ففي الأمر الأول بادر الرسول ﷺ إلى بناء المسجد لظهور فيه شعائر الإسلام ولتقام فيه الصلوات التي تربط قلب العبد برب العالمين جل وعلا.

وأما عن الأمر الثاني فقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار وهنا ظهرت عواطف الحب والإيثار والمواساة بصورة لا تخطر على قلب بشر.

أما الأمر الثالث، وهو صلة الأمة بالأجانب عنها، الذين لا يدينون بدينه، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سَنَ في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تُعهد في عالم مليء بالتعصب والتغالي، عندما جاء النبي عليه

الصلوة والسلام إلى المدينة، وجد بها يهوداً توطناً
ومشركين مستقرين.

فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة للابعاد أو المصادر
والخصام، بل قبل وجود اليهودية والوثنية، وعرض على
الفريقين أن يعااهدهم معااهدة التند للنند، على أن لهم
دينه ولهم دينه.

واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن يثرب إذا
هاجمها عدو. وأقرت حرية الخروج من المدينة لمن يتغى
تر كها، والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها^(١).

مؤامرة من زعيم بنى المصططلق

وبعد أن أرسى النبي عليه السلام دعائم الدولة المسلمة بدأ
يفكر في القبائل التي تعيش خارج المدينة ليدعوهم إلى
الإسلام فلقد بعث الله حبيبه عليه السلام ليعبد الكون كله لله
- جل وعلا -. وكان النبي عليه السلام يستقل - بإذن الله -
من نصر إلى نصر حتى سمع الكون كله بالإسلام
وال المسلمين.

(١) ينصرف من فقه السيرة للغزالى.

آدئات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وبلغ بنى المصطلق ما كان من أمر رسول الله ومقدار ما وصلت إليه دعوته للإسلام من انتشار عمَّ الكثير من قبائل العرب، فها هو ذا متذ هجرته من مكة إلى المدينة وهو يحقق للإسلام نصراً كبيراً، فهو في مدى ست سنوات كانت رسالته تغمر الجزيرة كلها بالنور . . . نور التشريع العظيم والدين القويم، فدخل في دعوته وفي دينه من العرب والعجم أفواج، من الرجال والنساء وحالفة كثير من القبائل. وها هو عليه صلوات الله عليه قد انتصر على أعدائه من قريش وحلفائهم في غزوة الأحزاب، فانصرفوا عن المدينة مخذولين مدحورين بعد أن حاصروهم بجموعهم ما يقرب من الثلاثاء يوماً؟

وها هو محمد عليه صلوات الله عليه بنفسه يستأصل شأفة اليهود الذين حالفوه، وعاهدوه حين مقدمه إلى المدينة، ثم نقضوا عهدهم، وأرادوا أن يغدروا شر غدر.

وها هو ذا يرسل بجيشه عليه صلوات الله عليه لتأديب العصاة من القبائل الذين حالفوه ثم غدروا به، ويبعث برسله لتأليف الناس، ودعوتهم إلى الإسلام.

فَكَرْ الحارثُ بْنُ أَبِي ضَرَارٍ سَعِيدَ بْنِ الْمَصْطَلِقَ فِي أَمْرِ
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي أَمْرِ انتشارِ دُعُوتِهِ وَقَبُولِ رسالتِهِ،
وَفِي مَدِي خَطَرِ انتشارِ هَذِهِ الدُّعْوَةِ عَلَى قَبِيلَتِهِ، وَعَلَى
أَمْثَالِهَا مِنْ قَبَائِلِ الْمُشْرِكِينَ، فَرَأَى أَنْ يَسْعَى إِلَى تَحْرِيْضِ
قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَجَمْعِ جَمْوِعِهِمْ، لِيُخْرُجَ بِهِمْ إِلَى مُحَارَبَةِ
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَسِيَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْهِ وَعَلَى دُعُوتِهِ.
وَبَلَغَ النَّبِيُّ بِالْمَدِينَةِ مَا بَيْتَ بْنُو الْمَصْطَلِقَ، وَمَا دَبَرَ
الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضَرَارٍ فَقَرَرَ أَنْ يَسْارِعَ هُوَ إِلَى غَزْوَهُمْ قَبْلَ
أَنْ يَغْزُوهُ.

أَعْدَّ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عُدْتَهُ، وَجَهَّزَ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى
عَجَلٍ، وَخَرَجَ عَلَى رَأْسِهِ يَقْصِدُ مَنَازِلَ بْنِ الْمَصْطَلِقَ،
تَصْبِحَهُ مِنْ نِسَائِهِ زَوْجَهُ عَائِشَةَ^(١).



(١) أزواج النبي (ص: ٣٧٣ - ٣٧٤) ينصرف.

المعركة

ولما خرج النبي ﷺ بالجيش كان الحارث بن أبي ضرار قد أرسل عبيداً (جاموساً) ليأتيه بخبر الجيش الإسلامي، فألقى المسلمون عليه القبض وقتلوه.

ولما بلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسir رسول الله ﷺ وقتله عبيداً، خافوا خوفاً شديداً وتفرق عنهم من كان معهم من العرب... ووصل رسول الله ﷺ إلى ماء لبني المصطلق اسمه (المريسيع) وأمر أصحابه أن يتهيئوا للقتال وكانت راية المهاجرين مع أبي بكر الصديق، وراية الأنصار مع سعد بن عبدة، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله ﷺ فحملوا حملة رجل واحد فكانت النصرة.

وانهزم المشركون وقتل من قتل وسي رسول الله ﷺ النساء والذراري والنعيم والشاء، ولم يُقتل من المسلمين إلا رجل واحد، قتله رجل من الأنصار ظناً منه أنه من العدو^(١).

(١) الرسین المختوم (ص: ٣٥٣).

وكان مسافع بن صفوان زوج جوبرية بنت الحارث من
بين العشرة الذين قتلهم المسلمون وأما عن باقى الجيش
فقد وقعوا أسرى في أيدي المسلمين.

وغرم المسلمون غنائم كثيرة فقد غنموا أموالهم وسبوا
نساءهم وذارياتهم وأخذوا أغنامهم ونصرهم الله نصراً
عزيزاً.

وكان من جملة السبي الذين وقعوا في أيدي المسلمين
(جوبرية بنت الحارث) بنت زعيم القبيلة وقد ظهر الحزن
على وجهها وامتلاً قلبها بالهم والغم لما توقعه من ذل
الأسر وترك الأهل . . . وظلت تفكك في مصيرها المجهول
وكيف ستعيش بعد ذلك وهي التي كانت تعيش في
الرفاهية والنعيم.

الرحيل إلى المدينة وتقسيم الغنائم

بعد أن انتهى أمر غزوة بنى المصطلق بذلك النصر
المبارك السريع، عاد الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة
منصوراً مُظفراً تُساق الأسرى والغنائم والسبى من النساء

والذراري بين يديه، وكان ذلك شيئاً كثيراً انعش المسلمين، وأغناهم؛ وكان عدد الأسرى أكثر من سبععمائة وكانت غنائم الإيل ألفى بغير، وغنائم الشاء خمسة آلاف شاة، وكان النبي من النساء والذراري أهل مائتي بيت، هذا وقد قسمت هذه الغنائم وزاعت الأسرى والسبايا والذراري بين المجاهدين وكانت من بين السبايا السيدة العاقلة جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق؛ وكانت فتاة ما تزال في زهرات العمر الأولى، ووافقت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصارى رض^(١).

فأرادت جويرية أن تناول حريتها فكانت ثابت بن قيس - أى إنفقت معه أن تعطيه تسع أواقٍ من الذهب على أن يعطيها حريتها فلا تكون أسيرة عند أحدٍ - فوافق ثابت بن قيس على ذلك.

فخرجت جويرية وذهبت إلى رسول الله ﷺ لتسأله أن يساعدها على تفريح همها وفكاكها من الأسرِ.

جاءت جويرية إلى رسول الله ﷺ النبي الكريم،

(١) نس، أهل البيت / ا، أحمد خليل جمعة (ص: ٣٢٢).

الذى هزم قومها، وأسر رجالهم وسبى نسائهم وذرارتهم
 بالأمس القريب، فكانت هي إحدى سبايا قومها، وهى
 ابنة سيدهم ورئيسهم.

وقفت جويرية أمام الرسول الكريم صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ تستعينه
 على الخروج من سجن حريتها لتنفس عبير الكرامة،
 وتستشعر العزة التي كانت تقلب بين أزاهرها، وطلبت
 منه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ أن يعينها، وقصَّت عليه القصص فقالت: يا
 رسول الله إنِّي امرأة مسلمة، أشهد أنَّ لا إله إلا الله
 وأنك رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه،
 وقد أصابتني من البلاء ما لم يخفَ عليك، ووَقَعَتْ فِي
 مِنْهُمْ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شَمَاسٍ، فَكَاتَبَتِي عَلَى مَا لَا طَاقَةَ
 لِي بِهِ، وَلَا يَدْانِ لِي، وَلَا قَدْرَةَ عَلَيْهِ، وَهُوَ تَسْعَ أَوْاقِ
 الْذَّهَبِ، وَمَا أَكْرَهْنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي رَجُوتُكَ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْكَ، وَجَئْتُكَ أَسْأَلُكَ فِي كِتَابِي ^(١).

وكانت جويرية في غاية الحسن والجمال وكانت أمها
 عائشة قد رأتها قبل أن تدخل على رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ

(١) الإصابة (٤/٢٥٧) والسط الشميم (ص: ١٣٥).

ورأت حُسنها وجمالها وبهائتها فقالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن قيس فكتابته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتى.

فنظر إليها النبي ﷺ نظرة عطف وإشفاق وتحركت عوامل الرحمة والنخوة والكرم في قلبها فهو الذي قال عنه الحق (جل وعلا): «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»^(١).

قال لها: *فَيَرْحَمُكَ اللَّهُ* **في رحمة وحنان:** «فهل لك في خير من ذلك؟».

قالت متلفة: وما هو يا رسول الله؟

قال: «أقضى عنك كتابك، وأنزوجك!».

فانشرحـت أساريرها وتهلل وجهها الجميل، وكادت أن تطير من فرحتها، فهذه نقلة كبيرة وشرف عظيم، إنه على

(١) سورة الآيات: الآية: (٣٠٧).

غير المتوقع، فمن سبعة أسيرة، جاءت إلى النبي ﷺ
تسعيته على أمرها، فإذا بالنبي ﷺ يعرض عليها
الحرية والزواج والشرف.

وانتبهت من مفاجأتها وأجابت الرسول على الفور:
نعم يا رسول الله.

قال ﷺ: لقد فعلت^(١)

وانصرفت (برة) من حضرة رسول الله ﷺ بنفس
راضية مطمئنة، حتى يقضى رسول الله ﷺ عنها
كتابها، ويؤدي ثمن خلاصها من الرق وحصولها على
الحرية والشرف والمكانة الطاهرة.

كانت أعظم الناس بركة على قومها

وتم الزواج المبارك ودخلت برة بنت الحارث التي
سمّاها النبي ﷺ (جويرية بنت الحارث) بيت زوجها
رسول الله ﷺ وأصبحت منذ هذه اللحظة أم
المؤمنين.

(١) صحيح: رواه أبو دارد (٣٩٣١) كتاب النساء، وأحمد (٢٧٢/٦)، وصححه
العلامة الألباني رحمة الله في الإرواء (١٤١٢).

فَلَمَّا عَلِمَ أَصْحَابُ الرَّسُولِ ﷺ بِخَبرِ زِوْجِهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ السَّيْدَةَ جَوَيْرِيَّةَ بَنْتَ الْحَارِثَ فَلَا يَبْغِي أَنْ يَكُونَ أَهْلَهَا أَسْرَى فِي أَيْدِيهَا لِتَعْتَقُهُمْ جَمِيعًا وَنُطْلَقُ أَسْرَهُمْ فَأَرْسَلُوا كُلَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ الْأَسْرَى فَأَصْبَحُوا أَحْرَارًا بِرَبْكَةِ هَذَا الزَّوْاجِ الْمَبَارَكِ.

فَبَلَغَ مَا أَعْتَقُوا مَائَةً أَهْلَ بَيْتٍ مِنْهُمْ، حَتَّى قَالَتْ عَائِشَةُ عَنْ جَوَيْرِيَّةِ فِي ذَلِكَ: لَا أَعْلَمُ امْرَأَةً أَعْظَمُ بِرَبْكَةٍ عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا.

وَهَكَذَا أَيْضًا نَالَ بَنُو الْمُصْطَلِقِ الْشَّرْفَ كُلَّ شَرْفٍ إِذْ صَارُوا أَصْهَارًا لِرَسُولِ اللَّهِ وَحَظُّوا - وَقَدْ أَسْلَمُوا - بِنِعْمَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.



ودخلت بيت النبوة

وبعد ما كانت جويرية رضي الله عنها تعيش في قصر أبيها ثم في قصر زوجها (مسافع) انتقلت الآن إلى بيت أعظم روح في الدنيا كلها - محمد بن عبد الله عليه السلام - الذي لم يكن يملك قصراً ولا ممتعًا زائلاً، وإنما كان يملك سعادة الدنيا والآخرة - بإذن الله - تلكم السعادة التي تكمن في شيء واحد آلا وهو: أن تُحقق العبودية لله - جل وعلا -.

ودخلت رضي الله عنها إلى خدرها لتكون أمًا للمؤمنين وزوجًا لسيد الأولين والآخرين .

وعاشت أجمل أيام عمرها في هذا البيت المتواضع ونسى حياة الترف والثراء التي كانت تحياها من قبل .. فالدنيا كلها لا تساوى لحظة واحدة تقضيها بجوار الحبيب عليه السلام الذي لو خُيُّر أي مسلم بين دنياه كلها وبين نظرة واحدة في وجه الحبيب عليه السلام لاختار تلك النظرة الغالية فكيف بمن تعيش معه وتصبح زوجة له لتكون من أهل

البيت اللاتى قال الله تعالى فيهن: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا»^(١).

سلام أبيها (الحارث بن أبي ضرار)

لم يهدأ بال هذا الرجل العربي الأصل والأرومة،
الخزاعي القبيلة، لم يهدأ بال الحارث بن أبي ضرار سيد
بني المصطلق منذ أن أخذت ابنته أسميرة خصم الأسرى
الذين وقعوا غنيمة في أيدي المسلمين، فراح يفكر ويدبر
ويعمل على فدائها واستردادها بأسرع ما تمكنه من ذلك
ظروفه وموارده.

وعلى ذلك سار الحارث إلى المدينة، وقد ساق معه
جمعاً من الإبل لفداء ابنته بها من المسلمين.

ويبنما هو ينزل بمكان اسمه «العقيق» للراحة قبل
دخوله المدينة، وقد سرحت الإبل التي جاء بها لفداء ابنته
أمامه، أعجبه منها بعيران، وَدَلَّ لو احتجزهما وأبقاهما

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٣٣).

(٢) صحابيات حول الرسول / للمصطفى (ص: ٢٢١ - ٢٢٢).

لنفسه، ونفَّذ الحارث ما قامت نفسه إليه، فاحتجز البعيرين، وغَيَّبَهما في شِعْبٍ من شِعَابِ العقيق، ثمَّ أتى المدينة يسوق باقي الإبل معه لفداء ابنته.

وقصد الحارث بن أبي ضرار سيد بنى المصطلق إلى النبي ﷺ ومعه الإبل يقول: يا محمد أصبت ابنتي وهذا فداها.

قال الرسول ﷺ: «فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللَّذَانِ غَيَّبْتُهُمَا بِالْعَقِيقِ؟».

فَدُهشَ الحارث أشدَ الدهشة لمعرفة الرسول ﷺ بما كان منه، ولم يستطع إلا أن يهتف مسلماً: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فو الله ما احْلَمْتُ على ذلك إلا الله!.

وهكذا أسلم الحارث بن أبي ضرار سيد بنى المصطلق الذي كان يجمع جموع العرب لمحاربة محمد ﷺ والقضاء عليه، كما أسلم معه ابنان له.

وأرسل الحارث فأتى بالبعيرين ليغدو ابنته قائلاً للرسول ﷺ: هذا فداء ابنتي، فإن ابنتي لا يُبَشِّي مثلها!

فقال الرسول ﷺ : أرأيت إن خبرناها؟ أليس قد أحسنا؟

أجاب الحارث: بلى.

وستُلْتَ بَرَّةً فِيمَا تَخْتَارُ، فَقَالَتْ: احْتَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . . . وَأَسْلَمَتْ بَرَّةً، وَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا وَسَمَّاَهَا «جَوَيْرِيَّة»^(١).

وَهَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْلَمُهَا الْخَيْرَ كَلَهُ

كَانَ بَيْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْتًا طَاعَةً وَذِكْرًا وَعِبَادَةً وَخُشُوعًا.

وَكَانَتْ جَوَيْرِيَّةً^(٢) مِنَ الْفَانِتَاتِ الْعَابِدَاتِ الصَّائِمَاتِ الْقَائِمَاتِ . . . وَكَانَتْ لَا تَفْتَرُ أَبَدًا عَنْ ذِكْرِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّاَوَاتِ.

وَكَانَتْ تَقْبِسُ كُلَّ يَوْمٍ نُورًا مِنَ الْهُدَى النَّبُوِيِّ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْلَمُهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَمِنَ السُّنَّةِ مَا يَجْعَلُهَا تَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى عِلْمٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَلِمًا رَأَاهَا يُعْلَمُهَا شَيْئًا جَدِيدًا لَكِي تَرَدَّدَ عَلَمًا وَإِيمَانًا وَثِبَاتًا عَلَى الْحَقِّ الَّذِي تَحْيَاهُ.

^(١) أزواج النبي (ص: ٣٨٠ - ٣٨١) يتصرّف.

عن جويرية بنت الحارث: أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة، فقال لها، «أصمت أمس؟»؟ قالت: لا. قال: «أتريدين أن تصومي غداً؟»؟ قالت: لا. قال: «فافطرى»^(١).

* وقد مرَّ عليها رسول الله ﷺ وهي في مصلاتها أول النهار، ثم مرَّ عليها في الظهيرة فوجدها جالسة خاشعة تُسبِّح ربها فقال لها: «ما زلت على حalk؟». لقد مضى على حالها هذا وقت طويلاً، وهي خاشعة مُسْبحة عابدة قانتة، عند ذلك أتَخفها رسول الله ﷺ بخصوصية في الذكر والدعاء والابتهاج، أراد أن يعلمها تسبِّحاً يليق بما رأه عليها من خشوع في العبادة وإخلاص فيها فقال لها: «ألا أعلمك كلمات نقولينهن: سبحان الله عدد خلقه» ثلاث مرات، «سبحان الله رضا نفسه» ثلاث مرات، «سبحان الله زنة عرشه» ثلاث مرات، «سبحان الله مداد كلماته» ثلاث مرات.

هنيئاً لأم المؤمنين جويرية بنت الحارث

(١) صحيح: رواه البخاري (١٩٨٦) كتاب الصوم.

الأقوال الطيبة التي منحها إياها رسول الله ﷺ .

ونقول جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: أتى على رسول الله صلوات الله عليه وسلم فقال: «لقد قلت بعدهك أربع كلمات ثلاث مرات لوزنت بما قلت منذ اليوم لوزنهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» ^(١) .

راوية الحديث

كانت السيدة جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها مستمعة جيدة لحديث رسول الله واعية لما يقول، عالمة لما يريد وكانت تحب الخير للناس حباً جماً، وقد روى عنها حبر الأمة عبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عمر رضوان الله عليهم أجمعين، وروى عنها أيضاً الطفيلي ابن أخيها، ومجاهد، وآخرؤن، ولأم المؤمنين جويرية رضي الله عنها سبعة أحاديث، منها حديث في صحيح الإمام البخاري، وفي صحيح مسلم حديثان ^(٢) .

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٦) كتاب الذكر والدعا،

(٢) سير أعلام النبلاء، (٢٦١) / ٢.

وفاة الحبيب

وهكذا تنقضي الأيام الجميلة مسرعة... فقد عاشت جويرية أغلب أيامها في رحاب الحبيب عليه السلام ولكن سرعان ما جاءت الأحزان تطرق الأبواب ليفترق الأحباب... مات رسول الله عليه السلام الذي كان لها زوجاً وحبيباً ورسولاً ومعلماً. فقدت كل ذلك في لحظة واحدة فحزنت عليه حزناً كاد أن يمزق قلبها ولكنها احتسبته عند الله - جل وعلا - لتفوز بأجر الصابرين الذين يتلون الأجر يوم القيمة بغير حساب.

وعاشت في ظل الخلافة الراشدة... وكان الخلفاء يعرفون قدرها ومكانتها فكانت فيها تحظى بكل تقدير واحترام.



وحان وقت الرحيل

وعلقت أم حميرة بعده رسول الله ﷺ راضية مرضية، قضت شطر حياتها في أيام عدل خلفاء النبي ﷺ ومع أزواج النبي الطاهرات، وكانت حياتها منعمة بالعلم والذكر والدعاة والتسبيح، وتلقين العلم لأهل العلم الذين ينشدون مآربهم العلمية في المدينة المنورة، ويقصدون منارات العلم، وشواطئ الرواية، ومن هؤلاء زوجات النبي الطاهرات رضي الله عنهن.

وكانت حميرة أم المؤمنين بما حفظته عن رسول الله ﷺ تحكي بعض الذكريات عن حياتها مع الرسول ﷺ، أو تتحدث عن قصة زواجها من رسول الله ﷺ.

وامتدت حياة أم المؤمنين حميرة فيها إلى خلافة سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وقد بلغت مبعدين سنة، ففي سنة خمسين ^(١) من الهجرة النبوية الشريفة،

^(١) طبقات ابن سعد (٨ / ١٢) وسير أعلام النبلاء (٢ / ٢٦٣) والمواعظ الندية (٢ / ٩١).

شعرت أم المؤمنين جوبرية رضي الله عنها بقرب لقاء الله عز وجل ،
وشعرت بالمرض يدب في جسدها ، وفي شهر ربيع الأول
من السنة نفسها توفيت أم المؤمنين جوبرية رضي الله عنها ، وشُيعَ
جثمانها إلى البقيع لترقد إلى جانب أمهات المؤمنين ،
وبنات الحبيب الأعظم عليه السلام ، وصلى عليها مروان
بن الحكم ، وكان إذ ذاك أمير المدينة المنورة ^(١) .
فرضى الله عنها وأرضها وجعل جنة الفردوس
مثواها .



(١) نساء أهل البيت (من: ٣٣٧ - ٣٣٨).

صفية بنت حيى رضي الله عنها

صفية بنت حني

جاءى الحلوين:

وها نحن نفتح سوياً صفحة جديدة نتعرف من خلالها على أم المؤمنين صفية بنت حني بن أخطب رضي الله عنها. إنها الأم التي ملأت الدنيا زهداً وورعاً وطاعة وحلماً. وحسبها أن النبي صلوات الله عليه وسلم شهد لها بالصدق والوفاء فقال عليه السلام : «والله إنها لصادقة»^(١).

بل زكأها النبي صلوات الله عليه وسلم وقال لها: «إنك لابنة نبي وإن عمك النبي وإنك لزوجةنبي»^(٢). فتعالوا بنا لتشعافيش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة أم المؤمنين صفية بنت حني رضي الله عنها.

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٤٣١/١١)، ومعمر بن راشد في جامعه (٢٩٤/٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٩٤) كتاب المناقب، وصححه العلامة الالبانى رحمة الله فى الشكانة (٦١٨٣).

كيف كانت البداية

لقد كانت صفية رضي الله عنها من يهود خمير وكان أبوها (حُبَيْبٌ
ابن أخطب) سيدهم المطاع فعاشت معه في رغدٍ ونعمٍ
لكنها كانت تشعر أن النعيم الحقيقى هو نعيم القلب لا
نعميم الجسد.

ولما اشتد عودها كان أشراف قومها يطمعون في الزواج
منها فتزوجها سلام بن مشكم ثم فارقها ليتزوجها من
بعده كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهو من كبار بنى
النضير أيضاً وصاحب حصن (القموص) أمنع حصون
خمير.

شمس الإسلام وعداوة اليهود

ولما أشرقت شمس الإسلام على أرض الجزيرة كان
اليهود - كما أسلفنا - تقطر قلوبهم خبثاً وحقداً وضغينة
على النبي صلوات الله عليه وسلم ورسالته فقد كانوا يطمعون أن يكون
النبي صلوات الله عليه وسلم واحداً منهم لا من العرب. وكانت صفية
رضي الله عنها ترى الحقد الذي كان يخرج من قلب أبيها (حُبَيْبٌ بن

أخطب) على النبي ﷺ وأصحابه.. ولعل الموقف الآتي يوضح لنا تلك الصورة واضحة جلية.

قالت صفيه بنت خي بن أخطب: كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمى أبي ياسر، لم أقيهما قط مع ولدي لهما إلا أخذاني دونه.

قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء، في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي (خي بن أخطب) وعمى أبو ياسر بن أخطب.

قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس.
قالت: فأتيا كائين كسلانين ساقطين يمشيان في ضعف وفتور فهششت^(١) إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلى واحد منهما، مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمى، أبي ياسر، وهو يقول لأبي خي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله؛ قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت^(٢).

(١) هششت: أي بشّت لهما فرحاً بهم.

(٢) السيرة النبوية لابن حشام (٢ / ١٤٦ - ١٤٧).

مؤامرات اليهود على الإسلام والمسلمين

لما أرسل الله - تعالى - محمدًا عليه السلام من العرب -
لا من اليهود - امتناع نفوس اليهود بالحسد والغيرة،
وأكل الحقد والغيبة قلوبهم، وجعلوا يشككون في نبوته
وفي دينه ويقولون: ليس محمد هو الرسول الذي كنا
ننتظر، وليس دينه هو الدين الذي كنا نتطلع! وحرّفوا ما
جاء في كتابهم عنه، وغيروا كل ما يدل عليه من اسم أو
صفة أو إشارة، علمًا بأن النبي عليه السلام جاء مُصدقًا لما بين
أيديهم من الكتاب، موافقاً لكل ما يعرفون من صفة هذا
النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة،
ولكن طبيعة الآثرة غلت على نفوسهم، إذ يعتقدون أنهم
أبناء الله وأحبائه وشعبه المختار في الأرض، وأن الرسل
والأنبياء لا يكونون إلا منهم، وعز عليهم أن يكون هذا
النبي من العرب، لذلك أضرموا له العداوة والبغضاء،
وطللت العداوة كامنة في صدورهم لرسول الله عليه السلام
ولدعوه منذ بعثته.

ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة كانوا أول كافر به، بل إنهم منذ اليوم الأول الذي حل فيه رسول الله ﷺ بالمدينة واجهه اليهود بالعداوة والمكر، وشجعوا بعض العرب على التفاق وإلقاء أمثلة التعنت، وتواصوا بينهم بالكيد الدائم للرسول ﷺ والإسلام^(١).

إجلاء يهود بنى قينقاع

وكان سبب إجلاء يهود بنى قينقاع أن امرأة مسلمة ذهبت إلى سوق بنى قينقاع لتبغ ذهبها فلما أعطت الذهب للتساجر اليهودي وجلست جانبًا جاءها يهودي خبيث وطلب منها أن تكشف وجهها فرفضت فأخذ طرقاً من ثوبها وعقده إلى أعلى الثوب دون أن تدرى فلما قامت انكشف جزء من جسدها فصرخت ووقف اليهود يضحكون فقام رجل من المسلمين على هذا اليهودي فقتلته، فقام اليهود على هذا الرجل المسلم فقتلوه فلما علم النبي ﷺ بذلك أخرج يهود بنى قينقاع من المدينة وأجلائهم عنها.

(١) رجال مبشر بن الجنة (ص: ٢٦٨)

مؤامرة لقتل النبي ﷺ

وظل اليهود يتأمرون على النبي ﷺ وعلى المسلمين
ويحتالون أشد أنواع الحيل لإيقاع الإيذاء بال المسلمين دون أن
يقاتلوا المسلمين.

لκنهم خافوا من النبي ﷺ وأصحابه بعد الانتصار
في يوم بدر وبعد إجلاء اليهود بنى قينقاع.

ولκنهم بعد غزوة أحد تجروا، فكاشفوا بالعداوة
والغدر، وأخذوا يتصلون بالمنافقين والمشركين من أهل
مكة سراً ويعملون لصالحهم ضد المسلمين.

وصبر النبي ﷺ حتى ازدادوا جرأة وجسارة بعد
وقعة الرجيع وبتر معونة، حتى قاموا بمؤامرة تهدف إلى
القضاء على النبي ﷺ.

وبيان ذلك: أنه ﷺ خرج إليهم في نفرٍ من
 أصحابه، وكلّمهم أن يعينوه في دية الرجلين اللذين
قتلهم عمرو بن أمية الضمرى - وكان ذلك يجحب عليهم
حسب بنود المعاهدة - فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس
هنا حتى نقضى حاجتك. فجلس إلى جنب جدار من

بيوتهم يتضرر وفاءهم بما وعدوا، وجلس معه أبو بكر
وعمر وعلى وطائفه من أصحابه^(١).

نَمْ خَلَا بَعْضُهُمْ بِعِضْ فَقَالُوا: إنكم لن تجدوا الرجل
على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار
من بيتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى
عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن
جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك. فصعد ليلقى عليه
صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه
فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضوان الله عليهم فأتى رسول
الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج
راجعاً إلى المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه،
قاموا في طلبه، فلقوه رجلاً من المدينة فسأله عنه فقال:
رأيته داخلاً المدينة، فما قبل أصحاب رسول الله ﷺ
حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود
أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالشهادة
لحربهم والسير إليهم.

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣١٧).

وَمَا لَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ بَعَثَ مُحَمَّدًا بْنَ مُسْلِمَةَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ لِيُخْبِرُهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْمُرُهُمْ بِالْخُرُوجِ.

وَلَمْ تَجِدْ يَهُودٌ مَفْرَاً مِنَ الْخُرُوجِ، فَأَقَامُوا أَيَامًا يَتَجَهَّزُونَ لِلرَّحِيلِ، لَكِنْ رَئِيسَ الْمَنَافِقِينَ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي - بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَنَّ اثْبِتُوا وَقْتَنِعُوا، وَلَا تَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ، فَإِنْ مَعَ الْفَقِيرِ يَدْخُلُونَ مَعَكُمْ حَصْنَكُمْ، فَيَسْمُوْنَ دُونَكُمْ، «أَلمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرَجْتُمُنِّي مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيْكُمْ أَحَدًا أَبْدًا وَإِنْ قُوْتُمْ لَنُصْرِنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ»^(١) وَتَنْصُرُكُمْ قَرِيْظَةُ وَحَلْفَاؤُكُمْ مِنْ غَطْفَانٍ.

وَهُنَاكَ عَادَتْ لِلْيَهُودِ ثُقْتُهُمْ، وَاسْتَقَرَ رَأْيُهُمْ عَلَى الْمُوَاجِهَةِ، وَطَمِعَ رَئِيسُهُمْ حُبَيْبَيْ بْنُ أَخْطَبٍ، فِيمَا قَالَهُ رَأْسُ الْمَنَافِقِينَ، فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّا لَا نَخْرُجُ مِنْ دِيَارِنَا، فَاصْنِعْ مَا بَدَأْتَكَ.

فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَوابَ حُبَيْبَيْ بْنِ أَخْطَبٍ

(١) سورة الحشر الآية: (١١).

كَبَرْ وَكَبَرْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ نَهَضَ لِنَاجِزَةِ الْقَوْمِ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَسَارَ إِلَيْهِمْ وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَحْمِلُ الْلَّوَاءَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ فَرِضَ عَلَيْهِمُ الْحَصَارَ. وَالْجَأْ بْنُ النَّضِيرَ إِلَى حَصُونِهِمْ، فَأَقَامُوا عَلَيْهَا يَرْمُونَ بِالنَّبِلِ وَالْحِجَارَةِ، وَكَانَتْ نَخِيلَهُمْ وَبَسَاتِينُهُمْ عَوْنَانِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَطْعِهَا وَتَحْرِيقِهَا.

وَاعْتَزَلُوهُمْ قَرِيبَةً، وَخَانُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَحْلَفَةِ هُمْ مِنْ غُطْفَانَ، فَلَمْ يَحَاوِلْ أَحَدٌ أَنْ يَسُوقَ لَهُمْ خِيرًا، أَوْ يَدْفَعَ عَنْهُمْ ضَرًّا، وَلِهَذَا شَبَهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى قَصْتَهُمْ، وَجَعَلَ مَثَلَهُمْ: ﴿كَمَثْلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِإِنْسَانٍ أَكُفِرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بِرِّيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وَلَمْ يَطُلِ الْحَصَارَ - فَقَدْ دَامَ سَتِ لَيَالٍ فَقَطْ، وَقِيلَ: خَمْسَ عَشْرَةِ لَيْلَةً - حَتَّى قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ، فَاندَحَرُوا وَتَهَيَّؤُوا لِلْإِسْلَامِ وَلِلِقَاءِ السَّلَاحِ فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَحْنُنْ نَخْرُجَ عَنِ الْمَدِينَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ عَلَى

(١) سورة الحشر: الآية: (١٦).

أن يخرجوا عنها بفسوسم وذاريم، وأن لهم ما حملت
الابل إلا السلاح.

فنزلوا على ذلك، وخرروا بيوتهم بأيديهم، ليحملوا
الأبواب والشبابيك، بل حتى حمل بعضهم الأوتاد
وجذوع السقف، ثم حملوا النساء والصبيان، وتحملوا
على ستمائة بعير، فترحل أكثرهم وأكابرهم كحبي بن
أخطب، وسلام بن أبي الحقيق إلى خيبر، وذهب طائفة
منهم إلى الشام، وأسلم منهم رجلان فقط: يامين بن
عمرو وأبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما.

وقبض رسول الله ﷺ سلاح بنى النضير،
 واستولى على أرضهم وديارهم وأموالهم فوجد من
السلاح خمسمائة درعًا، وخمسمائة بيضة (خوذة) وثلاثمائة
وأربعين سيفاً^(١).

* * *

(١) الرحيق المختوم: (ص: ٣١٩).

مؤامرة حقيرة

ولما اجتمعت كتائب الكفر في غزوة الأحزاب (الخندق) وأرادوا أن يسيدوا الإسلام وأهله... وكان هناك معااهدة بين النبي عليه السلام وبني قريظة على أن يقفوا في وجه كل من أراد الشرب (المدينة)... لكن حُسين بن أخطب (والد صفية) ذهب إلى بني قريظة في ديارهم، فقال: قد جنتم بعزم الدهر، جنتم بقریش على سادتها، وغطfan على قادتها، وأنتم أهل الشوكة والسلاح، فهيا حتى نقاتل محمداً وتفرغ منه، فقال له رئيسهم: بل جئتنى والله بذل الدهر، فلم يزل حُسين يخادعه ويعده ويعيشه حتى أجايه بشرط أن يدخل معه في حصنه، يصييه ما أصابهم، ففعل، ونقضوا عهد رسول الله عليه السلام، وأظهروا سبّه، فبلغ رسول الله عليه السلام الخبر، فأرسل يستعلم الأمر، فوجدهم قد نقضوا العهد، فكبّر وقال: «أبشروا يا معاشر المسلمين».

فلما انصرف رسول الله عليه السلام إلى المدينة، لم يكن إلا أن وضع سلاحه، فجاءه جبريل، فقال: «أوضعت

السلاح، والله إن الملائكة لم تضع أسلحتها؟! فانهض من معك إلى بني قريظة، فإنـى سـأرـ أـمامـكـ أـزلـلـ بهـمـ حـصـونـهـمـ، وـأـقـذـفـ فـيـ قـلـوبـهـمـ الرـعـبـ»، فـسـارـ جـبـرـيلـ فـيـ كـوـكـبةـ منـ الـمـلـائـكـةـ، وـرـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ صـلـاـتـهـ عـلـىـهـ وـبـعـدـهـ مـوـكـبـهـ مـهـاجـرـيـنـ وـالـأـنـصـارـ^(١).

لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات

فـأـنـاهـمـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ صـلـاـتـهـ عـلـىـهـ وـبـعـدـهـ فـحـاـصـرـهـمـ خـمـسـةـ وـعـشـرـينـ لـيـلـةـ، فـلـمـ اـشـتـدـ حـصـارـهـمـ وـاشـتـدـ الـبـلـاءـ، قـبـلـ لـهـمـ: اـنـزـلـواـ عـلـىـ حـكـمـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ صـلـاـتـهـ عـلـىـهـ، فـاسـتـشـارـوـاـ (أـبـاـ لـبـابـةـ بـنـ عـبـدـ المـنـذـرـ)، فـأـشـارـ إـلـيـهـمـ أـنـ الذـبـحـ. فـقـالـوـاـ: نـزـلـ عـلـىـ حـكـمـ سـعـدـ بـنـ مـعـاذـ.

قال رسول الله ﷺ: «احكم فيهم».

قال سعد: فإنـى أـحـكـمـ فـيـهـمـ أـنـ تـُـقـتـلـ مـقـاتـلـهـمـ وـتـُـسـبـيـ

(١) سـنـقـ عـلـيـهـ: روـاهـ البـخـارـيـ (٤١١٧ـ) كـتـابـ المـغـارـيـ، وـمـسـلـمـ (١٧٦٩ـ) كـتـابـ الجـهـادـ وـالـسـبـرـ.

ذاريهم وتنقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ : «القد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله ﷺ »^(١) وفي بني قريطة نزل قول الله تعالى : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبهم وقدف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً^(٢) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطهوها وكان الله على كل شيء قادر»^(٣).

* وكان حكم سعد في غاية العدل والإنصاف، فإن بني قريطة بالإضافة إلى ما ارتكبوا من الغدر الشنيع . . . كانوا قد جمعوا لإبادة المسلمين ألفاً وخمسمائة سيف، وألفين من الرماح، وثلاثمائة درع، وخمسمائة ترس وجحفة، حصل عليها المسلمون بعد فتح ديارهم.

وأمر رسول الله ﷺ فحبست بنو قريطة في دار بنت الحارث امرأة بنى النجار، وحُفرت لهم خنادق في سوق المدينة، ثم أمر بهم فجعل يذهب بهم إلى الخنادق جماعات، وتُضرب في تلك الخنادق أعناقهم.

(١) حسن؛ رواه أحمد (٦/١٤١)، وحده العلامة الألباني رحمة الله في الصحيحة (٦٧).

(٢) سورة الأحزاب: الآيات: (٢٦-٢٧).

مقتل أبيها

وهكذا تم استصال أفاعي الغدر والخيانة، الذين كانوا
نقضوا الميثاق المؤكدة، وعاونوا الأحزاب على إبادة المسلمين
في أخرج ساعة كانوا يمرون بها في حياتهم - وكانوا قد
صاروا بعملهم هذا من أكابر مجرمي الحروب الذين
يستحقون المحاكمة والإعدام.

وُقتل مع هؤلاء شيطان بنى النضرير، وأحد أكابر
مجرمي معركة الأحزاب حُمَّى بن أخطب والد صفية أم
المؤمنين رضي الله عنه... كان قد دخل مع بنى قريظة في
حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان؛ وفأَلْكعب
ابن أسد بما كان عاهده عليه حينما جاء يثيرون الغدر
والخيانة أيام غزوة الأحزاب، فلما أتى به - وعليه حلقة
قد شقَّها من كل ناحية يقدر أملة لثلا يسلبها - مجموعة
يداه إلى عنقه بحبلٍ، قال لرسول الله عليه السلام : أما والله
ما لُمْت نفسى في معاداتك، ولكن من يغالب الله يُغلب .
ثم قال: أيها الناس، لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر

وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضررت
عنقه ^(١).

صفيّة ترى رؤيا بزواجهما من النبي ﷺ

ذاع خبر ما أصاب يهود بنى قريطة لدى سائر اليهود
المتشرين في شتى أنحاء جزيرة العرب . وعلم يهود بنى
النضير ، بما كان من مقتل رئيسهم حبيبي بن أخطب الذي
خرج يُحِبِّ الأحزاب ويجمع الجموع ، للقضاء على
محمد عليه السلام ، وأدركت ابنته صفيّة أن أباها الذي سمعته ،
وهي بعد طفولة صغيرة ، يعلن لعمها أبي ياسر عداوته
لمحمد ما بقى ، قد ظل حَقًّا على عداوته له حتى قتله
هذه العداوة وقضت عليه .

وكانت صفيّة حينذاك قد شبّت فتاة نصرة حلوة
تجملها وضاءة أحاذة ، ويزينها عقل راجح ثابت ، وطبعها
هدوء محبب ، ورزانة مرغوبة .

وكانت حينذاك زوجة لرجل من كبار يهود بنى

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٤٣)

النضير، ومن أوائل أصحاب الرأى والمشورة فيهم، هو سلام بن مشكم، وفارقها سلام ليتزوجها من بعده كنانة بن الريبع بن أبي الحقير، وهو من كبار رجال بنى النضير أيضاً، وصاحب حصن (القموص) أمنع حصون خمير، وصاحب كنز اليهود (أى: المتولى أمر أموالهم والمؤمن على حليهم وذهبهم).

وفي ذات يوم قامت العروس صفية من نومها تقصُّ على زوجها كنانة رؤيا رأتها في المنام، كانت موضعاً لعجبها ودهشتها فقالت: رأيت في المنام أن قمراً أقبل من ناحية المدينة حتى وقع في حجري.

وما إن أتممت صفية ذكر رؤياها لزوجها، حتى رأته وقد تطاير شر الغضب من عينيه ثم ما أحسست إلا ويده تهوى بقوه وشدة على وجهها تلطمها وهو يقول: ما هذا إلا أنك تتمرين ملك الحجاز: محمدًا.

واحتقن ما حول عين صفية من أثر اللطمة، ثم تحولَ هذا الاحتناق مع مرور الزمن إلى كدمة زرقاء قاتمة^(١).

(١) أزواج النبي / أ. عبد المنعم الهانسي (ص: ٣٩٤ - ٣٩٥).

خروفة خيبر

لما اطمأن رسول الله ﷺ من أقوى أجنحة الأحزاب الثلاثة، وأمن منه أمناً بائناً بعد الهدنة، أراد أن يحاسب الجناحين الباقيين - اليهود وقبائل نجد - حتى يتم الأمان والسلام، ويسود الهدوء في المنطقة، ويفرغ المسلمون من الصراع الدامي المتواصل إلى تبليغ رسالة الله والدعوة إليه.

ولما كانت خيبر هي وكررة الدسُّ والتامر، ومركز الاستفزازات العسكرية ومعدن التحرشات وإثارة الحروب، كانت هي الجديرة بالتفاقات المسلمين أولاً، وكان أهل خيبر يتحينون الفرصة للنيل من الإسلام ورسوله والمسلمين... وأنباء عودة المسلمين بعد صلح الحديبية إلى المدينة، وقد عُرف أن قريش لم تسمح لهم بدخول مكة، وظنوا بذلك الظنون من أنه لو لا ضعف أصحاب محمداً ﷺ والمسلمين لما قبل شروط هذا الصلح المجحف، فهربوا إلى غطفان وأعراب الباذية ليدعوهم لحرب الرسول ﷺ ويؤلبوهم على المسلمين.

بلغت هذه الأنباء الرسول ﷺ فاثر أن يفاجئهم
ﷺ قبل أن يفاجئوه.

وجاء المُخالفون عنه في الحديبية ليخرجوا معه رجاء
الغئمة، وكانوا من المنافقين الذين رجعوا عن الخروج معه
يوم الحديبية.

وجاء أمر الله عز وجل بأنه لا يخرج إلى خيبر إلا
المؤمنون حقاً، وهو لاء المنافقون لا يخرجون معه ولا
يتبعوه أبداً فقال عز وجل : ﴿سِقْوَلُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى
مَغَانِمٍ لَتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَبَعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ
تَتَبَعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَسِقْوَلُونَ بَلْ تَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا
يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

لذلك فقد حدد رسول الله ﷺ من يخرج معه إلى
خيبر وهم أهل الشجرة الذين بايعوه تحت الشجرة فرضي
الله عنهم لأنهم لم يبايعوا الرسول ﷺ فحسب، بل
بايعوا الله عز وجل - وذلك كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ
اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا بَيَاعُوكُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ

(١) سورة النون : الآية : (١٥).

السُّكْنِيَّةُ عَلَيْهِمْ وَأَثَابُهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ^(١٨) وَمَعَانِمُ كَثِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ
اللَّهُ أَعْزِيزًا حَكِيمًا ^(١٩).

وقد قام المنافقون يعملون لليهود، فقد أرسل رأس
المنافقين عبد الله بن أبي إلی بهود خيبر: أن محمدًا قصد
قصدكم وتوجه إليكم، فخذلوا حذركم، ولا تخافوا منه،
فإن عدكم وعدكم كثيرة، وقوم محمد شرذمة قليلون،
عُزَلَ لا سلاح معهم إلا قليل، فلما علم ذلك أهل خيبر،
أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق وهو ذي قيس إلى غطفان،
يستمدونهم؛ لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر، ومظاهرين
لهم على المسلمين، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم
غلبوا على المسلمين.

خرج جيش المسلمين يحمل الراية السوداء العظيمة
المعروفة بالعقاب وهو النسر الأسود، سيد الطيور وكانت
الراية من بُرُد لعائشة رضي الله عنها، ولما أشرف الرسول صلوات الله عليه وسلم
على خيبر قال لأصحابه الأبطال: «قفوا» فوق الجبل.

ثُمَّ دَعَا دُعَاءَ الْمُسْتَجَابِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَمَا

^(١٨) سورة التغع: الآيات: (١٨، ١٩).

أظللن، ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما
أضللن، ورب الرياح وما أذرين، نسألك خير هذه القرية،
وخير أهلها، ونعود بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا باسم
الله ^(١).

وأراد الرسول ﷺ أن ينادي أهل خيبر، فبات
والمسلمون تلك الليلة واليهود لا يشعرون بهم، فلما
أصبح النبي ﷺ صلى الفجر وركب المسلمين،
وبينما المزارعون من يهود خيبر يخرجون في هذا
الصباح إلى بساتينهم ومزارعهم، وهم يحملون فؤوسهم
وأدوات رعايتهم، إذ بأهليهم وأصحاب حصونهم،
يسمعون صياحهم ونداءاتهم وهم مقبلون عليها في هرج
ومرج واختطاب، واحتلاط، لأنهم قد تملّكهم الرعب،
واستبدّ بهم الفزع، وكانتوا يقولون: هذا محمد قد جاء
والجيش معه. لقد هتفوا: محمد والله، محمد
وأصحابه.

(١) قال الهيثمي في المجمع (١/٩٥): رواه الطبراني وفيه راو لم يسم، وبيه
روي له لفظات.

(٢) ابن الأثير (٢/٤١٧).

أَمَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ هَتَّفَ قَاتِلًا: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرَبَتْ خَيْرٌ إِنَّا إِذَا نَزَّلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَّاجُ الْمُنْذَرِينَ»^(١).
 وَخَرَبَتْ خَيْرٌ كَمَا تَبَأَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ سَقَطَتْ حَصَونُهَا بَعْدَ قَتَالٍ عَنِيفٍ شَدِيدٍ حَصَنًا بَعْدَ حَصَنٍ فِي أَيْدِيِّ الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتَوْلَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَا بِالْحَصُونِ مِنْ عَتَادٍ وَمَؤْنَةٍ وَسَلَاحٍ، وَوَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ نِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ سَبَّابِيَا لَهُمْ وَأَسْرَى^(٢).

مقتل كنانة بن الربيع زوج صافية

لَمْ تَجِدِ الْيَهُودُ بُدَاءً مِنَ الصلَحِ، فَعَرَضُوا الصلَحَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ نَصْفُ ثَمَارِ خَيْرٍ، وَلِلْيَهُودِ النَّصْفُ الْآخَرُ نَظِيرٌ عَمَلُهُمْ فِي الْأَرْضِ.

وَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنَانَةَ بْنَ الْرَّبِيعَ عَنْ أَمْوَالِ الْيَهُودِ وَذَهَبِهِمُ الَّذِينَ حَمَلُوهُمَا بَنْوَ قِينَاعٍ وَبَنْوَ النَّضِيرِ مَعَهُمْ

(١) **حَسَقَ عَلَيْهِ:** رواه البخاري (٣٧١) كتاب الصلاة، ومسلم (١٣٦٥) كتاب النكاح.

(٢) أَرْوَاجُ النَّبِيِّ (ص: ٣٩٦ - ٣٩٧).

عندما غادروا المدينة، فأنكر كنانة وجودهما قائلًا: يا أبا القاسم، أنفقناهما في حربنا، فلم يبق منها شيء.

فقال النبي ﷺ لكناته: «برئت منكم ذمة الله، وذمة رسوله، إن كان عندكم شيء من أموالكم وذهبكم».

أجاب كنانة: نعم.

وقال النبي ﷺ: «أرأيت إن وجدناه عندك، أقتلك؟».

قال كنانة: نعم.

فأشهد النبي ﷺ طائفه من اليهود، وطائفه من المسلمين على ذلك، ثم أمر بالبحث عن أموال اليهود، ذهبيهم اللذين أنكم كنأة وجودهم، وأقسم عليه.

واكتشف كنز اليهود، وقد خبأه كنانة في خربة من
حيات خرى، وبذلك حادم كنانة للمسلمين.

• 48

• 10 •

وأصبحت صافية من نصيب النبي ﷺ

وبعد هذا النصر الكبير الذي تم لل المسلمين في غزوة خيبر،

جاء الصحابي الكريم دحية بن خليفة الكلبي عندما جمع النبي فقال: يا نبى الله، أعطنى جارية من النبي. فقال: «اذهب فخذ جارية».

فأخذ صافية بنت حبي. فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبى الله أعطيت دحية صافية بنت حبي سيدة فريطة، وبنى النضير... وهى لا تصلح إلا لك. قال: «ادعوه بها».

فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «خذ جارية من النبي غيرها» وذهب دحية إلى حيث جمع النبي، وأخذ جارية أخرى هي اخت كنانة بن الريبع بن أبي الحقيق زوج صافية^(١).

وكان لرسول الله ﷺ سهم من الغنيمة يُدعى الصَّفْى، إن شاء عبداً، وإن شاء أمة، وإن شاء فرما

(١) يتحقق عليه: رواه البخاري (٣٧١) كتاب الصلاة، ومسلم (١٣٦٥) كتاب النكاح

يختاره قبل الحُمُس ،

قالت أم المؤمنين: عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها :
وكانت صفية من الصَّفَى . فاختارها عَلَيْهِمْ ^(١) .

وبينما كانت صفية تنتظر مع عمومتها ما يجريه عَلَيْهِنَّ حُكْمَ الْأَسْرِ ، أتَاهَا بَلَالٌ يَدْعُوْهَا لِتَقْفِي بَيْنَ يَدَيِّ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَصَحَّبَتْ صَفِيَّةَ بَلَالًا إِلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَعَهَا إِحْدَى بَنَاتِ عَمِّهَا ، وَفِي الطَّرِيقِ مَرَّ بَهُمَا بَلَالٌ عَلَى جَثَّ قَتْلَى قَوْمِهِمْ وَأَشْلَانِهِمْ وَرَأَتْ صَفِيَّةَ وَابْنَةَ عَمِّهَا قَتْلَاهُمَا ، وَرَأَيَا شِدَّةَ مَا فَعَلَتْ قَوْةُ الْحَرْبِ بِهِمْ جَزَاءَ خِيَانَتِهِمْ .

لَمْ تُسْتَطِعْ صَفِيَّةَ أَنْ تَمْسِكَ نَفْسَهَا عَنِ الْبَكَاءِ فَانْحَدَرَتْ دَمَوْعَهَا عَلَى خَدَّهَا فِي حَسِينٍ صَرَخَتْ ابْنَةُ عَمِّهَا وَوَلَوْلَتْ وَصَاحَتْ صَبَاحًا شَدِيدًا ... وَوَقَفَتْ صَفِيَّةَ وَابْنَةُ عَمِّهَا وَهُمَا عَلَى هَذَا الْحَالِ أَمَامُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَعْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ بِمَا كَانَ مِنْ بَلَالٍ حَسِينٍ مَرَّ بِالْفَتَاتِينَ عَلَى قَتْلَى قَوْمِهِمَا فَاسْتَنْكَرَ مِنْ بَلَالٍ هَذَا الْفَعْلُ ، وَقَالَ لَهُ :

(١) نَسَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ / ١. اَحْمَدُ خَلِيلُ جَمِيعَةِ (ص: ٣٤٧ - ٣٤٨).

«أَنْزَعْتُ مِنْكَ الرَّحْمَةَ يَا بَلَالَ، حَتَّىٰ ثَرَ بِامْرَاتِينَ عَلَىٰ قَتْلِي

رَجَالَهُمَا؟!»^(١)

فقال بلال معتذراً: يا رسول الله، ما ظنتُ أنك تكره

ذلك، فاحببته أن يريها مصارع قومهم؟

وحينما همَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^{عليه السلام} بمعادرة خبير، بعد أن انتهى من تدبير أمر اليهود كانت صفيحة قد أسلمت وتخبرت رسول الله، فحينما خيرها الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^{عليه السلام} بين الإسلام والمسيحية قالت: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقتك بك قبل أن تدعوني إلى ذلك، فأعتقها رسول الله، وجعل عتقها صداق زواجه منها^(٢).

الزفاف المبارك

وبعد انتهاء الغزوة أمر النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ^{عليه السلام} أصحابه بالرحيل لمعادرة خبير وخير النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ^{عليه السلام} صفيحة بين أن يعتقها فترجع إلى من يبقى من أهلها في خبير، أو أن تشهد

(١) الحديث من رواية إسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق صاحب «السيرة» معلقاً، انظر «السيرة النبوية» (٤٦٨/٣).

(٢) زواج النبي / ١. عبد المعم الهاشمي (من: ٢٩٩ - ٤٠٠).

شهادة الحق فتسلم، وحينذاك يتخذها لنفسه؛ فقالت:
اختار الله ورسوله، ... فاعتقها. وجعل عتقها مهرها
وصداقها.

لقد اختارت صفة الله ورسوله، وعللت ذلك بقولها:
يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقتك بك قبل أن
تدعوني، حيث صرت إلى رحلتك.

وبعد أن عرف المسلمون أن النبي ﷺ قد اختار
صفية بنت حبيبي لتكون زوجة له ولتكون من أمهات
المؤمنين... قام النبي ﷺ واقترب منها وقدم لها
البعير لتركبها وثنى لها رجله لوضع قدمها على فخذه
مساعدة لها على الركوب، فأبانت صفة أن تضع قدمها
على فخذ رسول الله، ووضعت ركبتها بدلاً من قدمها،
وعلى بعد ستة أيام من خبر حَطَّ النبي ﷺ يعني
الرزف بعروسه فأبانت عليه صفة ذلك.

ووجد النبي ﷺ في نفسه وحزن لما بدا من صفة،
فلما كان بالصهباء (وهي موضع على بعد مرحلة من
خيبر) نزل النبي ﷺ، وطلب من أم سليم أن تُعِدَّ

صفية لزفافها.

وبعد ذلك أعرس بها رسول الله ﷺ بعد أن حلت، فمشطتها أم سليم الانصارية وعطرتها، وكانت أضوأ ما يكون من النساء.

ولما أصبح رسول الله ﷺ سأله صافية: «ما حملك على الامتناع من النزول أولاً؟».

فقالت: خشيت عليك من قرب اليهود.

فزادها ذلك منزلة ومكانة عند النبي.

ثم أمر النبي ﷺ أصحابه أن يأتوا بما عندهم من الطعام فجمعوا طعاماً كثيراً وعملوا وليمة رسول الله ﷺ وزوجته صافية.

وما أجمل أن تتدبر سوياً كيف كان الحبيب ﷺ رحيمًا متواضعًا يخاطب كل من حوله برحمه وحنان ويدع له المجال ليُعبر عمما يجيش في نفسه ثم يخاطبه بكل رحمة ليُزيل الشُّبه ويُجلِّي الحقائق.. وهذا هو الذي حدث مع أمها صافية رضي الله عنها.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان يعيني صافية خُضرة، فقال

لها النبي ﷺ : «ما هذه الخضراء بعينيك؟».

قالت: قلت لزوجي: إنِّي رأيت فيما يرى النائم كأنَّ قمراً وقع في حجري، فلطمته، وقال: أتریدين ملكَ يشرب؟ قالت: وما كان أبغض إلىَّ من رسول الله ﷺ قتل أبي وزوجي، فما زال يعتذر إلىَّ وقال: «يا صفيه إنَّ أباكَ أَلْبَ علىَّ العربَ وفَعَلَ وفَعَلَ» حتى ذهب ذلك من نفسي^(١).

ولا نجد تعليقاً على هذا الموقف العظيم إلا أن نتذكر قول الله عز وجل حيث يقول: «لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ»^(٢).

في بيت النبوة

وعادت صفيه رضي الله عنها مع الحبيب ﷺ بعد أن بني بها في طريق العودة إلى المدينة المنورة.. وكانت في قمة السعادة فهي التي لم يخطر ببالها أن تكون واحدة من

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤ / ٦٧ / ١٧٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصححة (٢٧٩٣).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

نساء المؤمنين فكيف وهي الآن من أمهات المؤمنين .
يا لها من لحظة سعيدة يعجز القلم عن وصفها !!! .

جاء البشير إلى أهل المدينة يُعلمهم بقدوم رسول الله ﷺ ، فخرجت المدينة تستقبل رسول الله ﷺ عند عودته من هذه الغزوة . . . كانت وجوه الرجال تنهل بالبِشَرِّ ، والولدان يغمرهم الفرح ، بينما كانت النساء على أسطح المنازل ، وقد عمّرت أفندتنهن بالسرور .

أما المنافقون ، فقد كانوا في كمٍ رهيب ، يُظهرون غير ما تخفي الصدور ، فقد احتلأت قلوبهم غيظاً بنصر رسول الله ﷺ ، وفضحهم الله عز وجل ، وجعل كلمة الذين كفروا السفل ، وكلمة الله هي العليا .

وكانت النسوة في دور النبي ﷺ يتاهنن لاستقبال نبي الإسلام ، وحبيب المسلمين الذي نصره الله عز وجل بقلوب سليمة ، وعزم صادقة ، ونفوس صافية .

ويبدو أن أمّا عائشة الصديقة بنت الصديق زوجها قد أخذت الغيرة من نفسها مكاناً واسعاً ، بعد أن جاءها بـ زواج رسول الله ﷺ من صفيه بنت حبيبي ملك اليهود ،

تلك الشابة الجميلة، ذات السبعة عشر عاماً.

بلغ الرَّكْبُ الْمِيمُونَ الْمَدِيْنَةَ الْمُنُورَةَ، وَأَثَرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلَا يَدْخُلَ عَلَيْهِ الظَّاهِرَاتُ بِصَفَّيَةِ الصَّافِيَةِ، وَأَحَبَّ أَنْ يُتَزَّلِّهَا فِي بَيْتِ الصَّحَابِيِّ النَّجِيبِ حَارِثَةَ بْنِ النَّعْمَانِ الْأَنْصَارِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَسَمِعَتْ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ بِصَفَّيَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، تِلْكَ الَّتِي دَخَلَتْ فِي عِدَادِ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الظَّاهِرَاتِ، وَجَنَّ يَنْظَرُ إِلَى جَمَالِهَا وَكَمَالِهَا^(١).

الكريمة صاحبة القلب الرقيق

وَلَا انتَقَلَتْ صَفَّيَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى دُورِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ تَحْمِلُ كُلَّ الْخَيْرَ لِأَخْوَاتِهَا (أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ) عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَدْ بَدَأَتْ بِتَقْدِيمِ الْهَدَى لَهُنَّا وَلَكِنَّهَا بَدَأَتْ بِرِيحَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقَدَّمَتْ لَهَا هَدِيَّةً غَالِيَّةً... بَلْ قَدَّمَتْ بَعْضَ الْهَدَى لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ... .

* وبالها من أُمٌّ لبيبة عاقلة علمت كيف أن الهدية لها

^(١) نِسَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ (ص: ٣٥٢).

موقع وأثر عظيم في قلوب الناس من حولها فقد قال
عليه السلام : «تهادوا تحابوا»^(١).

ولكنها مع ذلك كانت تشعر بغرابة شديدة لأن أزواج
النبي عليه السلام الطاهرات لا يستطيعن أن ينسين أصلها وأنها
كانت في يوم من الأيام يهودية ولكن الله أعزها وأكرمها
بنعمته الإسلام.

إنك لابنة نبى ... وإن عمك لنبى ...

وإنك تحت نبى

بلغ صفيحة أن حفصة قالت عنها أنها: بنت يهودي،
فبكى، فدخل عليها النبي عليه السلام وهي تبكي، فقال: «ما
ييك؟»؟ فقالت: قالت لى حفصة إني بنت يهودي، فقال
النبي عليه السلام : «إنك لابنة نبى، وإن عمك لنبى، وإنك تحت
نبى، ففيما تفخر عليك؟» ثم قال: «اتقى الله يا حفصة»^(٢).

(١) حسن: أخرجه البيهقي (٦١٩/٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو
يعلى (٩/١١)، وحسنة العلامة الآلباني رحمه الله في صحيح البخاري (٣٠٠١).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٩٤) كتاب المناقب، وصححه العلامة الآلبانى
رحمه الله في المشكاة (٦١٨٣).

بل وحدث ذات مرة أن قامت عائشة رضي الله عنها وعيرت صفيه رضي الله عنها بأنها قصيرة فلم يرض النبي صلوات الله عليه وسلم منها ذلك ولم يُقره.

عن عائشة قالت: قلت للنبي صلوات الله عليه وسلم: حسبك من صفة كذا وكذا - تعنى: قصيرة - فقال: «القد قلت كلمة لو مُرجمت بماء البحر لمزجته» (١).

بل وحدث شيء قريب من ذلك من زينب بنت جحش رضي الله عنها فغضب النبي صلوات الله عليه وسلم لذلك وعتب عليها حيناً من الدهر.

فإنه لما حج النبي صلوات الله عليه وسلم بناته حدث شيء من أمنا زينب بنت جحش رضي الله عنها جعل النبي صلوات الله عليه وسلم يغضب عليها غضباً شديداً حتى هجرها ولم يأتها حتى كادت زينب أن تيأس من أن يغفو عنها النبي صلوات الله عليه وسلم.

وذلك أن النبي صلوات الله عليه وسلم لما حجَّ بأزواجه اعتلىَ وبَرَكَ الجمل الذي كانت تركبه صفيه فأعاقها ذلك عن مصاحبة

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٥) كتاب الأدب، والترمذى (٢٥٠٢) كتاب صفة القيمة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٤٠).

سائر أزواج النبي ﷺ .

فلما علم النبي ﷺ بذلك جاء إليها فوجدها تبكي فأخذ يمسح دموعها بيده ثم ذهب إلى زينب بنت جحش وطلب منها أن تعطى صفية جملًا تركب عليه فقد كانت زينب تملك الكثير من الإبل .

قالت له زينب: أنا أعطى هذه اليهودية؟!

فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا وهجرها ولم يأتها . . . وظل النبي ﷺ على تلك الحالة ما يقرب من ثلاثة أشهر حتى كادت زينب أن تيأس من عفوه ورضاه عنها .

وبينما هي جالسة في بيتها فى يوم من الأيام إذ وجدت النبي ﷺ واقفًا خلفها فكاد قلبها أن يطير من شدة الفرح والسعادة ولم تعرف ماذا تفعل لتعبر للنبي ﷺ عن سعادتها بعودته إليها .

وكان عند زينب جارية تحبها حبًا شديدًا فوهبتها هدية للنبي ﷺ .



والله إنها لصادقة

كانت أم المؤمنين صفية رضي الله عنها ذات سريرة صافية، وعلانية نقية، فقد أحبت رسول الله صلوات الله عليه وسلم ، وصدقت في حبها لله عز وجل ، فجاءت تصرفاتها نابعة من معين الصدق، ومعين الوفاء، مما جعلها متفردة في بعض المواقف العطرة، وشهد رسول الله صلوات الله عليه وسلم لأمنا صفية بالصدق بعد أن أقسم على ذلك ^(١) .

عن زيد بن أسلم: أن نبى الله فى وجعه الذى **تُوفى** فيه، قالت صفية بنت حسى: والله يا نبى الله لو ددت أن الذى بك بي. فغمزها أزواجه؛ فابصرهن. فقال: «مضمضن». قلن: من أى شئ؟ قال: «من تغامزن بها، والله إنها لصادقة» ^(٢) .

فيما لها من منقبة عظيمة لأم المؤمنين (صفية) أن يشهد لها الصادق الذى لا ينطق عن الهوى صلوات الله عليه وسلم بأنها صادقة بل ويقسم بالله على ذلك.

(١) نساء أهل البيت (ص: ٣٥٨).

(٢) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٢٨) وروجاه ثقات لكنه مرسلاً.

على رسالكم إنها صافية

وها هو موقف عظيم يوضح مكانة صافية رض في قلب النبي صلوات الله عليه وسلم ويوضح أيضاً مدى شفقة النبي صلوات الله عليه وسلم ورحمته بأمتة.

عن صافية بنت حبيبي، قالت: كان النبي صلوات الله عليه وسلم معتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً، فحدثه، ثم قمت لأعود إلى البيت، فقام معه النبي صلوات الله عليه وسلم، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلوات الله عليه وسلم أسرعاً، فقال النبي صلوات الله عليه وسلم: «على رسالكم، إنها صافية بنت حبيبي». فقالا: سبحان الله، يا رسول الله! قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإنى خشيت أن يقذف في قلوبكم شرًا»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٣٨) كتاب الاعتكاف، ومسلم (٢١٧٥) كتاب السلام.

استدرك ما فات

وَكَانَتْ صَفِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَجْهَدُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ - جَلْ وَعَلَا - لِتَسْتَدِرَكَ مَا فَاتَ مِنْ عُمْرِهَا فَقَدْ كَانَتْ تَتَمَنِي أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ أَسْلَمَتْ مَعَ أُولَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ عَزَّ ذِيَّلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَتَغْتَمَ كُلُّ لَحْظَةٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَفِي جَوارِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَمَنْ أَجْلَ ذَلِكَ كَانَتْ لَا تَرْكَ لَحْظَةً مِنْ عُمْرِهَا تَمَرِ إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ . . وَكَانَ قُرْبَاهَا مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجْعَلُهَا تَعْلَمُ عَلَى يَدِيهِ كُلَّ مَا يَنْفَعُهَا فِي دِينِهَا وَدُنْيَاها فَكَانَتْ تَنْهَلُ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُدَيهِ وَرَحْمَتِهِ وَبِصَمِيرَتِهِ وَعِلْمِهِ . . بَلْ وَجَلَسَتْ تَحْفَظُ الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - جَلْ وَعَلَا - وَرَاحَتْ تَنْقُلُ سَنَةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النِّسَاءِ مِنْ حَوْلِهَا عَمَلاً بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : «وَإِذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا»^(١) .



(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٤).

فرق مؤلم

ومرت الأيام الجميلة مسرعة فقد كانت صفيه رضي الله عنها
تعيش مع النبي صلوات الله عليه وسلم في جنة الدنيا التي يحفظها الإيمان
من كل جوانبها.

ولكن دوام الحال من المحال فقد جاء اليوم الذي أظلم
فيه الكون كله بممات النبي صلوات الله عليه وسلم فحزنت (صفية) عليه
حزناً شديداً كاد أن يمزق قلبها ولكنها صبرت واحتسبت
النبي صلوات الله عليه وسلم عند الله لتفوز بأجر وثواب الصابرات.

والله يحب المحسنين

وبعد وفاة الحبيب صلوات الله عليه وسلم ظلت صفيه رضي الله عنها على العهد
قائمة صائمة عابدة لله عز وجل... وكان أبو بكر رضي الله عنه
يعرف قدرها ومكانتها السامية... ولما توفي أبو بكر
وتولى عمر الخلافة كان أيضاً يعرف فضلها و منزلتها العالية.
وها هو موقف عظيم من مواقفها التي توضح كيف
أنها كانت رحيمة بكل من حولها بل وتحمل الخير في
قلبها لكل الناس.

روى أن جارية لصافية أتت عمر بن الخطاب، فقالت له إن صافية تحب يوم السبت، وتصل اليهود. فبعث عمر يسألها. قالت: أما السبت، فلم أحبه منذ أبدلتني الله به؛ وأما اليهود، فإن لي فيهم رحمة، فلما أصلتها، ثم قالت للجارية: ما حملتك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان، قالت: فاذهبي فأنت حرة^(١).

لقد كانت بِوْنَقَة تستطيع أن تنتقم لنفسها ولكنها تعلمت العفو عند المقدرة من صاحب الخلق الرفيع محمد ابن عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

موقفها الجليل مع عثمان بن عفان صَدِيقِ الرَّسُولِ

كانت صافية رضوان الله عليها صاحبة مروءة ونجدة، وكان من مروءتها ونجدتها أن خرجت يوم مقتل عثمان بِوْنَقَة من دارها على بغلة يقودها مولى لها، تحاول ردّتأثيرين وتدفعهم عن خليفة المسلمين عثمان بن عفان، وتصدّي الخارجين عليه، الذين حاصروه، ومنعوا عنه الطعام والشراب بغية قتله، فلما لم تستطع ذلك، وضرب

^(١) الاستيعاب (٦٥ / ١٣).

الناس البغة التي تركبها في وجهها وهم لا يعرفون أن
صاحبتها أمٌ من أمهات المؤمنين قالت لمولاهما: رُدْنِي ولا
تفصلني^(١).

ثم وضعت بين دارها ودار عثمان جسراً، كانت تعبره
لتنقل إلى دار عثمان ما استطاعت نقله إليه من الماء
والطعام.

وبهذا التصرف الكريم، عبرت أم المؤمنين صفية عن
عدم رضاها عن الذين ظلموا سيدنا عثمان، وضيقوا
عليه، ومنعوا عنه الطعام والماء، فرأى من واجبها أن
تكون خير معاون لذى النورين عثمان.



وحان وقت الرحيل

واعشت أمّنا صفية بنت أبي قحافة بعد وفاة الحبيب عليه السلام فرابة أربعين سنة كانت كلها في طاعة الله عز وجل ما بين صلاة وصيام وصدقة وعلم ودعوة إلى الله.

ولقد حضرت عصر الخلفاء الراشدين من أوله لآخره وعاشت أحداث الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً ورأت كل ما أخبر عنه الحبيب عليه السلام من النصر والتمكين لل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وفي سنة خمسين من الهجرة نامت أمّنا صفية بنت أبي قحافة على فراش الموت لتلقى ربها راضية مرضية بعد أن مات الحبيب عليه السلام وهو راضٍ عنها.

وماتت بنيتها لتكون مثلاً وقدوة لكل مسلمة إلى يوم القيمة.

فرضى الله عنها وأرضها وجعل جنة الفردوس مثواها^(١).



(١) صحابيات حول الرسول / المصنف (ص: ٢٦٧ - ٢٦٨).

رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها
(أم حبيبة)

رملة بنت أبي سفيان

(أم حبيبة)

حبابي الخلويين

وها نحن نفتح صفحة جديدة نتعرف من خلالها على أمها الغالية رملة بنت أبي سفيان - أم حبيبة - التي ضحت بكل شيء من أجل أن تظفر بنعمة الإسلام والتوحيد.

فقد كانت أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) تعيش مع أبيها في مكة... وكانت طيبة رقيقة القلب تحب الخير لكل الناس من حولها.

* وتمر الأيام ويرسل الله جل وعلا حبيبه محمداً عليهما السلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور،... وكانت أم حبيبة في ذلك الوقت قد تزوجها عبد الله بن جحش. وما إن سمعاً ببعثة النبي عليهما السلام حتى أسرعا إليه

وأسلما لله جل وعلا فهما يعرفان أن النبي ﷺ هو الصادق الأمين الذي يشهد بصدقه وأمانته كل أهل مكة.
 لكن أباها لما علم بسلامها هي وزوجها امتلا قلبه غلاً وحقداً على ابنته وزوجها.

ثباتها على دينها

وأبو سفيان كان سيداً من سادات قريش ولم يكن يخطر بباله لحظة واحدة أن هناك من يستطيع أن يخالف أمره أو يخرج عن سلطانه لكن ابنته (رملا) التي تُكَنَّى بـ(أم حبيبة) شرح الله صدرها للإسلام فاستجابت لدعوة الحق من أول لحظة وأسلمت لله - جل وعلا - وتركت دين الآباء والأجداد ونبذت الأصنام التي كانوا يسجدون لها من دون الله عز وجل.

وحاول أبو سفيان بكل ما أوتي من قوة أن يردد ابنته وزوجها إلى دين الآباء والأجداد فلم يستطع لأن الإيمان إذا لامس شغاف القلوب فلا يستطيع الكون كله - ولو اجتمع - أن يقتلع الإيمان من هذه القلوب التي رسخ فيها الإيمان وعمقت جذوره.

الهجرة إلى الحبشة

ولما تيقنت قريش من أن أبا سفيان عاجز عن أن يردد ابنته وزوجها إلى دين الآباء... وأنه أصبح ساخطاً على ابنته وزوجها اجترأت عليهما وبدأت تضيق عليهما الخناق.

ولم يكن هذا التضييق خاصاً بهما بل لسائر المستضعفين من المسلمين فلقد قرر المشركون ألا يألوا جهداً في محاربة الإسلام وإيذاء الداخلين فيه وال تعرض لهم بألوان النكال والإيلام. ومنذ جهر الرسول بالدعوة إلى الله، وعالي قومه بضلالة ما ورثوه عن آبائهم. انفجرت مكة بمشاعر الغضب وظلت عشرة أعوام تَعْدُ المسلمين عصاة ثائرين، فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباحت في الحرم الآمن من دمائهم وأموالهم وأعراضهم^(١).

فلما خشي النبي ﷺ على أصحابه من أن يُفتّنوا في دينهم أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، فهاجروا إلى الحبشة. عندئذ خرج فوج من المسلمين مهاجرين إلى أرض

(١) لقى السيرة للغزالى (ص: ١٢٠).

الحبشة، مستخفين من أعدائهم المشركين، وكان فيمن خرج من مكة مهاجراً إلى الحبشة عبد الله بن جحشن، وأخوه عبد الله تصاحبه زوجته رملة بنت أبي سفيان.

وعند خروج أم حبيبة من مكة، نظرت إلى ربوع مكة، وغطّت وجهها سحابة من الحزن، لأن مكة وطنها الحبيب، الذي بين ربوعه درجة وشبت وكبرت وفيه آمنت، وأسلمت، وعلى يد محمد الأمين عليه السلام الذي بعثه الله بالحق تبيّنت نور الهدى من بين ظلمات الضلال حتى أجبرتها قسوة قومها المشركين على معادرة مكة هي وزوجها، وكثير من المسلمين.

وقد لاقت أم حبيبة والمسلمون في رحلتهم من مكة إلى الحبشة صعوبات ومتاعب هونها عليهم إيمانهم بدينهم، وجهادهم في سبيل الله، وكانت أم حبيبة حاملاً بطفلتها حبيبة، وكان الحمل يرهقها إرهاقاً شديداً فكانت تضيق بمتاعبها وألامها، إلا أنها تحملت المتاعب، وبذلتها في غمرة فرحتها وغضبتها بأن ما تقاسيه ما هو إلا في سبيل دينها وحريتها في عبادة الله، وفي سبيل فرارها

بعقیدتها الجديدة ، وبدینها الجديد .

وقد استقبل النجاشی المهاجرين إلى بلاده بالحفاوة
والترحیب ، وأنزلهم بجواره في خير جوار .

* ولقد أرسل كفار قريش رجلين إلى النجاشی هما
عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة - ليطلبوا من
النجاشی أن يرد هؤلاء المسلمين المهاجرين إلى أهل مكة
مرة أخرى ، لكن النجاشی رفض أن يفعل ذلك إلى أن
يستمع لكلام المسلمين . . . فلما كلامه جعفر بن أبي طالب
فوجئ علی علم النجاشی أن المسلمين على الحق ورفض أن
يردھم إلى كفار قريش بل وأسلم بعد ذلك النجاشی سرًا .
* وهناك عاش المسلمون وعاشت أم حبيبة أجمل أيام
حياتها في ظل دینها وإيمانها وفي ظل هذا الأمان الذي
رأوه في أرض الحبشة .

* وكانت هناك تزور أخواتها المسلمات وتسعد بلقائهن
بين الحين والحين .



محنة شديدة

وظنت أم حبيبة رضي الله عنها أن السعادة ستدوم طويلاً لكنها لم تعلم أن هناك ابتلاء شديد في انتظارها وأنها ستعيش بسيه أصعب أيام حياتها فلقد عكفت زوجها عبد الله بن جحش على شرب الخمر وأخذ يترك مجالس المسلمين ويجلس مع نصارى الخبسة إلى أن أصبح في يوم من الأيام ليقول لها: يا أم حبيبة لقد نظرت في الأديان فما رأيت ديناً خيراً من دين النصرانية... ثم خيرها بين أمرتين: إما أن تتنصر معه وإما أن يطلقها.

هنا تذكرت أم حبيبة ذات يوم رؤيا رأتها ذات ليلة أحزنتها، وأزعجتها، فقد رأت زوجها عبد الله بن جحش في أسوأ صورة، وعلى أبشع خلقه؛ فهبت من نومها وقد أخذها الرعب، واستيقظ بها الفزع وأخذت تفكر فيما رأته من رؤيا، وتستعرض ما لحظته من تغيير وتبديل في أحوال زوجها.

كانت هذه الكلمات بمثابة زلزال يهد كيان أم حبيبة المسلمة المؤمنة، فبهرت لما سمعت من زوجها برغم ما

لاحظته وتبينه من حاله ، فقد تغير بصورة ملحوظة منذ فترة بعيدة ، فما كانت تظن أن زوجها عبد الله بن جحش الذى جاهد طويلاً فى سبيل البحث عن دين حقٌ يعبد به الله ، يخرج على هذا الدين بعد أن وجده ! وما كان يخطر ببالها أن زوجها بعد أن ترك دياره ، وخلف بلاده من أجل أن يتفرغ إلى دين الإسلام ، سوف ينبذ هذا الدين ويدخل فى دين غيره ! .

وحاولت أم حبيبة - وهى المسلمة القابضة على دينها - أن ترفض محاولة زوجها - الذى أصبح نصرانياً - فى ردها عن دينها وإقناعها بدخول دين التنصارى ، فما كان منها إلا أن فارقت زوجها الذى تنصر ، ففارقته ، وعاشت وحيدة مع ابنته حبيبة ، ولا سلوى لها فى محنتها فى زوجها إلا أنها ما زالت على دين الحق ، ولا عزاء لها فى غربتها إلا ما يضىء قلبها بنور الإسلام الذى هداه الله إليها ، ومات زوجها عبد الله بن جحش على دين النصرانية الذى دان به وترك الإسلام .

* وعلم النبي ﷺ بما حدث لأم حبيبة وحزن لذلك

حزناً شديداً.

* وفي تلك الآونة كان النبي ﷺ قد وصله أخبار المهاجرين إلى الحبشة وعلم ما فعله النجاشي مع أصحابه من إكراه وأمان وسلام في بلاده فازداد حباً وتوقيراً لهذا الرجل العظيم وبخاصة بعدما علم أنه قد أسلم سرّاً وأصبح مسلماً وموحداً.

وبدأت العلاقات تعمق بين النبي ﷺ وبين النجاشي .

ففي سنة سبع للهجرة أراد النبي ﷺ أن يدعوا ستة من عظماء الملوك إلى الإسلام... فكتب لكل واحد منهم رسالة رقيقة يحضرها على أن يسلم لله جل وعلا. واختار النبي ﷺ ستة من أصحابه ليذهبوا بتلك الرسائل إلى هؤلاء الملوك... فتعلم كل واحدٍ من هؤلاء الصحابة لغة البلد التي سيذهب إليها.

وكان الذي أرسله النبي ﷺ إلى نجاشي الحبشة هو عمرو بن أمية الضمري .

* وذهب عمرو بن أمية إلى النجاشي وما إن وصل

حتى استقبله النجاشي أحسن استقبال وأكرمه غاية الإكرام.

وما إن جلس معه عمرو حتى أعطاه الرسالة التي جاء بها من عند رسول الله ﷺ . . . وما إن أخذها النجاشي حتى نزل من على سرير الملك ووضع الرسالة على عينيه إجلالاً لها وأعلن إسلامه مرة أخرى أمام الملايين لُعلن استجابته لدعوة النبي ﷺ .

ثم قال: والله لو كنت أستطيع أن أذهب إلى النبي ﷺ لذهبت إليه الآن وجلست بين يديه ووضعت رأسي على قدميه.

ثم كتب إلى النبي ﷺ رسالة رقيقة يخبره فيها أنه قد استجاب لدعوته وأنه قد أعلن التوحيد لله عز وجل .
*** وفي هذه اللحظة** أخرج عمرو بن أمية رسالة أخرى من الرسول ﷺ إلى النجاشي يدعوه فيها إلى أن يزوجه من أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان).



زواج النبي ﷺ من أم حبيبة على يد النجاشي

في صباح يوم مشرقٍ دقَّ باب أم حبيبة في مهجرها بالحبشة، فقامت أم حبيبة إلى الباب تفتحه لتنظر من الطارق، فإذا بالطارق (أبرهة) وهي جارية من جواري النجاشي.

فحيتها أبرهة بتحية أهل الحبشة، وقالت لها:
«إن الملك يقول لك: إن محمداً رسول الله كتب إليه أن يزوجك منه، فوكلني من يزوجك» كانت كلماتها بغتة، ودهشة أصابت أم حبيبة، ... حقاً لقد استولت عليها الدهشة، وتملّكتها العجب، وكان أن تبسمت قليلاً، وطاف بخاطرها رؤيا رأتها في المنام منذ وقت ليس بالبعيد، فقد رأت هاتفًا في المنام يهتف بها، ويقول: «يا أم المؤمنين» هكذا سمعت الهاتف، وفهمت الكلمات على معناها، لكنها اضطررت من الرؤيا في وقتها، وأبعدت عن خيالها أن يكون ما حدث في الرؤيا أضغاث أحلام.

والآن صدقـت الرؤيا ودخلت أبرهـة تبشرـها بما أخبرـها

بـه سـيـدـهـا النـجـاشـى مـلـكـ الـخـبـشـةـ، وـلـكـى يـكـونـ الـخـبـرـ
صـادـقـاـ، وـحـقـيقـةـ لـاـ خـيـالـاـ، يـطـلـبـ منـهـاـ النـجـاشـىـ فـيـ التـوـ
وـالـسـاعـةـ أـنـ تـخـتـارـ مـنـ الرـجـالـ وـكـيـلاـ عـنـهـاـ فـيـ عـقـدـ الزـوـاجـ،
حـتـىـ تـكـتـمـلـ أـرـكـانـهـ، عـنـدـئـذـ اـنـتـبـهـتـ أـمـ حـبـيـبةـ لـأـبـرـهـةـ الـتـيـ
صـبـرـتـ، وـتـحـمـلـتـ لـحظـاتـ الصـمـتـ هـذـهـ، وـقـالتـ لـأـبـرـهـةـ
قـبـيـةـ لـنـجـاشـىـ: بـشـرـهـ اللـهـ بـالـخـيـرـ.

وـنـظـرـتـ فـيـ شـيـءـ تـهـدـيـهـ لـأـبـرـهـةـ كـهـدـيـةـ لـهـذـهـ الـبـشـرـىـ الـطـيـبـةـ
فـمـاـ وـجـدـتـ غـيـرـ سـوـارـيـنـ مـنـ الـفـضـةـ فـيـ يـدـيـهاـ، فـخـلـعـتـهـمـاـ،
وـأـعـطـتـهـمـاـ لـأـبـرـهـةـ هـدـيـةـ وـبـشـارـةـ لـهـاـ عـلـىـ مـاـ جـاءـتـ بـهـ مـنـ
أـخـبـارـ سـارـةـ، وـأـرـسـلـتـ إـلـىـ شـيـخـ الـمـهـاجـرـيـنـ مـنـ قـومـهـاـ وـهـوـ
أـمـوـيـ قـرـشـىـ، أـلـاـ وـهـوـ (خـالـدـ بـنـ سـعـيدـ بـنـ الـعـاصـ)ـ وـأـبـلـغـهـ
أـنـهـ تـوـكـلـهـ عـنـهـاـ فـيـ زـوـاجـهـاـ مـنـ رـسـولـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـمـامـ
الـنـجـاشـىـ وـلـىـ هـذـاـ عـقـدـ بـتـكـلـيفـ مـنـ رـسـولـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ.

وـعـادـتـ أـبـرـهـةـ أـدـرـاجـهـاـ، وـقـدـ حـمـلـتـ شـيـثـيـنـ سـارـيـنـ،
أـلـاـ وـهـمـاـ: مـوـافـقـةـ أـمـ حـبـيـبةـ عـلـىـ الزـوـاجـ رـاـخـتـيـارـهـاـ وـكـيـلاـ
عـنـهـاـ فـيـ عـقـدـ الزـوـاجـ وـالـثـانـيـ سـوـارـيـنـ نـفـيـيـنـ هـدـيـةـ لـهـاـ مـنـ
أـمـ حـبـيـبةـ.

وبلغ خالد بن سعيد اختيار أم حبيبة له في عقد العقد مع النجاشي ، وقد استقبل الرجل هذا النبأ بالغبطة والسرور ، لأنه يعرف ما مرت به أم حبيبة من محنـة ، وأدرك أن أم حبيبة قد أخذـت مكانة رفيعة بهذا التكريم التبـوي العظيم .

حفل الزواج

وجاء اليوم الموعود وفي بهو كبير ومجلس مهم في قصر النجاشي بالحبشة اجتمع المسلمين المهاجرون إليها ، ووجوههم يغمرها السرور والبهجة .

وكان اجتماعهم وسرورهم لأن النجاشي ملك الحبشة دعاهم إلى قصره لحضور الحفل الذي سيتولى فيه تزويج رسولهم من المهاجرة الكريمة الصابرة العظيمة أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكان على مقدمة المهاجرين جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ ، وكان من بين الحاضرين عمرو بن أمية الضميري الذي أرسله الرسول ﷺ إلى نجاشي الحبشة ليخطب عليه أم حبيبة ، كما أرسله إلى المسلمين المهاجرين بالحبشة يطلب منهم العودة

إلى بلاد العرب بعد أن اشتتد أذر المسلمين بها.

وبدأت إجراءات الحفل عندما وقف النجاشي يعلن بين الحاضرين ما أذابه محمد عليه السلام فيه، فقال: لقد كتب إلى محمد بن عبد الله عليهما السلام في أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه، وأصدقتهما أربعمائة دينار، ثم سكب النجاشي الدنانير وسأل: فمن أولئك بها؟

قال الحاضرون: خالد بن سعيد بن العاص.

فقال النجاشي لخالد: فزوجها من نبيكم محمد عليه السلام.

فتقدم خالد بن سعيد بن العاص وكيل أم حبيبة في زواجها من الرسول، فقال: قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله، وزوجته أم حبيبة.

وقدم النجاشي ما أصدقه لأم حبيبة من دنانير، فقبض خالد الصداق، وبذلك صارت أم حبيبة أمًا للمؤمنين.

وقد أعد النجاشي وليمة ضخمة، قام إليها القوم جمِيعاً، فتناولوا طعامهم بمناسبة زواج الرسول عليه السلام من أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأكلوا ثم انصرفوا فرحين.

مسرورين راضين، وحمل إلى أم حبيبة صداقها (مهرها) وأرسلت نساء النجاشي إليها هدايا من طيب وعنبر؛ حملتها إليها جارية النجاشي أبرهة، وتقبلت أم حبيبة هدايا نساء الملك، وأخرجت من صداقها خمسين ديناراً قدمتها لأبرهه وهي تقول لها:

إني كنت قد أعطيتك السوارين وما أعطيتكم يومها ولم يكن عندي مال فهذه خمسون مثقالاً خذيهما، فاستعيني بها. فأبىت أبرهه وأصرت وأخرجت صندوقاً كان فيه كل ما كانت أعطتها إياه، فردهه، وقالت: عزم على الملك إلا أنقل عليك، وألا أكلفك شيئاً وإنما التي أقوم على ثيابه وحاجاته، وقد اتبعت دين محمد عليه السلام، وأسلمت لله، وقد أمر الملك نساءه أن يعيشن إليك بكل ما عندهن من العطر».

وتضييف أم حبيبة قائلة: «فلمَا كان الغد، جاءتني بعطر العود والعنبر فقدمت بذلك على النبي عليه السلام».

ثم قالت أبرهه لام حبيبة: حاجتي إليك أن تُقرئي رسول الله عليه السلام مني السلام، وتعلمي أنه قد اتبعت دينه.

العودة إلى المدينة

قالت أم حبيبة: وتلطفت بي أبرهة وكانت هي التي جهزتني، وكانت كلما دخلت علىَّ تقول: لا تنسى حاجتي إليك، فلما قدمت على رسول الله عليه السلام أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلته بي أبرهة فتبسم رسول الله عليه السلام، وأقرأه منها السلام، فقال: «وعليها السلام ورحمة الله وبركاته»^(١). . . وبعد مرور فترة من الزمان عاش المسلمون فيها في أمان.

تجهزت أم حبيبة، وتجهز المسلمون لغادرة الحبشة إلى بلادهم وأوطانهم . . . ودعهم النجاشي، وبعث برسُلٍ من لدنِه ساروا معهم حتى ركبوا البحر على ظهر سفينتين أمر الملك النجاشي بإعدادهما لأم حبيبة وال المسلمين جميعاً. وهكذا غادر المهاجرون أرض الحبشة التي استقبلتهم، وأضافتهم وأقاموا فيها خير مقام عند ملكِ كريم، وفي العهد، فقد أوفى بكل عهوده مع رسول الله عليه السلام.

(١) آخرجه بطلوه الحاكم في المستدرك (٤ / ٢٠) وما بعدها، وقد نقل البخاري الرواية يتصرف.

وعلى شاطئ الجزيرة العربية نزل القوم، وساروا مجتمعين نحو المدينة، وقد فرحوا فرحاً شديداً لعودتهم إلى بلادهم، واشتد شوقهم إلى لقاء رسول الله ﷺ، ورؤيه الأصحاب والأحباب، وكانت أم حبيبة في هودجها وقد اشتد بها حياء المؤمنات من لحظة لقاء الزوج والخبيب رسول الله ﷺ.

اللقاء المبارك

ولما شارت قافلة القوم على المدينة، وبدت في الأفق رؤوس التخييل في المدينة تظهر لهم، استقبلتهم الأخبار تقص عليهم بما خروج رسول الله ﷺ ومعه جيش المسلمين لغزو يهود خير، وتحكي لهم خبر النصر الذي نصره الله لنبيه على اليهود، وتُعرِفُهم قرب عودة جيش المسلمين، وعلى رأسه قائد الرسول ﷺ إلى المدينة، . . . ودخل العائدون من الحبشة فاستقبلتهم أهلها بالفرح والسرور والترحاب. ثم لم تمض على ذلك بضعة أيام، حتى قَدِمَ الرسول المدينة على رأس جيش المسلمين الطافرين المتصرفين فكانت فرحة أهل المدينة فرحتين، وكان

سرورهم بمقدم الرسول على رأس جيشه الظافر، وبعوده
مهاجرى الحبشة إلى أهلهم وأوطانهم لا يعادله سرور.
وقد فرح النبي ﷺ بلقاء المهاجرين إلى الحبشة
العائدين؛ وبين مقدار هذا الفرح بلقاء ابن عمه جعفر بن
أبي طالب الذى صوره الرسول حين لقائه بقوله وهو
يعانقه: «ما أدرى! بأيهما أسر، بفتح خير أم بقدوم
جعفر؟»^(١).

وحظيت العروس أم حبيبة بحفاوة الزوج والرسول
الكريم، وإكرامه لها، ودعا عثمان بن عفان أهل المدينة
لوليمة حافلة تكريماً للعروس أم حبيبة ابنة عمه أبي
سفيان التى شرفها الله عز وجل ورسوله ﷺ ، فرفعها
إلى مصاف أمهات المؤمنين.

أما أبوها أبو سفيان بن حرب زعيم قريش، وكبير
المشركين بمكة، فلم يسعه إلا أن يقول وقد بلغه زواج
محمد من ابنته التى لم يرها منذ وقت طويل: هذا الفحل
لا يُقدّع أنفه! أي: أن محمدًا رجلٌ شريف لا يُرد أبداً.

(١) حسن: رواه الطبراني (٢/١١٠)، والزار (٤/١٥٩)، وحسنه العلامة الآلباني
رحمه الله في تحرير فقه السيرة (ص ٣٤٧).

أبو سفيان يزور ابنته أم حبيبة

ورغم العداوة التي كانت بين المشركين وال المسلمين ،
ومع النفور والمقاطعة التي كان لا يُرجى معها أن يتقابل
أب مشرك كافر مع ابنة مسلمة ، فقد أجبرت الظروف
وقضت الأوضاع على أبي سفيان أن يسير إلى المدينة على
الرغم مما كان بين المشركين وال المسلمين من عداوة ، وأن
يلتقى مع ابنته أم حبيبة على الرغم من النفور والمقاطعة
التي لا يُرجى بسبها أن يتقابل يوماً مع ابنته .
وقصد أبو سفيان إلى بيت أم حبيبة ، ودخل على ابنته
التي لم يرها ولم تره منذ وقت طويل .

وفوجئت السيدة أم حبيبة بِوْثَاهَا بروءة أيها بدارها ،
فوقفت وقد تملكتها الحيرة ، لا تدرى ماذا تعمل !! ولا
ماذا تقول !!

وتقدم أبو سفيان ليجلس على الفراش الذي مدد
بجانب من جوانب الحجرة ، فإذا بابنته تُسرع فتطويه عنه ،
حائلة بينه وبين الجلوس عليه .

ودُهش أبو سفيان لما فعلت ابنته ، فسألها : يا بنتي ، ما

أدرى!! أرغبت بي عن الفراش، أو رغبت بالفراش عنى؟

فأجاب: بل هو فراش رسول الله، وأنت رجل مشرك، فلم أحب أن تخلس عليه.

فغضب أبو سفيان من ابنته غضباً شديداً وقال لها: والله يا بُنْتَهُ لقد أصابك شُرٌّ بعدي ^(١).

فأجاب قائلة: بل أصابني كل الخير... أن هديت للإيمان ونعمت بالإسلام.

وغادر أبو سفيان ابنته متاثراً غاضباً، وبقيت أم حبيبة واجمة آسفة ساكنة، وقد بلغ بها التأثير مبلغًا عظيمًا، فها هو ذا أبوها أبو سفيان الذي لم تره منذ سنين طويلة، منذ أن هاجرت إلى الحبشة، بعد أن فرق الإسلام بينها وبينه... ها هو ذا تراه بعد هذا الأمد الطويل فلا تستطيع أن تلقاء كما تلقى الابنة أباها بعد طول الغياب وطول الاغتراب، ويدخل دارها فلا تقدر أن ترحب به وتكرمه بما يجب أن تقدم البنت لأبيها من ترحيب وإكرام، ذلك أن شركه بالله قد حال بينها وبينه، ولأن كفره وعناده قد

(١) انظر حلقات ابن سعد (ج. ٨)، والبرهان: لابن هشام، تاريخ الطبرى (ج. ٣) (ص ١١٣).

وقف عقبة بينه وبين ابنته لا تستطيع اجتيازها.
 قلّك الحزن قلب أم حبيبة، وربما فاضت دموعها من
 الحزن، ولكنها لا تملك لابتها من شيء إلا أن تتجه بقلبها
 وروحها إلى الله عز وجل تطلب منه، وتبتهل إليه، أن
 يهدي أباها من الضلال، ويُنعم عليه بنعمة الإسلام،
 فينضم إلى قافلة الحق، ويترك قافلة الباطل إلى غير
 رجعة^(١).

إسلام أبي سفيان ثالث

واصلت أم حبيبة الدعاء لابتها بالهداية والإيمان
 والإسلام، ولم يطل انتظارها لما تمنَّت.
 فقد عزم النبي ﷺ على فتح مكة ففتحها دون
 حرب... وكان من أجمل الأخبار التي وصلت أم حبيبة
 هو خبر إسلام أبها (أبي سفيان).

سجدت أم حبيبة لربها شاكرة، وحمدت ربها، فقد
 اطمأن قلبها، وهدأت نفسها، ووُجدت في نفسها رغبة
 عارمة في أن ترى أباها، (أبا سفيان)، وقد انضم إلى

^(١) أزواج النبي / ١. عبد المنعم الهاشمي (ص: ٤٢٨ - ٤٢٩).

قافلة الحق وترك قوافل الباطل ، بل وكرمه الإسلام
فأصبحت داره في مكة دار أمان فجعل المنادى ينادي بأمر
رسول الله : «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»^(١) .

حزنها على وفاة النجاشي

وفي يوم من الأيام جاء جبريل عليه السلام ليخبر
النبي ﷺ بموت النجاشي ملك الحبشة وليطلب منه أن
يصلّى عليه هو وأصحابه صلاة الغائب (صلاة الجنائز).
وعلمت أم حبيبة أن النجاشي قد مات فحزنت عليه
حزناً شديداً وعادت بها الذكريات إلى أيام الحبشة وكيف
أنس النجاشي استقبالهم وإكرامهم . . . وكيف أعطاهم
الأمان في بلاده.

وتذكرت يوم أن أرسل إليها النجاشي ليبشرها بأن
النبي ﷺ قد طلب منه أن يزوجه منها . . . وكيف تم
الزواج في قصر النجاشي وكيف أعطاها مهرها الكبير من
ماله الخاص . . . فبكّت أم حبيبة وقامت تدعوا للنجاشي

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٨-١٧٩) كتاب الجهاد والسير.

بأن يرحمه الله رحمة واسعة كما كان رحيمًا بها
وبالمسلمين الذين نزلوا في رحاب النجاشي في الحبشة.

حزنها على وفاة الرسول ﷺ

وعلشت أم حبيبة رضي الله عنها أجمل أيام حياتها مع النبي صلوات الله عليه وسلم إلى أن جاءت اللحظة التي أظلمت فيها المدينة بموت الحبيب صلوات الله عليه وسلم فحزنت أم حبيبة حزنًا شديداً على وفاة الحبيب صلوات الله عليه وسلم.

وعلشت من بعده أم حبيبة زاهدة عابدة خائفة لله جل وعلا.

بعد وفاة الرسول ﷺ

عاشت أم حبيبة رضي الله عنها إلى خلافة أخيها معاوية رضي الله عنه حيث توفيت عام أربعين وأربعين وقد ناهزت السبعين عاماً من عمرها.

في هذه الرحلة العمرية الطويلة المباركة، كانت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها من يُحبين كتاب الله عز وجل، ويُقبلن على حفظه والتفقه فيه، كما أنها كانت راوية

ل الحديث رسول الله ﷺ .

ولم تتعمس أم حبيبة في موقف خلاف مع أخواتها أمهات المؤمنين، فكانت تلزم بيتها عابدة ساجدة متهدجة، تقوم الليل وتصوم النهار، وتنفق من مالها بسخاء وكرم على المحتاجين والمساكين.

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالزهد والورع والبذل والتضحية نامت أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة) على فراش الموت وفاقت روحها إلى بارتها جل وعلا لتكون في صحبة الحبيب ﷺ في أعلى درجات الجنة.

تشول أمها عائشة (١): دعتني أم حبيبة عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ذلك ما كان من ذلك. قلت: غفر الله لك ذلك كله وحلّلك من ذلك، فقالت: سررتني سرّك الله، ... وأرسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك (٢).

(١) أخرجه ابن سعد (٨ / ٠٠) والحاكم (٤ / ٢٢ - ٢٣).

أمهات المؤمنين
زوجات الرسول ﷺ

وتوفيت أم حبيبة رضي الله عنها سنة أربعة وأربعين في خلافة أخيها معاوية رضي الله عنه.

وهكذا تعايشنا بقلوبنا وأرواحنا مع أمنا (أم حبيبة) التي ملأت الدنيا بعبير سيرتها العطرة. فرضى الله عنها وأرضها وجعل جنة الفردوس مثواها.

ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

حبابي الحلوين :

وها نحن نفتح صفحة جديدة لتعرف من خلالها على أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها والتي كان اسمها برة فسمّاها النبي صلوات الله عليه وسلم ميمونة.

- إنها الدرة النقيضة التي دخلت البيت النبوى الظاهر الكريم .

- إنها ذات الحسب والنسب ،

* فاختها هي أم الفضل بنت الحارث ، زوج العباس ابن عبد المطلب - عم النبي صلوات الله عليه وسلم - التي كانت أول من آمنت من النساء بعد أمنا خديجة رضي الله عنها .

- وبالتالي فاما ميمونة هي حالة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن الذي ملا الدنيا فقهاً وعلماً .

* وأختها لأمها سلمى بنت عميس زوجة حمزة ابن عبد المطلب - عم النبي ﷺ - وأسد الله وأسد رسول الله ﷺ .

* وأختها لأمها أسماء بنت عميس زوجة جعفر ابن أبي طالب الشهيد الطائر وذى الجناحين الذى استشهد فى غزوة مؤتة وقطعت يداه فآبدله الله بجناحين يطير بهما فى الجنة، ثم لما استشهد جعفر ابن أبي طالب ﷺ تزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

* وأختها أيضاً لأمها زينب بنت خزيمة أم المؤمنين رضي الله عنها .

* وأما اختها الصغرى فهي لُبابة بنت الحارث زوج الوليد بن المغيرة وهى أم خالد بن الوليد رضي الله عنه . وعلى ذلك فاما الغالية ميمونة بنت الحارث هى حالة سيف الله المسلول - خالد بن الوليد - رضي الله عنه الذى سطّر على جبين التاريخ صفحات من النور لا يتساها الكون كله على مدار العصور والأزمان . . . فلقد قال عنه الحبيب

حَدَّثَنَا : « خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سَيْفِ اللَّهِ سَلَّمَ اللَّهُ عَلَى
الْمُشْرِكِينَ »^(١) .

فِي أَهْلِهِ مِنْ نَسْبٍ عَظِيمٍ .

وَلَكِنَّ أَعْظَمَ مِنْتَبَةً فِي حَقِّهَا أَنَّهَا زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَتَعَالَوْا بَنَا لِتَعْايشَ بِقَلْوَبِنَا وَأَرْوَاحَنَا مَعَ سَيِّرَتِهَا الْعَطْرَةِ .

ترية خصبة

كانت أمّنا ميمونة رضي الله عنها تعيش في هذه التربة الخصبة
بين أفراد هذه الأسرة المباركة وكان نور الإيمان يملأ قلبها
وجوارحها فكانت لا تطمع في قصرٍ من قصور الدنيا ولا
في أي شيء من حطامها الفاني لأنها تعلم يقينًا أن الدنيا
لا تساوى عند الله جناح بعوضة .. وأن موضع قدم
المؤمن في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها .

لذلك كانت من السابقات إلى الدخول في دين الله
عز وجل ومن شهد لهن النبي صلوات الله عليه وسلم بالإيمان .

(١) صحيح أخرجه عبد الرزاق (٢١٢/٥)، وابن أبي شيبة (٥٤٧/٦)، وابن سعد (٣٩٦/٧)، وصححه العلامة الالباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٢٠٧).

من هنا كانت البداية

كانت برة (ميمونة بنت الحارث) قد تزوجها في بداية أمرها مسعود بن عمرو الشفني . . . وكان ذلك قبل الإسلام ولم تدم العشرة بينهما فطلقها مسعود ثم تزوجها بعد ذلك (أبو رهم بن عبد العزى) ولكن بعد فترة مات وتركها وحيدة .

لكنها كانت على يقين من أن الله عز وجل سيُعرضها خيراً وسيرزقها بزوج يأخذ بيديها إلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة .

وتمر الأيام وتُشرق شمس الإسلام على أرض الجزيرة ويُبعث النبي ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور . فأسلمت اختها أم الفضل لبابة بنت الحارث ، . . . وكانت أول امرأة تُسلم بعد أمها خديجة بنت خويلد . . . وتبعها بعد ذلك أخواتها فأسلمن جميعاً وأسلمت معهن ميمونة بنت الحارثة .

وعاشت ميمونة أسعد أيام حياتها في ظل هذا الدين العظيم .

وبعد أن أكرّمها الله عز وجل بنعمة الإسلام كانت تتّظر أن يُكرّمها الله بزوج صالح يُعينها على أمر دينها ودنياها... ولكن يا ترى من يكون هذا الزوج المبارك؟ إنها لم يخطر ببالها لحظة واحدة أن تكون أمّاً من أمّهات المؤمنين وزوجة سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ ولكن الأقدار المباركة جعلتها تقترب شيئاً فشيئاً من هذه الأمّنية الغالية التي كانت تتمناها أي امرأة مؤمنة في هذا الكون الفسيح.

فها هو الحبيب ﷺ يأتي هو وأصحابه لأداء عمرة القضاء فكان هذا الزواج الميمون.

فلقد تزوج النبي ﷺ تلّكم المرأة الميمونة «ميمونة بنت الحارث» بعد انصرافه من عمرة القضاء. وتعالوا بنا لنتعايش مع قصة هذا الزواج المبارك.



عمره القضاء وقصة الزواج المبارك

كان صالح الحديبية ينص على أن يرجع المسلمين ثم يعودون في العام المُقبل ويدخلون مكة لمدة ثلاثة أيام يؤدون فيها ما يؤدون من شعائر دينهم على أن يُخلِّيهَا لهم المشركون، وعلى أن لا يكون مع المسلمين من السلاح غير السيف في الغمد.

ولما هلَّ هلال شهر ذى القعدة سنة سبع من الهجرة أمر النبي ﷺ أصحابه أن يخرجوا لعمره القضاء، وسميت بعمره القضاء لأنها كانت عن عمرة الحديبية حينما رفض المشركون دخولهم.. أو لأنها وقعت حسب المقاضاة والمصالحة التي كانت في الحديبية.

وأمر النبي ﷺ ألا يختلف أى أحد من شهد الحديبية فخرجاً جمِيعاً إلا من استشهد.. وخرج معه أَنَاسٌ آخرون حتى بلغ عددهم ألفين سوى النساء والصبيان.

وكان رسول الله ﷺ عند الدخول راكباً على ناقته القصواء، والمسلمون متواشحوا السيف، محدقون برسول الله ﷺ يلبُّون.

وفي عمرة القضاء، انساب المهاجرون في دروب مكة
يستشقون عبر أرض الذكريات الحلوة، ويتملؤن مراتع
الصبا والشباب فرحين مسرورين، وكانت بعض بيوتهم
خاوية لا حركة فيها، قد خيم عليها السكون فتبعد
الأسى في النفوس، ولكنهم ألقوا عليها نظرات عابرة دون
أن تترك أثراً في قلوبهم التي عمرها الإيمان بحب الله
ورسوله عليهما السلام .

النبي ﷺ يأمرهم بالجري الخفيف

ليرى المشركون قوتهم

كان المسلمون المهاجرون وهم في المدينة المنورة
يستشعرون شوقاً شديداً إلى مكة أم القرى، وكانت
أعز آمالهم أن يعودوا إليها، وأن يروا أقرباءهم وأن يرووا
ظماءهم من ماء زمزم، وأن يطوفوا بالبيت العتيق، فإذا
بآمالهم كلها تتحقق، وهذا هم اليوم يطوفون بالبيت العتيق
وهم بصحة الحبيب المصطفى عليهما السلام .

* وكان المشركون يزعمون أن الصحابة لم يعد عندهم

قوة لأن حمى المدينة أضعف أجسادهم . . فلما دخل النبي ﷺ وأصحابه أمرهم أن يرملوا - أي يجرروا جريأاً خفيفاً - في الأشواط الثلاثة الأولى حول الكعبة حتى يرى المشركون قوتهم ونشاطهم فامتلات قلوب المشركين حقداً على الصحابة .

كيف تم الزواج؟

لما دخل النبي ﷺ وأصحابه مكة لأداء عمرة القضاء كانت برة (ميمونة) في مكة وما أن ملأت عينيها من النبي ﷺ حتى استولت عليها فكرة أن تناول شرف الزواج من رسول الله ﷺ ، وأن تصبح أمّا للمؤمنين ، وما يمنعها من أن تتحقق حلمها الذي طالما راودها في يقظتها وفي منامها .

وهي الشابة المسلمة المتعبدة ، والتي ترمّلت من زوجها أبي رهم بن عبد العزى وهي لا تزال بعد في السادسة والعشرين فأسررت إلى شقيقتها أم الفضل بما تاقت إليه نفسها ، فقد مال قلب برة (ميمونة) وهفت روحها ، لأن تكون زوجة لنبي المسلمين ﷺ ، تلمّس عظمة الإسلام

عن قرب وتشارك النبي الكريم حياته وجهاده،
 واستمعت أم الفضل إلى أمنية اختها بعطف ورضا،
 ثم أفضت بهذا السر إلى زوجها العباس، وكان لام
 الفضل أمر اختها، ففوضته إلى العباس.

وسار العباس إلى النبي ﷺ يحدثه عن برة المسامة المؤمنة، ويقول له: ولقد تأيمت من أبي رهم ابن عبد العزى، فهل لك أن تتزوجها؟^(١)

ارتضى الرسول ﷺ زواج برة (ميمونة) وأرسل ابن عمها جعفرًا زوج اختها أسماء يخطبها، وجاء طلب خطبة الرسول ﷺ إلى برة، وهي على بعيير لها، فكان جوابها: البعير وما عليه لله ولرسوله.

وزوج العباس برة (ميمونة) من رسول الله، وأصدقها رسول الله أربعينات درهم.^(٢)

وانقضت الأيام الثلاثة التي نصّ عليها عهد الحديبية على أن يقضيها المسلمون بمكة، فأرسلت قريش إلى الرسول يقول: إنه قد انقضى أجلك، فاخرج معنا.

(١) سير أعلام النبلاء (ج ٢ ح ٢٣٨) وما بعدها ترجمة (وفم ٢٧).

(٢) انظر طبقات ابن سعد (ج ٨).

وأحسَّ النبي ﷺ أنه لو أطالت المقام بمكة لكان ذلك خيراً ولما ت إلى الإسلام قلوب كثيرة من أبناء قريش ، فقال يرد على رسول قريش : «ما عليكم لو تركتموني فأعرست بينكم وصنعت لكم طعاماً فحضرتموه».

قالوا : لا حاجة لنا بطعمك ، فاخبر عنا .

كان جوابهم فيه شدة وجفاء .

فخرج رسول الله ﷺ مغادراً مكة ، مخلفاً بها مولاه أبي رافع ليصحب (برة) عند خروجهما من مكة للحاق به . وبمكانته اسمه (سرف) على مسافة قريبة من مكة ، نزل رسول الله في انتظار عروسه ، وخرج أبو رافع بعروض رسول الله من مكة ليلاً حتى لحق بالرسول ﷺ .

ولم يرضِّ الرسول عن اسم برة اسمًا لزوجته ، فسمّاها ميمونة ، تيمناً باليوم الميمون الذي دخل فيه المسلمون مكة لقضاء عمرتهم بعد أن حُرم عليه دخولها عليهم سبع سنين ، وكانت ميمونة آخر زوجة رُزقت إلى رسول الله . ثم انصرف عليه السلام بها راجعاً إلى المدينة^(١) .

^(١) آرذاج النبى / ص (٤٤٢-٤٤٣) يتصرف .

في رحاب بيت النبوة

وبعد أن تم هذا الزواج الميمون المبارك دخلت ميمونة
بيتها بيت النبوة لتكون أمّاً من أمهات المؤمنين . . . ويا له
من شرف ما بعده شرف .

دخلت ميمونة أم المؤمنين المدينة المنورة فأحسست بسعادة
لا تعادلها سعادة، وكان قلبها يعانق كواكب الجوزاء . . .
وتخطت برجلها عتبة الحجرة التي أعدّها لها النبي
صلوات الله عليه وسلم ، والتي فاح منها الإيمان فنشر عبريه على الكون
كله .

إنها غرفة وإن كانت بسيطة ومتواضعة إلا أن جدرانها
أمسكت على التقوى .

وعاشت ميمونة في رحاب بيت النبوة فتعلمت
بين يدي النبي صلوات الله عليه وسلم الخير الكثير فأخذت من هديه
وأخلاقه وعلمه فكان إيمانها يزداد يوماً بعد يوم .



شهادة غالبية

وطلت ميمونة رضي الله عنها تتعايش بقلبها وجوار حها مع
بركات الوحي المُنزَل على الحبيب صلوات الله عليه وتحوله إلى واقع
عملى فكانت تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل الخبرات،
حتى شهد لها النبي صلوات الله عليه وأخواتها بالإيمان، وبالله
من شهادة عظيمة خرجت من فم الصادق الذى لا ينطق
عن الهوى .

قال عليه السلام: «الأخوات الأربع: ميمونة، وأم الفضل،
وسلمي، وأسماء بنت عميس، - أختهن لأمهن -
مؤمنات» (١).

حرصها على إقامة حدود الله (عزوجل)

وكانت رحمه الله حريصة كل الحرث على إقامة حدود الله
لأنها تعلم يقيناً أن الحياة الطاهرة النظيفة لا تكون إلا في
ظل التعavis مع شرع الله - جل وعلا - . . . فعن يزيد:

(١) رجع أخرجه الت Baihaqi (٨٣٨٧)، وابن سعد (١٢٨/٨)، والطبراني
(٤١٥/١١)، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٧٦٤).

أن ذا قرابة لم يمونة دخل عليها فوجدت منه ريح شراب
فقالت: لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك لا تدخل
على أبداً^(١).

فرق مؤلم

وبعد فترة قصيرة من تلك الحياة الإيمانية المباركة نام
رسول الله ﷺ على فراش الموت... وكان أول ما
اشتكى رسول الله ﷺ في بيته ميمونة بنت أبي سعيد.
وعندما شعر الرسول ﷺ ببودر المرض الذي مات
فيه، كان يطوف كعادته اليومية على سائر نسائه، فاشتد به
المرض وهو في بيته ميمونة، فلما طلب أن يُمرّض في
بيت عائشة، قبلت ميمونة ذلك عن طيب خاطر مرضاته
للرسول.

وشاركت ميمونة في تمريرض الرسول ﷺ والعناية
به، وعاوانت أختها أسماء على صنع الدواء، الذي أشار
بصنعه العباس ليُصبَّ في فم الرسول ﷺ وهو في

^(١) أخرجه ابن سعد (٨/٩٩).

غيبة المرض ليستشفي به، وكانت أسماء قد تعلمت
صنع هذا الدواء أثناء مقامها في الحبشة.

* وما هي إلا ساعات معدودة حتى فاضت أطهر روح
في الدنيا كلها إلى بارتها جل وعلا.

مات رسول الله ﷺ وأظلمت المدينة كلها لموته
ﷺ وحزنت عليه ميمونة حزنًا كاد أن يمزق قلبها
ولكنها احتسبته عند الله لتنا أجر وثواب الصابرين...
وحسبها أن النبي ﷺ مات وهو راضٍ عنها.

وانشقَّ الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى،
وهو راضٌ عن زوجاته الطاهرات... وُكِنْ تسعًا.

راوية حديث النبي ﷺ

نستطيع أن نقول: إن أمينا ميمونة بنت الحارث واحدة من
أمهات المؤمنين اللاتي نقلن لنا حديث رسول الله ﷺ.
هذا وقد كانت أم المؤمنين ميمونة من عين الحديث
الشريف، وتلقينه عن رسول الله ﷺ وكانت حافظة
متقدمة، وتشير أخبارها التي وصلتنا بأنها شديدة التمسك
بالهدي النبوى، وبالآثار والشمائل المحمدية ومنها حفظ

الحديث النبوي الشريف، وروايته، ونقله إلى أئمة العلماء الذين كانوا يقصدون المدينة المنورة، ليأخذوا الحديث عن أمهات المؤمنين، وعن كبار الصحابة الذين عنوا برواية الحديث.

هذا وقد كانت أم المؤمنين من الحافظات المكررات لرواية الحديث النبوي الشريف من أمهات المؤمنين الطاهرات، ولم يسبقها في هذا سوى أم المؤمنين عائشة التي روت (٢٢١٠) حديثاً، وأم سلمة أم المؤمنين التي روت (٣٧٨) حديثاً، ثم تأتي ميمونة التي روت عن رسول الله ﷺ (٧٦) حديثاً^(١).

* وكيف لا تكون بهذه المنزلة الغالية وهي التي عاشت في رحاب بيت النبي ﷺ واقتربت من النبع الصافي مباشرة وغير واسطة فكانت تنهل من هذا الخير الكبير والكثير.



(١) المجنى (ص ٩٦) واعلام النساء (٥ / ١٣٩).

وحان وقت الرحيل

وبعد وفاة الحبيب عَلَيْهِ الْبَرَاءَةُ ظلت مريمونة بِرَبِّهَا عاكفة
على العبادة والصلوة والصيام وقراءة القرآن حتى تاقت
نفسها إلى لقاء الله - جل وعلا - «فَإِنَّمَّا أَنْحَى لِقَاءَ
الله أَنْحَى لِقَاءَهُ» - .

وحانت اللحظة التي ترك فيها الدنيا بكل ما عليها من
متاع زائل لتلقى ربها عز وجل... فنامت على فراش
الموت بعد أن عاشت في رحاب الخلافة الراشدة وكانت
تحظى باحترام الخلفاء والعلماء وامتدت بها الحياة إلى
خلافة معاوية بِرَبِّهَا .

ولما أحسست قُرب منيتها ذهبت إلى مكة، وأوصت أن
تُدفن عندما تموت في البقعة المباركة التي زفت فيها إلى
الرسول عَلَيْهِ الْبَرَاءَةُ .

وحين وافتها الأجل حملت إلى (سرف) وفي مكان
القبة التي ضُربت لها يوم زفافها حُفر قبرها الذي رقدت
فيه راضية مرضية .

وتوفيت بِرَبِّهَا سنة إحدى وخمسين .

وهنا تقول أمّا عائشة^{رضي الله عنها} في حقها بعد وفاتها تلك الكلمة الخالدة: «ذهبت والله ميمونة...، أمّا إنّها كانت من أتقاننا لله وأوصلنا للرحم»^(١).
 وهكذا رحلت أمّا ميمونة^{رضي الله عنها} لتلحق بحبيبها وزوجها ونبيها^{صلوات الله عليه} في جناتٍ ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.
 فرضى الله عنها وأرضها وجعل جنة الفردوس مثواها.



(١) أخرجه ابن مسعود (٨/١٣٨) والحاكم (٤/٣٢) وقال الأربناؤوط: إسناده حسن.

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	* مقدمة الناشر
٨	* بين يدي الكتاب
	خديجة بنت خويلد <small>رضي الله عنها</small>
١٥	* من هنا تبدأ
١٧	* ذكريات مؤلمة
١٩	* وها هي ترفض الزواج وتنشغل بالتجارة
٢١	* النبي ﷺ يرعى الغنم
٢١	* قصة بحيرا الراهب
٢٢	* رؤيا نورانية
٢٦	* وتأكد تلك الرؤيا في قلبها
٢٧	* خديجة تمنى أن يخرج النبي ﷺ في تجارتها
٢٨	* وها هي تعرض عليه الخروج في تجارتها
٣٠	* زواج النبي ﷺ من خديجة <small>رضي الله عنها</small>
٣٤	* حكمتها ورجاحة عقلها

أمهات المؤمنين
زوجات الرسول ﷺ

- * ٢٥ هذا هو الصادق الأمين ..
- * ٢٧ السعادة ترفرف بأجنبتها على أعظم بيت
- * ٢٩ صاحبة القلب الرحيم ..
- * ٤٢ في رحاب الذرية المباركة ..
- * ٤٤ كرم وإثار ..
- * ٤٥ ما أنا بالذى أختار عليك أحداً أبداً ..
- * ٤٧ شمس النبوة تُشرق على أرض الجزيرة ..
- * ٥١ حزن النبي ﷺ لفتور الوحى ..
- * ٥٢ الدعوة السرية ..
- * ٥٤ وقد قريش إلى أبي طالب ..
- * ٥٧ موقف جليل لأبي طالب وقومه ..
- * ٥٧ النبي ﷺ يستمر في دعوته ..
- * ٥٨ أول من صلت مع النبي ﷺ ..
- * ٥٩ صبرٌ واحتساب ..
- * ٦١ الهجرة إلى الحبشة... وفراق مؤلم ..
- * ٦٢ الصحيفة الظالمة والمقاطعة العامة ..
- * ٦٥ نقض الصحيفة الغالمة ..
- * ٦٦ الله سبحانه يُقرئ خديجة السلام ..

الفهرس

٦٧	عام الحزن	*
٦٨	هكذا يكون الوفاء	*
٦٩	غيرة عائشة من خديجة <small>رضي الله عنها</small>	*
٧٠	وداعاً أمنا الغالية	*
سودة بنت زمعة <small>رضي الله عنها</small>		

٨٠	من ظلمات الشرك والكفران إلى أبواب التوحيد	*
٨١	والإيمان	*
٨٢	والسابقون الأولون	*
٨٣	صبر واحتساب	*
٨٤	الرؤيا المباركة	*
٨٥	فراق مؤلم	*
٨٦	موعد مع السعادة	*
٨٧	هكذا أصبحت أمّا للمؤمنين وزوجة لسيد الأولين	*
٨٨	والآخرين <small> عليهم السلام</small>	*
٩٠	في رحاب بيت النبوة	*
٩١	سعادة دائمة	*
٩٢	واستيقظت الذكريات	*
٩٣	الهجرة إلى المدينة المنورة	*

٩٧	توالت البركات
٩٧	ويؤثرون على أنفسهم
٩٩	عائشة تُنْهَىٰ عَلَيْهَا
٩٩	موقف طريف
١٠٠	مودة ورحمة
١٠١	فاستبقوا الحيرات
١٠٢	كرم وسخاء
١٠٣	يأتِيهَا الإذن من فوق سبع سماوات
١٠٤	وحان وقت الرحيل

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها

١١٠	في رحاب المكارم
١١١	من هنا يبدأ
١١٢	ميلاده ونشاته وأخلاقه قبل الإسلام
١١٥	إسلامه رضي الله عنها وصبره على الإيذاء
١١٧	ميلاد عائشة رضي الله عنها
١١٨	هذه زوجتك في الدنيا والآخرة
١١٩	قصة الزواج المبارك
١٢٤	فقروا إلى الله

الفهرس

١٢٥.....	* الهجرة المباركة
١٢٥.....	* على قوش ينام مكان النبي ﷺ في ليلة الهجرة
١٢٧.....	* وبدأت هجرة الرسول ﷺ
١٢٩.....	* محبة تفوق الخيال
١٣٢.....	* وصول النبي ﷺ إلى المدينة المنورة
١٣٤.....	* الزواج المبارك
١٣٦.....	* وهكذا دخلت بيت النبوة
١٣٦.....	* السعادة ترفرف على هذا البيت المبارك
١٣٩.....	* البيت المبارك
١٤٢.....	* حب النبي ﷺ لعائشة
١٤٦.....	* وإنك لعلى خلق عظيم
١٤٧.....	* دروس غالبة
١٤٨.....	* تجبره وإنصاف
١٤٩.....	* غيرتها على الحبيب ﷺ
١٥١.....	* غيرتها من خديجة بنتها
١٥٠.....	* قصة العسل
١٥٧.....	* أشركاني في سالمكما
١٥٨.....	* أدبها مع النبي ﷺ

أمهات المؤمنين
زوجات الرسول ﷺ

- * زهد عائشة رضي الله عنها ١٥٨
- * اختار الله ورسوله عليهما السلام ١٦٢
- * الصائمة العابدة ١٦٥
- * جهادها ١٦٦
- * في غزو أحد ١٦٧
- * قصة الإفك ١٦٨
- * بركة عائشة ونَزُول آية التبم ١٦٩
- * وفاة الرسول عليهما السلام ١٧١
- * العلامات التي أشارت إلى قرب انتهاء أجله عليهما السلام ١٧٢
- * بداية مرضه عليهما السلام ١٧٥
- * مروا أبا بكر فليصل بالناس ١٧٧
- * قبل الوفاة بيوم ١٧٨
- * آخر يوم في حياة النبي عليهما السلام ١٧٩
- * النبي عليهما السلام يعني نفسه إلى فاطمة (عليها السلام) ١٨١
- * ليس على أيك كرب بعد اليوم ١٨٢
- * شدة تأثر النبي عليهما السلام بالطعام المسموم (يوم خيبر) ١٨٢
- * اللهم الرفيق الأعلى ١٨٤
- * وتم تأويل الرؤيا ١٨٥

١٨٦.....*	عائشة رضي الله عنها وحياة يعجز القلم عن وصفه
١٨٧.....*	بعد وفاة الحبيب عز وجله*
١٨٨.....*	في عهد أبيها رضي الله عنه*
١٨٩.....*	وتجددت الأحزان في قلبها بموت أبيها*
١٩١.....*	الفقيحة الربانية التي حمل عنها ربع الشريعة*
١٩٤.....*	مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه*
١٩٦.....*	حضورها يوم الجمل*
١٩٨.....*	وحان وقت الرحيل*

حفصة بنت عمر رضي الله عنها

٢٠٦.....*	من هنا نبدأ*
٢١٠.....*	النشأة المباركة*
٢١١.....*	شمس الإسلام تُشرق على أرض الجزيرة*
٢١١.....*	إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنه*
٢١٢.....*	قصة إسلام عمر رضي الله عنه*
٢٢٠.....*	إن إسلام (عمر) كان فتحاً*
٢٢١.....*	نعمـة الإسلام*
٢٢٢.....*	رواجها من خنيس رضي الله عنه*
٢٢٢.....*	فـروا إلى الله*

- * فراق مؤلم ٢٢٣
- * هكذا أصبحت أمّا للمؤمنين ٢٢٤
- * مكانتها العالية ٢٢٦
- * تسابق إلى مرضاه الحبيب ﷺ ٢٢٧
- * إنها زوجة النبي ﷺ في الجنة ٢٢٨
- * علمها وفقها ٢٢٩
- * وفاة الحبيب ﷺ ٢٣٠
- * الفاروق يتولى الخلافة ٢٣١
- * مقتل الفاروق رضي الله عنه ٢٣١
- * حملت أمانة القرآن على أعناقها ٢٣٢
- * وهذا هي قصة جمع القرآن ٢٣٢
- * وحان وقت الرحيل ٢٣٦

زيتب بنت خزيمة

- * هكذا كانت بدايتها المباركة ٢٤٢
- * زواجهما قبل أن تدخل بيت النبي ﷺ ٢٤٢
- * وهكذا أصبحت أمّا للمؤمنين ٢٤٥
- * هكذا ازدادت رأفة ورحمة بالمساكين ٢٤٧
- * جعلت وقتها كلها لله - جل وعلا - ٢٤٩

- * في رحاب الحبيب عليه السلام ٢٥٠
- * وحان وقت الرحيل ٢٥١

أم سلمة رضي الله عنها

- * نشأة عريقة وزرήجة مباركة ٢٥٦
- * الهجرة إلى الحبشة ٢٥٧
- * أم سلمة رضي الله عنها تحكي قصة المسلمين مع النجاشي ٢٥٩
- * أبو سلمة وأم سلمة يدخلان مكة ٢٦٩
- * صبر واحتساب ٢٧١
- * في رحاب الحبيب عليه السلام ٢٧٤
- * صفحة من أرض الشرف والبطولة ٢٧٥
- * سرية أبي سلمة ٢٧٦
- * وفاة أبي سلمة رضي الله عنه ٢٧٧
- * الزواج المبارك ٢٧٨
- * في بيت الزوجية ٢٨٠
- * صاحبة القلب الرحيم ٢٨١
- * موقفها العظيم يوم الخديبية ٢٨٤
- * مع الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ٢٨٧
- * كانت تُعدّ من فقهاء الصحابيات ٢٨٩

* وحان وقت الرحيل ٢٩٠

زينب بنت جحش ؓ

* من هنا كانت البداية ٢٩٤

* هجرة وصبرٌ واحتساب ٢٩٦

* في رحاب الأنصار ٢٩٧

* زواجهها من زيد بن حارثة ؓ ٢٩٨

* زيد يختار النبي ﷺ على أبيه وأمه ٢٩٩

* زواجه من زينب بنت جحش ٣٠١

* وهكذا أصبحت أمًا للمؤمنين ٣٠٢

* متزلتها عند رسول الله ﷺ ٣٠٥

* مع نساء النبي ﷺ ٣٠٦

* مع عائشة ؓ ٣٠٩

* مكانتها في قلب عائشة ؓ ٣١٢

* مع الرسول ﷺ في الغزو والحج ٣١٣

* زهدها في الدنيا وزينتها الفانية ٣١٤

* وحان وقت الرحيل ٣١٥

جويرية بنت الحارث ؓ

* نشأة في أحضان النعيم ٣٢٢

الفهرس

٢٢٢.....	* شمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة
٢٢٤.....	* ترسيخ دعائم الدولة المسلمة
٢٢٥.....	* مؤامرة من زعيم بنى المصطلق
٢٢٨.....	* المعركة
٢٢٩.....	* الرحيل إلى المدينة وتقسيم الغنائم
٢٣٢.....	* كانت أعظم الناس بركة على قومها
٢٣٥.....	* ودخلت بيت النبوة
٢٣٦.....	* إسلام أبيها (الحارث بن أبي ضرار)
٢٣٨.....	*وها هو النبي ﷺ يُعلّمها الخير كله
٢٤٠.....	* راوية الحديث
٢٤١.....	* وفاة الحبيب ﷺ
٢٤٢.....	* وحان وقت الرحيل

صفية بنت حبي

٢٤٨.....	* كيف كانت البداية
٢٤٨.....	* شمس الإسلام وعداوة اليهود
٢٥٠.....	* مؤامرات اليهود على الإسلام وال المسلمين
٢٥١.....	* إجلاء يهود بنى قينقاع
٢٥٢.....	* مؤامرة لقتل النبي ﷺ

أمهات المؤمنين
زوجات الرسول ﷺ

٢٥٧.....	* مؤامرة حقيرة
٢٥٨.....	* لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات
٢٦٠.....	* مقتل أبيها
٢٦١.....	* صافية ترى رؤيا بزواجهها من النبي ﷺ
٢٦٢.....	* غزوة خيبر
٢٦٧.....	* مقتل كنانة بن الربيع زوج صافية
٢٦٩.....	* وأصبحت صافية من نصيب النبي ﷺ
٢٧١.....	* الزفاف المبارك
٢٧٤.....	* في بيت النبوة
٢٧٦.....	* الكريمة صاحبة القلب الرقيق
٢٧٧.....	* إنك لابنة نبى وان عمك لنبي وإنك لتحت نبى
٢٨٠.....	* والله إنها لصادقة
٢٨١.....	* على رسالكما إنها صافية
٢٨٢.....	* استدرك ما فات
٢٨٣.....	* فراق مؤلم
٢٨٤.....	* والله يحب المحسنين
٢٨٤.....	* موقفها الجليل مع عثمان بن عفان رضي الله عنه

الفهرس

* وحان وقت الرحيل ٢٨٦

رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها (أم حبيبة)

* ثباتها على دينها ٢٩٠

* الهجرة إلى الحبشة ٢٩١

* محنّة شديدة ٢٩٤

* زواج النبي ﷺ من أم حبيبة على يد النجاشي ٢٩٨

* حفل الزواج ٤٠٠

* العودة إلى المدينة ٤٠٢

* اللقاء المبارك ٤٠٢

* أبو سفيان يزور ابنته أم حبيبة ٤٠٦

* إسلام أبي سفيان رضي الله عنها ٤٠٨

* حزنها على وفاة النجاشي رضي الله عنه ٤٠٩

* حزنها على وفاة الرسول ﷺ ٤١٠

* بعد وفاة الرسول ﷺ ٤١٠

* وحان وقت الرحيل ٤١١

ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

* تربة خصبة ٤١٧

* من هنا كانت البداية ٤١٨

أدلة المؤمنين
زوجات الرسول

- * عمرة القضاء وقصة الزواج المبارك ٤٢٠
- * النبي ﷺ يأمرهم بالحرى الخفيف ليرى
المشركون قوتهم ٤٢١
- * كيف تم الزواج؟ ٤٢٢
- * في رحاب بيت النبوة ٤٢٥
- * شهادة غالبة ٤٢٦
- * حرصها على إقامة حدود الله عز وجل ٤٢٦
- * فراق مؤلم ٤٢٧
- * راوية حديث النبي ﷺ ٤٢٨
- * وحان وقت الرحيل ٤٣٠
- * الفهرس ٤٣٣